كلية الآداب

جامعة الفيوم
Fayoum University

مجلة كلية
الآداب جامعة الفيوم

Scanned by CamScanner

مجلة كلية الآداب. جامعة الفيوم

دورية علمية نصف سنوية محكمة

رقم الإيداع 2014/18953

الترقيم الدولي ISSN 2357-0709

العدد الثاني عشر

يونيو 2015م – المجلد الأول

مجلس إدارة المجلة

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة (عميد الكلية)	رئيساً لمجلس الإدارة
أ.د/ مجدي أحمد توفيق (وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا)	رئيساً للتحرير
أ.د/ محمد الخزامى عزيز (الأستاذ بقسم الجغرافيا)	عضواً
أ.د/ إبراهيم محمد صقر (الأستاذ بقسم الفلسفة)	عضواً
أ.د/ حامد أمين شعبان (الأستاذ بقسم اللغة العربية)	عضواً
أ.د/ عادل عبد العزيز (الأستاذ بقسم التاريخ)	عضواً
أ.د/ إيمان محمد صبري (الأستاذ بقسم علم النفس)	عضواً

هيئة التحرير

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة	رئيساً لمجلس الإدارة
أ.د/ مجدي أحمد توفيق	رئيساً للتحرير
د/ سيد أحمد محمد الوكيل	مديراً للتحرير
د/ محمد عيد سعيد	محرراً للنص العربي
د/ على عبد التواب	محرراً للنص الإنجليزي
أ/ أحمد شمبولية	سكرتيراً للتحرير

الهيئة الاستشارية

الاسم	الرتبة الأكاديمية
أد. إبراهيم محمد صقر	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ أحمد محمد عبد الخالق	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أد/ أحمد محمد بقوش	أستاذ بقسم اللغة الفارسية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ سامية محمد جابر	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أ.د/ سيد جاب الله السيد	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة طنطا
أ.د/شعبان جاب الله رضوان	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أ.د/ توفيق محمد عبد المنعم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة البحرين
أ.د/ بدر سليمان الأنصاري	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الكويت
أ.د/ عزة أحمد صيام	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة بنها
أ.د/ معتز سيد عبد الله.	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أد/ عبد الحميد حمودة	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. يمني احمد رضوان	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ مجدي أحمد توفيق	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ عادل كمال خضر	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة بنها
أ.د/ هناء أحمد شويخ	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ عبد الرحمن الشرنوبي	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد الخزامي عزيز	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. صبري عبد الله شندي	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد محمد عناني	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة القاهرة
أد. مصطفى رياض	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة عين شمس
أد. محمد دياب	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ محمد حسن غانم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة حلوان

قواعد النشر:

1- مجلة كلية الآداب بجامعة الفيوم دورية علمية محكمة تعني بنشر الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي تتميز بالأصالة والجدية وتساهم في التقدم المعرفي للعلوم الإنسانية وتقبل النشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية واللغات الأخرى شريطة ألا يكون البحث منشورًا من قبل.

2- تقدم البحوث التي يراد نشرها بالمجلة مكتوبة على برنامج ميكروسوفت ورد بخط Simplified Arabic نوع الصفحة B5 والهوامش 3سم في الأربعة جوانب ببنط 14 للمتن والهوامش بنط 12 والعناوين الجانبية بنط 16. والمسافة بين الأسطر 1.15سم

3- في حالة رغبة الباحث نشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية ملونة يلتزم دفع تكاليفها.

4- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًا ممهورًا بتوقيعه بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.

5- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية تشمل أهم مؤلفاته وأعماله.

6- الأبحاث التي ترد للمجلة ليست لها أغراض دينية أو سياسية وإنما أبحاث علمية في مجال العلوم الإنسانية بمختلف فروعها. وكل ما يرد من أبحاث تعبر عن وجهة نظر الباحث وتحت مسؤوليته.

7- يشترط عمل ملخص للبحث باللغة العربية والإنجليزية.

8- يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعه أن ترتب أرقام التوثيق بطريقةٍ مُتسلسلة حتى نهاية الفصل، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

9- تقدم ثلاث نسخ من البحث إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير مع سي ي CD بالبريد المسجل أو تسلم بيد الباحث.

10- أصول البحوث التي ترد إلى الدورية لا ترد ولا تسترجع سواء قبلت للنشر أو لم تُقبل.

11- يحصل صاحب البحث على 10 مستلات من بحثه بالإضافة إلى نسخة من العدد بعد طبعه.

تُرسل البحوث بريدياً على العنوان التالي:

جمهورية مصر العربية، الفيوم، كلية الآداب – جامعة الفيوم، رمز بريدي:

63514

ت: 0846379326 فاكس:0846379325

البريد الالكتروني:

mat03@fayoum.edu.eg

sae11@ fayoum.edu.eg

م	الموضوع	الصفحات
١	**جَمَالِيَّاتُ التَّصْوِيرِ الفَنِّيّ عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِى** **د. مُحَمَّد مَحْمُود أَبُو عَلِيّ**	١-٦٣
٢	**الأمير السلجوقي زاخاس ونشاطه البحري في أسيا الصغرى (٤٧٤هـ- ٤٨٥هـ/ ١٠٨١-١٠٩٢م)** **د/وائل أحمد إبراهيم**	٦٤-١١١
٣	**الأوقاف ودورها في الرعاية الاجتماعية في الحجاز عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)** **وليد كمال شعبان إسماعيل**	١١٢-١٣٩
٤	**الخريطة المورفولوجية لمنطقة حلايب كأداة أساسية للتنمية في جنوب شرق لمصر.** **د.ناصر عبد الستار عبد الهادي نوح**	١٤٠-٢٠٦
٥	**سكوت النبي- صلى الله عليه وسلم- عند الحاجة إلى البيان ودلالته.** **الباحث: خالد رمضان عبد الفتاح**	٢٠٧-٢٢٧
٦	**الماركسية الجديدة ولانهائية التاريخ عند جاك دريدا** **د. شريف مصطفى أحمد**	٢٢٨-٢٥٨
٧	**دور الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية** د. محمد كمال	٢٥٩-٣٢٣
٨	**Clinton's Political Speeches about the Arab Spring** **Mai Ashraf Hussein Sayed**	٣٢٤-٣٥٤
٩	**زواج القاصرات "الأسباب والآثار المترتبة عليه": دراسة حالة بقرية مصرية بمحافظة الغربية** ابتسام مرسى محمد المرسى شيماء عبد العزيز الدالى	٣٥٥-٤٠٠
١٠	**الموقف الأمريكيمن الثورة الكوبية (١٩٥٦:١٩٥٦م)** الباحث / عبدالرحمن أحمد محمود محمد	٤٠١-٤٢١
١١	**موقف بونافنتورا من الميتافيزيقا**	٤٢٢-٤٥٣
١٢	**بُكَـــائِيّات لَيلَى الأخـيَلِـيّةى قراءة نسقية ثقافية** د/ أميمة صبحي خليل	٤٥٤-٥١٣

١٣	**تحصين الشباب ضد الفكر الإرهابي ضرورة مقاصدية** **د.نوره عبدك البلوشي**	٥١٤-٥٦٨
١٤	**أنماط الإفادة من مواقع القرآن الكريم كمصدر من مصادر المعلومات** عائشة محمد عبد الحميد أحمد	٥٦٩-٦٠٦
١٥	**فحص الخصائص السيكومترية لاستبيان أبعاد المعاملة الوالدية** **أ. ندى جمال د/ طارق عبد الوهاب**	٦٠٧-٦٣٦
١٦	**تاريخ جزيرة جربة منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب.(٤٧ – ٢٩٦هـ/ ٦٦٧ – ٩٠٩م)** محمد محمود منشاوي	٦٣٧-٦٧١
١٧	**قاعدة التبعية في التملك ، وبعض تطبيقاتها في الفقه الاسلامي** اعداد الباحث/ محمد صلاح عرابي عبد الجواد	٦٧٢-٦٨١
١٨	**" موقف الزمخشري من الاحتجاج بالحديث الشريف** اسماء ماهر حسين	٦٨٢-٧٠٩
١٩	**Im/politeness Strategies in the Story of Moses in the Holy Quran** **Hebat-Allah Mahmoud Zaky**	٧١٠-٧٤١

جَمَالِيَّاتُ التَّصْوِيرِ الفَنِّيِّ عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِى

د. مُحَمَّد مَحْمُود أَبُو عَلِيّ

أستاذ مساعد النقد والبلاغة

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – دمنهور

المُلَخَّص

مَرَّ شِعْر أحمد شلبي بِمَرْحَلَتَينِ زَمَنِيَّتَينِ ، اتَّفَقَتَا فِي المَوضُوعَات ، واختلفتا في المرحلة العُمْرِيَّة للشاعر ؛ وتُمَثِّل المرحلة الأولى ما كَتَبَهُ في صباه الباكر ، وثمانينيات القَرْن العِشْرِين ، وتَشْمَل المرحلة الثانية القصائد التي كتبها في بداية الألفيَّة الثانية .

ويَهْدِفُ هذا البحث إلى دراسة تفاصيل هاتين المَرْحَلَتَينِ ، ومِنْ ثَمَّ تَطَوُّر القصيدة – التي تُعَبِّرُ عن تجربة الإنسان المعاصر مهما تشابكت أو تعقدت – عنده .

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الأول : المرأة عند أحمد شلبي ، وضَمَّ ثلاثة اتجاهات ، صَوَّرَ الاتجاه الأول : موقفه من المرأة ؛ فنراه يَصِفُهَا وَصْفًا عَفِيفًا ، بِشَاعِرِيَّة مُفْرِطة ، تُظْهِر الحُبَّ العُذْرِيّ الصَّادِق ، ويتميز هذا الاتجاه بغلبة الطابع الرومانسيّ ، والاستسلام لجمال الطبيعة ؛ حيث رَبَطَ بين مشاعره والطبيعة من حوله ؛ فكانت الطبيعة بَاسِمَة مُزْهِرَة في وجود المعشوقة ، وعابسة قاحلة في غيابها .

وعَرَضَ الاتجاه الثاني : الحب الثقافيّ للمرأة ؛ فلم تكن المرأة مجرد أنثى يَهِيمُ بِهَا ، بل أصبحت حُلْمًا يُرَاوِدُهُ ، ويَرْسِمُ لَهُ كِيَانًا فِي عَقْلِه .

ورَصَدَ الاتجاه الثالث : المرأة قضيةً اجتماعية ، لها مشكلاتها وأزماتها وأحلامها صعبة المنال في مجتمع ذكوري يَجْحَدُ فضلها ويتناساها .

وهكذا دَارَ المبحث الأول في شعر أحمد شلبي في فَلَكِ الأنثى برقتها وعذوبتها وكينونتها وكيانها .

أما المبحث الثاني : اغتراب الذات عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِي ؛ فَمَثَّلَتْهُ صَرْخته مُدَوِّيًا لِيُطْلِقَ أَنَّاتِهِ الخَاصَّة الحَبِيسَة ، بِوَصْفِهِ شَاعِرًا يعيش فِي عَالَمٍ تَافِهٍ ، يُهِينُ الفَاضِلَ

، وَيُكْرِمُ اللَّئِيمَ ، ولا يُقَدِّرُ الشَّاعِرَ حَقَّ قَدْرِهِ ؛ فيسرد – عن طريق قصائده – مأساة الشاعر المُثَقَّف المَوهُوب فِي عَالَمٍ شَوَّهَهُ الزَّيف ، وَمَزَّقَته السَّطْحِيَّة .

وَصَوَّرَ المَبْحَثُ الثَّالِث : موقف أَحْمَد شَلَبِي السياسيّ والاجتماعيّ ، وقد تَجَلَّى مَوقفه السياسيّ فِي نَقْدِهِ بعض الأوضاع السياسيَّة الفاسدة السائدة ، ورفضه ظُلْم الحُكَّام ، ولكنه اتَّسَمَ بِالعَدْلِ فِي نقده ، عَلَى الرَّغْم مِنْ ظُهُور بَعْض المَوَاقِف المُتَنَاقِضَة ؛ لأنه يَلْتَزِم بِالصِّدْق ، وَيُقَيِّمُ المَوقِفَ بِحِيَادِيَّة تَامَّة ، وَلا يَحْكُمُ عَلَى الشَّخْص نَفْسه .

وقد أظهر موقفه الاجتماعيّ شِدَّة انتمائه لمصر مَهْد الحَضَارَات ؛ فَلَمَسْنَا كيف أَحَبَّها وقَدَّسَ حضارتها وتاريخها ؛ سَعْيًا إِلَى وَصْفِ عَظَمَتِهَا وَذِكْر عُظَمَائِهَا .

وقد اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بالمنهج التاريخي و التحليليّ ؛ لأنه الأنسب لرصد جَمَالِيَّاتُ التَّصْوِيرِ الفَنِّيّ عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِى وتفسيرها ، وتوضيح ما فيها مِنْ قيم جماليَّة .

مُقَدِّمَة

الشِّعْرُ مَلْحَمَةُ الحَيَاةِ ، وَنَبْض القلوب ، يِتَلاقَى فِي مِحْرَابِهِ الوُجُودُ وَالعَدَم ، وَتَتَجَّلَى فِي آيَاتِهِ السَّعَادَة والأَلَم ، وَتَرْسِمُ كَلِمَاتُهُ زُهُورَ جِنَانٍ قُطُوفُهَا دَانِيَة ؛ فالشاعر يكشف أمورًا في الحياة تَخْفَى على غيره ، ويُوقِظُ ذِكْرَيَاتٍ بَعِيدَة تَغِيبُ عَنِ البَال ، ويُظْهِرُ نَوَازِعَ النَّفْسِ ، ويَزِيدُنَا فَهْمًا لِلحَيَاة ، وَعِلْمًا بِهَا .

وكان هذا حال شاعرنا أَحْمَد شَلَبِي ، الذي يَسْتَجِيب لِنِدَاء الرُّوح تَارَةً ، وَأُخْرَى يُحَكِّمُ صَوتَ العَقْلَ ؛ فَيَرَى مَا يَعْجَزُ الآخَرُون عن رؤيته ، إِنَّهُ يتأمل لِلكَون بنَظْرَةٍ تَخْتَلِفُ عَمَّنْ سِوَاه ، وكأنه فِي الحُبِّ قَيسٌ ، وَفِي الحَيَاةِ فيلسوفٌ ، وفي حُبِّ وَطَنِهِ زَعِيمٌ عَاشِقٌ مُتَيَّمٌ بِالأَرْضِ وَالوَطَنِ .

وقد مَرَّ شِعْرُهُ بِمَرْحَلَتَينِ زَمَنِيَّتَين ، اتَّفَقَتَا فِي المَوضُوعَات ، واختلفتا في المرحلة العُمْرِيَّة للشاعر ؛ وتُمَثِّل المرحلة الأولى ما كَتَبَهُ في صِبَاهُ البَاكِر ، وثمانينيات القَرْن العِشْرِين ، وتَشْمَل المرحلة الثانية القصائد التي كتبها فِي بداية الألفيَّة الثانية .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى دراسة تفاصيل هاتينِ المرحلتينِ ، ومِنْ ثَمَّ تَطَوُّر القصيدة – التي تُعَبِّرُ عن تجربة الإنسان المعاصر مهما تشابكت أو تعقدت – عند أحمد شلبي .

وكان الدافع لدراسة هذا الموضوع ما به من جِدَّة ، تَمَثَّلَتْ في نُدْرَة الدراسات التي تناولت جَمَالِيَّاتُ التَّصويرِ الفَنِّيّ عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِي ؛ فلم أَعْثُرْ على دراسةٍ مُتَخَصِّصَة تناولت هذا الشِّعْر ، الذي يكشف عن مدلولاتٍ إنسانيَّة عميقة ، تستحق البحث والتحليل .

مَنْهَج البَحْث :

اتبعتُ المنهج الوصفيّ التحليليّ ؛ لأنه الأنسب لرصد جَمَالِيَّاتُ التَّصْوِيرِ الفَنِّيّ عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِي وتفسيرها ، وتوضيح ما فيها من قيم جماليَّة .

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمة ، وتناول المبحث الأول : المرأة عند أحمد شلبي ، وضَمَّ ثلاثة اتجاهات ، صَوَّرَ الاتجاه الأول : موقفه من المرأة ؛ فنراه يَصِفُهَا وَصْفًا عَفِيفًا ، بِشَاعِرِيَّة مُفْرِطة ، تُظْهِر الحُبَّ العُذْرِيّ الصَّادِق ، ويتميز هذا الاتجاه بغلبة الطابع الرومانسيّ ، والاستسلام لجمال الطبيعة ؛ حيث رَبَطَ بين مشاعره والطبيعة من حوله ؛ فكانت الطبيعة بَاسِمَة مُزْهِرَة في وجود المعشوقة ، وعابسة قاحلة في غيابها .

وعَرَضَ الاتجاه الثاني : الحب الثقافيّ للمرأة ؛ فلم تكن المرأة مجرد أنثى يَهِيمُ بِهَا ، بل أصبحت حُلْمًا يُرَاوِدُهُ ، ويَرْسِمُ لَهُ كِيَانًا فِي عَقْلِه .

ورَصَدَ الاتجاه الثالث : المرأة قضيةً اجتماعية ، لها مشكلاتها وأزماتها وأحلامها صعبة المنال في مجتمع ذكوري يَجْحَدُ فَضْلَهَا ويَتَنَاسَاهَا .

وهكذا دار المبحث الأول في شعر أحمد شلبي في فَلَكِ الأُنْثَى بِرِقَّتِهَا وعذوبتها وكينونتها وكِيَانها .

أما المبحث الثاني : اغتراب الذات عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِي ؛ فَمَثَّلَتْهُ صَرْخته مُدَوِّيًا لِيُطْلِقَ أَنَّاتِهِ الخَاصَّة الحَبِيسَة ، بِوَصْفِهِ شَاعِرًا يعيش فِي عَالَمٍ تَافِهٍ ، يُهِينُ الفَاضِلَ ، وَيُكْرِمُ اللَّئِيمَ ، ولا يُقَدِّرُ الشَّاعِرَ حَقَّ قَدْرِهِ ؛ فيسرد – عن طريق قصائده – مأساة الشاعر المُثَقَّف المَوهُوب فِي عَالَمٍ شَوَّهَهُ الزَّيف ، وَمَزَّقَته السَّطْحِيَّة .

وَصَوَّرَ المَبْحَثُ الثالث : موقف أَحْمَد شَلَبِي السياسيّ والاجتماعيّ ، وقد تَجَلَّى مَوقفه السياسيّ فِي نَقْدِهِ بعض الأوضاع السياسيَّة الفاسدة السائدة ، ورفضه ظُلْم الحُكَّام ، وأظهر موقفه الاجتماعيّ شِدَّة انتمائه لمصر مَهْد الحَضَارَات .

تمهيد :

لِكُلِّ شَاعِرٍ مَاهِرٍ مَبْدَأٌ فِي الحَيَاة ، وَرَأْيٌ فِي أُمُورِهَا ، ومِنْظَارٌ خَاصّ يَنْظُرُ مِنْ خِلالِهِ للوجود ؛ فإنَّ الشاعرَ يَجْهَدُ – أولاً وأخيرًا – لِيُعَبِّرَ عَنْ وِجْدَانِهِ ، بِأُسْلُوبٍ مُتَفَرِّد ، يَحْمِلُ بَصْمَته الذاتيَّة ؛ فالشِّعْر عَمَلٌ لا إراديّ يقوله الشاعر عندما تجيش

الخواطر في صدره ، ويلتمس لها مَخْرَجًا ؛ فتنطلق زفرات قلبه شعرًا غنائيًّا ؛ فالشعر هو مُتَنَفَّس الشاعر ، أو قُلْ كما قال وردزورث (Wordsworth) : « إِنَّ كُلَّ شِعْرٍ جَيِّد هُو فَيض تِلْقَائِي لِمَشَاعِر قَوِيَّة »[١] ؛ « فَأَرْوَعُ الشِّعْرِ ما كان أَنَّاتٍ خَالِصَة »[٢] يُعَبِّرُ بِهَا الشَّاعِرُ عَنْ نَفْسِهِ .

« والقصيدة لا تَتَبَدَّى للشاعر جميلة رائعة إلا حين يَمْضِي فِي نَظْمِها ، كَمَا أَنَّ اللَّوحَة الجميلة لا تصبح كذلك إلا وهي تتولد على ريشة المُصَوِّر»[٣] .

لذلك فقارئُ ديوانِ شاعرٍ ما ، لا بُدَّ أن تستوقفه هذه الأمور ؛ كي يتمكنَ من استنباط خصائص النصوص ، واستجلاء غوامضها ، والوقوف على ما فيها مِنْ مواضع القُبْح والجَمَال ؛ لبيان ما يمتاز به نصٌ عن آخر مِنْ سِمَاتٍ فَنِّيَّة ، إضافةً إلى ما يَتْرُكُهُ مِنْ أَثَرٍ في نفس القارئ .

والشِّعْرُ مَجَالُهُ العَاطِفَة « لا العقل ، والإحساس لا الفكر ، وإنما يُعْنَى بِالفِكْرِ على قدر ارتباطه بالإحساس ، ولا غِنَى للشعر عن الفكر ، بل لا بُدَّ أن يتدفق الجَيِّد الرَّصِين منه بفيض القرائح ، ويتحفَّى بِنِتَاجِ العُقُول وجَنَى الأَذْهَان ، ولكنَّ سَبِيلَ الشَّاعِرِ أَلاَّ يُعْنَى بالفكر لذاته ولِسَدَادِه ورزانته ، بل من أجل الإحساس الذي نَبَّهَهُ ، أو العاطفة التي أثارته »[٤] .

ذلك ما نجده عند أحمد شلبي [٥] ؛ فقارئ ديوانه – إِنْ كان على دِرَايةٍ وافية بالشعر وطرائقه في التعبير – يَلْحَظ الموضوعات التي يدور عليها شعره ، ويَتَبَّيَن أنه مَرَّ بمرحلتينِ مختلفتينِ تعبيرًا – وإن كانت الموضوعات المُعَبَّر عنها واحدة – مِمَّا يقتضيه التطوُّر الفِكْرِيّ والمَعْرِفِيّ .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : المَرْأَةُ عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِي :

الحياة بكل ما تَحْوِي ، والطبيعة بكل ما تَزْخَر ، لا تَخْرُجُ – في نهاية الأمر – عن جنسين (ذكر ، وأنثى) في شَتَّى المخلوقات ؛ لذلك فَإِنَّ أمرَ العلاقة بينهما في محيط الحياة البشريَّة ، التي تعلو بسمو العقل والوِجْدَان على سائر

الكائنات الأخرى ، لا بُدَّ أن يأخذ حيزًا كبيرًا ؛ لِمَا تمتاز به تلك الطائفة مِنْ رَهَافَةِ الشعور ، وعُمْقِه ، فضلاً عن جُرْأَة التعبير .

وعندما يشعر الشاعر بالحُبّ « لا يتكلم عن نَفْسِهِ فَحَسْب ، وإنما يَجْمَعُ آلام العُشَّاق وأنينهم ؛ فيتألم ويَئِنّ معهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ، ولا أحبّ إلى النفس مِنْ سَمَاعِ هذا الأنين ! إنَّ الشَّاعِرَ يَصُوغُ بِكَلِمَاتِهِ اهتزازات القُلُوب ، ورَنَّات ما يَجُولُ بها مِنَ المعاني ، ويدفعها إلى النفوس فتصبو إليها ، ويُذِيعها بين العُشَّاق فيرى كُلٌّ قلبه ، وكأنه يَنْظُرُ فِي مِرْآةٍ يرى فيها صورته »[٦] .

ورِقَّة الغَزَل تَعْنِي « قُوَّة إِحْسَاس الشوق الذي صَدَرَ عنه الشاعر فِي قصيدته ، وكذا قُوَّة سُلْطَان شعره على نفس مُتَلَقِّيهِ الذي ينفعل بما يَرِدُ عليه منه ، وكأنه هو صاحب هذا الإحساس » [٧] .

فَالحُبُّ في قَانُونِ الشاعر حياةٌ لا يمكن الاستغناء عنها ، إنَّ الشِّـــــــعْرَ يُصَوِّرُ خَلَجَاتِ النَّفْس ، ويَصِفُ آلامَ الفِرَاق ، ويتميز أسلوب الغزل « بالرقَّة والعُذُوبَة والطَّلاوَة ، وتَخَيُّر الكلمات الغنيَّة بالعاطفة المثيرة للذكريات ؛ لأنَّ الغزلَ تُرْجُمَان عن عاطفة الحب ونابعٌ منها ، وهي لا يُلائِمَهَا إلا هذا الضَّرْب مِنَ المَقَال »[٨] .

الاتِّجَاهُ الأَوَّل : مَوقِفُ أَحْمَد شَلَبِي مِنَ المَرْأَةِ :

يَغْلِبُ الطابعُ الرومانسيّ على شعر أحمد شلبي المُوَجَّه للمرأة ؛ فنجده يرتدي ثياب العَاشِق الوَالِه ، في غير قصيدة ؛ وكأنما أراد – بوصفه شاعرًا رُومَانِسِيًّا – توسيع دائرة العطف والشعور ، وتذوُّق فُنُون الحياة ، وكَشْف ضُرُوب الجمال ؛ فهو يجمع بين المرأة والجمال ؛ لِيُصَوِّرَ حُبَّه الفريد .

والشاعر عند شيللي (Shelley) مَنْ يصوغ « أطيافًا تَنْبِضُ بِالحَيَاة ، أطيافًا أَوفَر حَيَاةً مِنَ الأَحْيَاءِ ، أطيافًا يَسْقِيها مِنْ ضَرْعِ الخُلُود » [٩] ؛ فالشاعر يَصْنَعُ ثوبًا مُزَرْكَشًا بِأَحْرُفٍ مِنْ نُور ، تُخِيل الواقعَ المَرِيرَ حُلْمًا جَمِيلاً ، وهذا ما

نستشعره مع أحمد شلبي حين جَعَل الحَبِيبَةَ ملاذًا له ووطنًا ، يقول في قصيدة (لِقَاء) :

عَينَاكِ لِي وَطَنٌ صَغِيرٌ هَادِئٌ
بِهِمَا أَرَى آفَاقَهُ وَحُدُودَهْ [١٠]

وتُعَرَّف الرومانسيَّة بأنها « انتصار الخيال والعاطفة الفرديَّة على النظام الذهنيّ الجاف ، وأنها كراهية الحياة الواقعيَّة الكالحة التي يريد الإنسان أن يَهْرُبَ منها ، وأنها ظمأٌ إلى الجميل والبعيد واللا محدود» [١١] .

فقد رأى الرومانسيونَ الشِّعْرَ « تعبيرًا عن النفس ، لا بمعناها الخاصّ ، ولكن بمعناها الإنسانيّ العام ، وما تضطرب به مِنْ خيرٍ وشَرّ وألم ولذة ، وتعبيرًا عن الطبيعة وحقائقها وأسرارها المبثوثة فيها » [١٢] .

وتتجلَّى الرومانسيَّة – بوضوحٍ تام – في شعر الغزل ؛ فإنما « خُلِقَ الإنْسَانُ لِلحُبِّ ؛ فهو لا يَشْعُرُ برجولته وإنسانيته إلا يومَ يَشْعُرُ حقيقةً أنه يُحِبّ ، أَمَّا قَبْلَ ذلك فهو يَبْحَثُ ، ويَقْلَقُ ، ويَضْطَرِبُ ، ويَضِلُّ في شُعَاعِ فِكْرِهِ ؛ حَتَّى إذا وَجَدَ الحب وعَرَفَه وقف واستراح وخلَّى زِمَامَهُ بيد القدر» [١٣] ؛ لذلك فهو إذ يَفْتَرِقُ عَنْ أُنْثَاه ، يفترق عن وطنه ولا شك ، وبهذا الشعور ، الوثيق الصلة بشعراء الرومانسيَّة ، يَمْضِي أحمد شلبي في خطابه للمرأة في ديوانه ، يقول في قصيدة (خَوف) :

لَمْ يَبْقَ بَعْدَكِ إِلاَّ
حُزْنُ اللَّيَالِي البَطِيئَة

وَهَزْلُ قَومٍ سُكَارَى
فِي الأُمْسِيَاتِ البَذِيئَة

تَشَابَهَ الحُسْنُ وَالقُبْحُ

فِي العُيُونِ الدَّنِيئَة

...

يَا مَلْجَأَ الرُّوحِ قُولِي :

أَحْيَا بِأَيِّ مَشِيئَة ؟

وَخَلْفَ بَابِي جِيَاعٌ

مِنَ الذِّئَابِ جَرِيئَة [١٤]

إِنَّ الكونَ عند الشاعر الرومانسيّ يَفْقِدُ بَهْجَتَهُ ومَعْنَاه ، حين ترحل الأُنْثَى خَارِج نِطَاق حياته ، كما عبَّر أَبُو تَمَّام (ت٢٣١هـ) – مِنْ قَبْل – بقوله :

لا شَيءَ ضَائِرُ عَاشِقٍ فَإِذَا نَأَى عَنْهُ الحَبِيبُ فَكُلُّ شَيءٍ ضَائِرُهْ [١٥]

وإن كان أبو تَمَّام – هنا – على خِلافِهِمْ ، حكيمًا يُقَرِّر ، لا شاعرًا والهًا يشكو.

وإِنْ قِيلَ إِنَّ هَذَا الشُّعُور بالفقد غير مقصورٍ على شعراء الرومانسيَّة ، قُلْنَا : نعم ، لكن ذلك الشعور بِأَنَّ المرأَةَ هي الملاذُ الآمِنُ الوحيدُ ، وبِفَقْدِهَا يكون الشاعرُ أَشْبَهُ بِالطِّفْلِ الضَّائِعِ فِي ضَجِيجِ عَالَمِ الكِبَارِ ، لا يكون بحال إلا فِي شعر الرومانسيينَ ، على خلاف غيرهم ؛ مِمَّنْ لا يَغْلِب عليهم هذه الصِّبْغَة ، ولعلَّ خيرَ مثالٍ لهم المُتَنَبِّي (ت٣٥٤هـ) ؛ إذ يقول :

كَأَنَّ الحُزْنَ مَشْعُوفٌ بِقَلْبِي فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الوِصَالا [١٦]

ومعلومٌ أن الشعور بالحزن ، غير الشعور بالضياع ، الذي نجده في شعر أحمد شلبي ؛ إذ يقول في قصيدة (إلى لُؤلُؤة) :

مَا سِوَى وَجْهِكِ عَنِّي يَدْرَأُ

لَهَبَ الحُزْنِ الذِي لا يُطْفَأُ

يَا عُيُونًا لَمْ أَزَلْ أَشْدُو لَهَا

مُنْيَتِي أَنْ يَحْتَوِينِي البُؤْبُؤُ

فَالأَسَى بَعْدَكِ صَحْوٌ دَائِمٌ
وَالهَوَى دُونَكَ حُلْمٌ مُرْجَأُ [١٧]

ويقول في قصيدة (وَيَبْقَى الحُبّ) :

مَا زَالَ قَلْبِي إِلَى عَينَيكِ يَأْخُذُنِي
عَبْرَ اللَّيَالِي ، وَعَبْرَ الخَوفِ وَالحَزَنِ

يَا مَنْ إِلَيكِ أَظَلُّ العُمْرَ مُغْتَرِبًا
وَأَنْشُدُ الحُبَّ فِي دُنْيَا تُعَذِّبُنِي

أَمْضِي إِلَيكِ ، وَفَوقَ الدَّرْبِ عَاصِفَةٌ
تَنُوحُ فِي عَالَمِ الآلامِ وَالمِحَنِ
...
أَسِيرُ خَلْفَ بَرِيقٍ لَسْتُ أُدْرِكُهُ
وَالرُّوحُ مِنِّيَ لَمْ تَخْلُدْ إِلَى وَطَنِ

أَدُورُ فِي جَنَبَاتِ الكَونِ أَبْحَثُ عَنْ
مَأْوَى أَلُوذُ بِهِ مِنْ قَسْوَةِ الزَّمَنِ [١٨]

ويقول في مرحلته الثانية فِي قصيدته (قَصِيدَة لَمْ تَكْتَمِل) :

إِنِّي ظَمِئْتُ إِلَى عَينَيكِ ؛ فَاقْتَرِبِي
فَنَهْرُ عَينَيكِ فِي الأَيَّامِ يَرْوِينِي [١٩]

إن الشاعر الرومانسيّ – عادةً – يستسلمُ للخيال ؛ « فيَجْحَد سُلْطَان العَقْل ، ويُتَوّج مَكَانَه العَاطِفَة وَالشُّعُور ، ويُسَلِّم القِيَادَ إِلَى القَلْبِ ، الذِي هُوَ مَنْبَعُ الإِلْهَامِ ،

وَالهَادِي الذي لا يُخْطِئُ ؛ لأنَّهُ مَوطِن الشُّعُور ومَكَان الضَّمِير » [٢٠] ؛ فقارئ هذه الأبيات ومثيلاتها في ديوان الشاعر لن يُخْطِئَ هذه النبرة الرومانسيَّة ، التي تُعَبِّر – بِقُوَّة – عن مأساة الرومانسيّ في ذلك العالم المُوحِش ، الذي يَعِيشُ الشَّاعِرُ غريبًا فيه .

والحياة عند الشاعر الرومانسيّ موقوفة على وجود المرأة ؛ حَتَّى إنَّ مظاهر الطبيعة تُعْلِن العِصْيَان عندما تغيب ، ولقد استمدَّ الشاعر هذه المعاني ، التي وَظَّفَهَا لِيَصِف إِحْسَاسه ، مِنْ وَحْي الطبيعة وجمالها ؛ فالطبيعة عند الرومانسيينَ « صديقة وَفِيَّة يُحِبُّونَها ؛ لِمَا تَمْنَحَهُ مِنْ جَمالٍ لِحِسِّهِمْ ، وهُدُوءٍ لِنُفُوسِهِم ؛ فَيَسْتَسْلِمُونَ إليها ، ويشاطرونها المُنَاجَاة ، ويَبُوحُون إليها بعواطفهم وآلامهم ، ويصورونها بقساوتها وجمالها » [٢١] ، والشاعر الرومانسيّ مُتَعَلِّقٌ بالجمال ، وخاصةً جمال الطبيعة ، التي تَمْنَحُهُ فيضًا من الألحان ، يَتَرَنَّمُ بها ما بين الفرح والشجن ؛ فالشاعر الرومانسيّ « يُحِسُّ بِضَرَبَاتِ فُؤَادِهَا ، ويَسْمَعُ رَخِيمَ إِنْشَادَهَا ، ويَلَذُّ التحدُّث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووِهَادِهَا» [٢٢] ؛ « إن الفَنَّان في قَلْبِ الحَقْلِ يَنْبِضُ وَيَهْتَزُّ كَمَا يَهْتَزُّ صَدَى الصَّوت » [٢٣] ، ومن ذلك قول أحمد شلبي في قصيدة (مِنْ أَغَانِي الخَوف) :

تَهُونُ بَعْدَكِ دُنْيَا سَادَهَا الهَرَجُ
وَقَلَّبَتْهَا رِيَاحٌ سَاقَهَا الهَوَجُ

الطَّيرُ فِيهَا عَلَى الأَعْشَاشِ ذَاهِلَةٌ
لا تُنْشِدُ اللَّحْنَ إلاَّ حِينَ تَنْزَعِجُ

وَالزَّهْرُ .. لَيسَ كَمَا كُنَّا نَهِيمُ بِهِ
فَلَيسَ يَنْبَثُّ مِنْ أَكْمَامِهِ أَرَجُ

مُنْذُ ارْتَحَلْتِ وَأَسْرَابُ المُنَى ارْتَحَلَتْ
وَالشَّمْسُ فِي كَهْفِهَا المَقْرُورِ لا تَلِجُ [٢٤]

وقوله في قصيدة (أُغْنِيَّة إِلَى غَائِبَة) :

الشَّمْسُ مَا زَارَتْ مَشَارِقَهَا
وَالفَجْرُ بَعْدَ اللَّيلِ لا يَأْتِي

هَلْ غَيَّرَتْ دُنْيَايَ زُخْرُفَهَا
أَمْ يَا تُرَى .. غَيَّرْتِهَا أَنْتِ ؟ [٢٥]

ومِنْ ثَمَّ « تَتَكَوَّن المرآة التي يَرَى فيها الشاعرُ نَفْسَه ، وتَرَى فِيها الطبيعةُ نَفْسَهَا ، وبذلك يَتِمُّ التَّقَابُلُ بين الطبيعة والوِجْدَان » [٢٦] ؛ فالطبيعة خَيرُ مُعَبِّرٍ عن « حالات الشاعر وتَذَبْذُبُه بين الفرحة والكآبة ، والأمل واليأس» [٢٧] ، وهِيَ مَظَاهِرٌ « لِهَذَا النِّظَام الإِلَهِيّ العَتِيد يُسَخِّر كُلَّ شَيء» [٢٨] .

ومِنَ المواقف التي وقفها أحمد شلبي رومانسيًّا ، موقفه حين استدعى ذكرى الحبيبة ، يظهر ذلك في قوله في قصيدته (قصيدة لم تكتمل) :

أَشُمُّ عِطْرَكِ فِي الأَشْيَاءِ .. فِي أُفُقِي
فِي هَدْأَةِ اللَّيلِ .. فِي هَمْسِ البَسَاتِينِ

فِي دَفْتَرِ الشِّعْرِ فِي اللَّوحَاتِ فِي كُتُبِي
فِي صَوتِ "فَيرُوزَ" بِالأَسْحَارِ يُشْجِينِي

وَفِي ضَجِيجِي، وَفِي صَمْتِي، وَفِي ضَحِكِي
وَفِي بُكَائِي ، وَفِي عُنْفِي ، وَفِي لِينِي [٢٩]

ويَلْجَأُ الشاعرُ الرُّومانسيّ للطبيعة ؛ لِتُعَبِّر بجمالها وفتنتها عن كُنْهِ نَفْسِه وعُمْق إِحْسَاسه ؛ فَقَدْ أَسَاءَ الإِنْسَانُ إِلَى نَفْسِه ؛ لأنَّه « ابتعد عن سَنَنِ الطبيعة ،

وليس مِنْ دَوَاءٍ لاسترداد سعادته سِوَى رُجُوعِهِ إلى أَحْضَان الطَّبِيعة ، وعودته إلى البساطة في العيش ، والابتعاد عن التكلُّف» [٣٠] ؛ فهو يُرِيدُ خَلْقَ عَالَمٍ جَدِيد ، يُمَثِّلُ « الحياة الأُخْرَى التي ارتآها وأنشأها في آنٍ واحد» [٣١] ؛ فالرومانسيونَ ينظرونَ إلى الطبيعة على أنها « رُوح معشوق ، له مِنَ الحِسّ والشُّعُور ما يُلْهِمُهُمْ روائع الفن ، ويُنْطِقُهُم بأعذب أناشيده وأرقّها وأصفاها ... إنهم يتصوفونَ فِي حُبِّهِم للطبيعة وفي إحساسهم بها ؛ لأنَّهم كانوا يَرَون فيها الوجه النَّقِيّ المُشْرِق للحياة ؛ حيث لم تُعَكِّرْ صَفْوَهَا أَحْقَادُ البَشَر ، أو تُشَوِّه جَمَالَهَا مَطَامِعُ بَنِي الإنسانِ » [٣٢] ؛ فهو يَعُدُّ الطبيعةَ مُلْهِمَته الخالدة ، التي تَمْنَحُهُ فيض الكلمات ، في زهرها وذبولها ؛ فَهِيَ صَدِيقة وَفِيَّة لا تَضِنُّ على الشاعر بإلهامها مهما أَتَى الزمنُ على جَمَالِهَا .

يقول في قصيدة (أُغْنِيَّة إِلَى غَائِبَة) :

مَاذَا لِمَنْ غَنَّاكِ أَبْقَيتِ
غَيرَ السُّكُونِ ، وَوَحْشَةِ البَيتِ ؟

وَأَزَاهِرٍ ذَبُلَتْ بِشُرْفَتِهِ
وَشُحُوبِ مِصْبَاحٍ بِلا زَيتِ ؟

أَشْيَاؤُهُ – الأَحْزَانُ تَمْلَؤُهَا
وَالذِّكْرِيَاتُ تَئِنُّ .. فِي صَمْتِ

صُوَرٌ عَلَى الجُدْرَانِ نَازِفَةٌ
وَمَقَاعِدٌ تَبْكِي بِلا صَوتِ [٣٣]

ومن صور الرومانسيَّة في شعره كذلك رؤيته للحبّ بوصفه « فَضِيلَة الفَضَائِل » [٣٤] ، ويقول فيكتور هوجو (Victor Hugo) : « الله وَجْهُهُ نُورٌ ، ليس له سِوَى اسْم هُوَ (الحُبّ) ، وإذا خَلا الكَونُ مِنَ الحُبِّ لانطفأت الشمس » [٣٥]

؛ فهو يراه شقاءً جميلاً ، الأمر الذي نجده عند أغلب قصائد شعراء تلك النزعة ؛ فهم إِنْ لَمْ يَحْظَوا بهذا الشقاء ، اصطنعوه ، أو كما عبّر أحمد عبد المعطي حجازي في أَوَّلِ دواوينه :

كُنْتُ أَهْوَى هَؤُلاءِ الشُّعَرَاء
أَتَسَامَى فَوقَ غَيمٍ نَسَجُوه
وَأَرَى الحُبَّ شُرُودًا ... وَتَهَاوِيم ، وَحُزْنَا
وَالمُحِبُّ الحَقُّ ... مَنْ يَهْوَى وَيَفْنَى
وَعَمِيقُ الحُبِّ ... حُبٌّ لَمْ يَتِم
لِيَقُولُوا ... يَالَلَحْنٍ لَمْ يَتِم (٣٦)

وبِمِثْلِ هذه الرؤية الرومانسيَّة للحب يقول أحمد شلبي في قصيدة (الطَّرِيق إِلَى عَالَمِ الحُبّ) :

إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى دُنْيَا مَحَبَّتِنَا
هُوَ العَذَابُ.. هُوَ الحِرْمَانُ وَالسَّهَرُ

هُوَ الفِرَارُ مِنَ الدُّنْيَا وَظُلْمَتِهَا
حَتَّى يُذِيبَ الدُّجَى فِي لَيلِهَا القَمَرُ

هَذَا طَرِيقِيَ .. مَا أَحْلَى الشَّقَاءَ بِهِ
وَإِنْ بَدَا الدَّمْعُ مِنْ عَينَيَّ يَنْهَمِرُ

هَذَا غِنَائِي .. إِذَا شِئْتِ الغِنَاءَ مَعِي
فَدُونَ لَحْنِ الأَسَى لا يُطْرِبُ الوَتَرُ (٣٧)

ويقول في قصيدة (إِلَى فَاء) :

أَشْقَى بِعَينَيكِ اللَّتَينِ أَذَابَتَا

قَلْبِي ، وَكَمْ يَهْوَى الشَّقَاءَ رِجَالُ [٣٨]

فنحن إزاء ذلك الشعر نرى موقف شاعر رومانسيّ تجاه المرأة ؛ فهو تارةً يَتَغَنَّى بِحُبِّهَا ، وأُخْرَى يَنْعَى هذا الفُؤَادَ المُعَذَّب والقَلْبَ الشَّقِيّ ، ويَغُوص فِي بَحْر الرومانسيَّة لِيَقْتَنِي أَجْمَلَ صَدَفَاتِ الكَلِم ولآلئ التعبير.

الاتِّجَاهُ الثَّانِي : الحُبُّ الثَّقَافِيُّ لِلمَرْأَةِ :

إِنْ بَدَا أحمد شلبي رُومَانِسِيًّا فِي بعض المواضع ؛ فليس ذلك أسلوبه الأوحد في موقفه من المرأة ؛ ففي مواضع أخرى نرى خطابه لها يأخذ منحًى مختلفًا ، نعدم فيه خيالات الرومانسيينَ ، وتهاويمهم ، ونلحظ سُلْطَةَ العَقْلِ مُسَيطَرَةً ؛ فيخاطبها الشاعر خطابًا ثقافيًّا ، لا تُصْبِحُ فيه المرأة مجرد أنثى يَهِيمُ بها ، إنما صورة لحُلْم مَا فِي خاطره ؛ فالصورة في الشعر « ليست إلا تعبيرًا عن حالة نفسيَّة مُعَيَّنَة يُعَانِيهَا الشاعر إزاء مَوقف مُعَيَّن مِنْ مَوَاقِفِه مع الحياة ، وأَنَّ أيّ صورة داخل العمل الفنيّ إنما تَحْمِل مِنْ الإحساس ، وتُؤَدِّي مِنَ الوَظِيفَة ما تَحْمِلُهُ وتُؤَدِّيه الصورة الجزئيَّة الأُخْرَى المُجَاوِرَة لها ، وأن مِنْ مَجْمُوع هذه الصور الجزئيَّة تتألف الصورة الكليَّة التي تنتهي إليها القصيدة » [٣٩] ، يقول في قصيدة (الفَارِس المَجْهُول) :

قَدِمْتُ عَلَى جَمْرِ المُنَى .. أَتَلَهَّفُ
فَلَيتَ التِي مِنْ أَجْلِهَا جِئْتُ – تَعْرِفُ

مَعِي كَي أُزَيِّنَ الجِيدَ مِنْكِ قِلادَةٌ
مَعِي مِنْ تُرَاثِ المَجْدِ سَيفٌ وَمُصْحَفُ

وَفَوقَ جَنْبِي الكبر ... مَا انْفَكَّ آيَةً
تَهُبُّ بِهَا رِيحُ اللَّيَالِي وَتَعْصِفُ

وَبَينَ يَدَيَّ الحُبُّ يَحْمِلُ شُعْلَتِي
وَحَولِيَ رَايَاتٌ.. إِلَيكِ تُرَفْرِفُ [٤٠]

ولا يهمنا في هذا المقام أكان الشاعر يُرِيدُ قضيةً خاصَّة أم عامَّة ، إنما المُهِمُّ : كيف عبّر هنا بأسلوب يُخَالِف الأسلوب الرومانسيّ الذي رأيناه سابقًا .

ويَتَّضِحُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي قَولِهِ في قصيدة (مُجَادَلَة) :

قَالَتْ :
وَكَيفَ تَكُونُ قِصَّتُنَا ؟
قُلْتُ : البِدَايَةُ دَائِمًا فَحْوَى

قَالَتْ :
وَفِيمَ تَطُولُ رِحْلَتُنَا ؟
وَالنَّاسُ مَرُّوا حَولَنَا عَدْوَا

قُلْتُ :
أُتْرُكِيهِمْ .. إِنَّهُمْ خَضَعُوا
لِسَرَابِ زِيفِهِمُ الذِي أَغْوَى

لَكِنَّ لِي فِي الحُبِّ
مَنْزِلَةً
هِيَ مِنْ وُجُودِي
غَايَةٌ قُصْوَى

قَالَتْ :
فَقُلْ لِي : هَلْ لَنَا أَمَلٌ

أَنْ نَسْتَرِيحَ .. وَنَبْلُغَ الشَّأْوَا ؟

قُلْتُ :

اسْتَرِيحِي .. فَالهَوَى أَمَلٌ

أَوَلَيسَ يَكْفِي أَنَّنَا نَهْوَى ؟ (٤١)

فبمثل هذه الأبيات ومثيلاتها يَنْفِي أحمد شلبي موقفه الرومانسيّ السابق ، فنحن هنا نرى سلطة العقل الحِوَاري الحِجَاجِيّ – إن جاز التعبير – هي السلطة الأقوى ، على خِلاف أسلوبه السابق الذي كان فيه عاشقًا ولِهًا ، ليس عليه من سلطان غير الوِجْدَان .

ومن ذلك أيضًا ، قوله في قصيدة (فَصْل فِي النِّسَاء) :

قَلْبِي الذِي بِالنِّسَاءِ يَمْتَلِئُ

أَنْتِ لَهُ مُنْتَهَى وَمُبْتَدَأُ

وَأَنْتِ آفَاقُهُ ، وَعَالَمُهُ

وَأَنْتِ مِنْ دُونِهِنَّ مُلْتَجَأُ

...

إِلَى العُيُونِ الفِسَاحِ أَلْتَجِئُ

فَفِي مَدَاهَا المَهَاةُ وَالرَّشَأُ

وَزَورَقِي بَينَهُنَّ مُرْتَحَلُ

وَالشَّاطِئَانِ: الصَّوَابُ وَالخَطَأُ

فَالشَّوقُ كَالنَّهْرِ بَعْضُهُ لُجَجٌ

مِنْ سَلْسَبِيلٍ ، وَبَعْضُهُ حَمَأُ (٤٢)

فهو وإن وَقَفَ موقف المُحِبّ الذي لا يُسَاوِي بمَنْ يُحِبُّ أحدًا ، لا تَجِدُ منه ذلك التَّدَلُّه والوَلَه الذي رأيته هناك ، كما كان الحال عند نزار قباني (ت١٩٩٨م) ، لا سيما فِي دواوينه الأولى ، التي غَلَبَتْ عليها الروح الغزليَّة التي تُمَيِّز عُمَر بْن أَبِي رَبِيعَة المَخْزُومِيّ (ت٩٣هـ) ؛ فالرومانسيونَ يمتلكونَ مشاعر عُذْرِيَّة في الحُبِّ « يتسامون بها فوق مستوى الغرائز ، ويرتقون بها فوق مستوى الشهوات ، ويستعلون بها فوق رغبات الجسد » [٤٣] ، ولقد عَزَّزَ ذلك لغة أحمد شلبي المُحَايِدَة ، كقوله : (منتهى ومبتدأ – آفاقه وعالمه – الصواب والخطأ) ، أو هذه الجملة التبريريَّة في آخر بيت ؛ فلا يُعَلِّل الرومانسيّ عواطفه ، أو يلتمس لها مُبَرِّرًا .

الاتِّجَاهُ الثَّالِثُ : المَرْأَةُ قَضِيَّةً اجْتِمَاعِيَّة :

لقد اشتركت مرحلتا تَطَوُّر أحمد شلبي في خطابه الرومانسيّ والثقافيّ تجاه المرأة ، فلم نَرَ تَغَايُرًا في المرحلتين من حيث الأسلوب ، لكنه ينفرد في مرحلته الثانية – إلى جانب الموقفينِ السابقينِ – بموقفه من المرأة بوصفها قضيَّةً اجتماعيَّة ، يُدَافِعُ عنها دفاعًا يُحِيلُنَا – لا محالة – إلى نصوص الشاعر السوريّ نزار قباني ، الذي اشتهر بأنه يُعْلِي من قيمة المرأة ، أمام مَنْ يَعُدُّونَهَا سِلْعَةً معروضةً ، تَطْلُبُ مَنْ يشتريها بالثمن النفيس ، ولا شَكَّ في صِدْق أمل دنقل **(ت١٩٨٣م)** حين قال : « الإنسان الشرقيّ مرتبط بالمرأة الأم أَوَّلاً ، وأَعْتَقِدُ أَنَّ الشاعرَ يَسْتَطِيع أَنْ يَنْقِلَ الوَلاء لِلأُمِّ إلى الولاء للوطن » [٤٤] ؛ فالمرأة بالنسبة للإنسان – وخاصة للشاعر – نِصْف مجتمعه ، نِصْف حُلْمِه ، نِصْفُ دُنْيَاهُ ، يقول أحمد شلبي تحت عنوان (جُمُوح) :

كُونِي – كَمَا أَحْبَبْتِ – مُفْتَرِسَةْ
إِنّي أُحِبُّ المَرْأَةَ الشَّرِسَةْ

كَيفَ العُيُونُ – تَرَاكِ لُؤْلُؤَةً –
مَا دُمْتِ فِي الأَصْدَافِ مُحْتَبِسَةْ ؟

وَالمُشْتَهِي لِلدُّرِّ – يُنْكِرُهْ
إِنْ لَمْ يَكُنْ بِيَدَيهِ قَدْ لَمَسَهْ

فَتَدَفَّقِي مَاءً ... وَعَينَ هَوًى
مِنْ بَينِ صَخْرِ العُمْرِ مُنْبَجِسَةْ
...
كُونِي – كَمَا أَهْوَاكِ– جَامِحَةً
كُونِي لِبَعْضِ الوَقْتِ مُخْتَلِسَةْ

إِنْ كَانَ حِصْنُكِ مَانِعًا– فَدَعِي
قَلْبِي يَقُودُ بِأُفْقِهِ فَرَسَهْ

لا تَعْبَئِي بِدَبِيبِ أَرْجُلِهِمْ
وَصُراخِهِمْ فِي البُقْعَةِ الدَّنِسَةْ (٤٥)

واضِحٌ أَنَّ هذا الخطاب الثوريّ تجاه قضية المرأة ، يُشْبِهُ مَا وَجَدْنَاهُ عِنْدَ نزار قبانى في قوله :

أَحِبّينِي وَقُولِيهَا
لأَرْفُض أَنْ تُحِبّينِي بِلا صَوتِ
وَأَرْفُضُ أَنْ أُوَارِي الحُب
فِي قَبْرٍ مِنَ الصَّمْتِ
أَحِبّينِي بَعِيدًا عَنْ بِلادِ القَهْرِ وَالكَبْتِ
بَعِيدًا عَنْ مَدِينَتِنَا التِي شَبِعَتْ مِنَ المَوتِ
بَعِيدًا عَنْ تَعَصُّبِهَا ...

بَعِيدًا عَنْ تَخَشُّبِهَا ...
بَعِيدًا عَنْ مَدِينَتِنَا
التِي مِنْ يَومِ أَنْ كَانَتْ
إِلَيهَا الحُبّ لا يأْتِي (٤٦)

فعلى الرغم من اختلاف الشاعرين في مدى الجُرْأَة في الطرح ، وشكل التعبير بما يُوَافِق أسلوب كُلّ شاعر ، إلا أنهما متفقانِ في تأصُّل الفكرة في نفسيهما ، ويؤكد ذلك أنهما عَبَّرَا عن قضية المرأة العامَّة ، بخطابٍ لامرأة مخصوصة ؛ مِمَّا يُضْفِي على النص أُلْفَة ، لا نجدها في الخطاب المُبَاشِر ، مِنْ فَوقِ مِنْبَرِ الثَّائِرِينَ .

ويتضح ذلك الأسلوب (المزج بين الخاص والعام) عند أحمد شلبي كذلك ، في قصيدته (الوَجْه الغَائِب) ؛ إذ يقول :

بُوحِي بِسِرِّكِ
مِنْ خَلْفِ الشَّبَابِيكِ
وَأَمْطِرِي
قَطَرَاتِ البَوحِ
مِنْ فِيكِ

تِلْكَ الشَّوَارِعُ وَالحَارَاتُ
أَسْأَلُهَا
بِأَيِّ كَهْفٍ يَدِ النَّخَّاسِ تُخْفِيكِ ؟

وَهَلْ رَحَلْتِ مَعَ الأَعْرَابِ
بَادِيَةً
أَمِ ارْتَمَيتِ

بِأَحْضَانِ المَمَالِيكِ؟

وَهَلْ سَقَطْتِ
– يَوَاقِيتًا وَلُؤْلُؤَةً –
لَمَّا تَنَاثَرْتِ فِي أَيدِي الصَّعَالِيكِ ؟

بُوحِي بِسِرِّكِ :
مَنْ بِالقَيدِ يُدْمِيكِ ؟
وَمَنْ يَبِيعُكِ ،
أَو مَنْ يَشْتَرِي فِيكِ ؟ (٤٧)

إِنَّ المرأة عند أحمد شلبي ليست مجرد حبيبة ومعشوقة ، إنما هي قضية اجتماعية ، بوصفها إنسانًا له أزماته ومشكلاته داخل مجتمع ذكوريّ بحت ، ويَتَّخِذُ الشِّعْرُ الحَدِيثُ والمعاصر« من الإنسان موضوعًا من أكبر الموضوعات التي يُعَالِجُهَا ، بكل ما يَعْرِضُ لِهَذَا الإنسان ، وما تَجِيشُ به نفسه مِنْ مشاعر كالفرح والحزن والألم والرضا والإحباط والقلق والتعاسة والسعادة والحُبّ والكُرْه ، إلى غير ذلك من هذه الثنائيات التي تُؤَثِّر في الإنسان لكونه إنسانًا » (٤٨) .

وقد أعلن الشاعر في الأبيات السابقة قضية المرأة – على وجه العموم – كما يراها ؛ من حيث الوَحْدَة ، والسجن الشرقيّ الذي تعيش فيه ، ثُمَّ بَيَّن حقيقة هؤلاء السَّجَّانِينَ ، وهُوَيَّتهم ؛ فهم نَخَّاسُون ، مماليك – في إشارة تجعل قضية المرأة هي قضية الوطن – صعاليك ، ثُمَّ يتحول الشاعر بعد ذلك من الخطاب العامّ إلى الخاصّ ، مُكَمِّلاً قصيدته ، يقول :

كُلُّ الوُجُوهِ
وُجُوهٌ لَسْتُ أَعْرِفُهَا
وَلَيسَ حَولِيَ مَولًى مِنْ مَوَالِيكِ

فَأَينَ وجْهُكِ ؟
فَالأَضْوَاءُ خَافِتَةٌ
وَلَسْتُ أَعْرِفُ دَرْبًا نَحْوَ وَادِيكِ

يَا مَنْ نَسَجْتِ حُرُوفَ الحُزْنِ لِي لُغَةً
هَلْ تَسْمَعِينَ رِثَائِي
حِينَ أَبْكِيكِ ؟

هَذَا أَنَا –
لَمْ أَزَلْ أَشْتَمُّ عِطْرَكِ فِي
تَذْكَارِ عَينَيكِ
فِي أَورَاقِ مَاضِيكِ

مُنْذُ افْتَرَقْنَا
وَقَلْبِي صَارَ أَجْنِحَةً
بِهِ أَحُطُّ حَزِينًا
فِي لَيَالِيكِ

وَأُغْنِيَاتِي
سَحَابَاتٌ أَطُوفُ بِهَا
سَمَاءَ غَيهَبَكِ الدَّامِي
أُنَادِيكِ (٤٩)

ومثل نزار قباني ، يُعَبِّرُ أحمد شلبي – في هذا الإطار– عن مشاعر المرأة بلسانها ، يقول على لسان أرملة في قصيدته (الأَرْمَلَة والغُصْن الصَّغِير) :

هَذِهِ أَشْيَاؤُنَا – صَامِتَةً
فِي زَوَايَا الحُزْنِ أَمْسَتْ نَاعِسَةْ

بَيتُنَا– النَّهْرُ– الطُّيُورِ– المُنْحَنَى
السَّوَاقِي– وَالزُّرُوعُ اليَابِسَةْ

كُلُّ غَرْسٍ – كُنْتَ قَدْ أَودَعْتَهْ
بِيَدَيكِ الأَرْضَ– يَبْكِي غَارِسَهْ

أَيُّهَا الرَّاحِلُ عَنِّي – فَجْأَةً –
مَنْ رَمَى قَلْبِي ؟ وَمَنْ قَدْ خَالَسَهْ ؟ (٥٠)

إن قصائد أحمد شلبي التي قالها في هذه المرحلة ، تُظْهِرُ – بِجَلاءٍ – تَطَوُّر أفكاره وخطابه تجاه المرأة ، الأمر الذي يضعه إلى جانب الأدباء الذين اشتهروا بإنصاف قضيتها ؛ فلم يكن ذاك الشاعر المُتَغَنِّي بمفاتن النساء ، أو ذاك الدائم البكاء لِفَقْدِهِنَّ ، إنما كان شاعرًا موضوعيًّا اتخذ من قضية المرأة موضوعًا لشعره ، يطرح فيه مشكلاتها ويكشفها بقصائده المُنَمَّقَة الكلمات والفِكَر.

المَبْحَثُ الثَّانِي : اغْتِرَابُ الذَّاتِ عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِي :

لا شَكَّ في أن الشاعر « رَجُلٌ حَائِرٌ هَائِمٌ لا يستطيعُ أَنْ يَسْتَقِرَّ ، وأكبر ظني أنه لو استقر لكان أشقى الناس ؛ فهو سعيدٌ مُغْتَبِطٌ بِهُيَامِهِ ، مُبْتَهِجٌ بهذا التيار الذي دفعته إليه نفسٌ طَمُوحٌ جدًّا ؛ لأنَّها نَفْسُ شَاعِرٍ عاجزة جدًّا ؛ لأنَّها نفسُ إنسان » (٥١) ، إنَّ الشَّاعِرَ « لا يرى الشيءَ رُؤْيَتَنَا له ، وإنما يَرَى رُوحَه ، وكأن كل شيء تحت بصره له وجود آخر غير الوجود الظاهريّ الذي نراه ، أو كَأَنَّ فيه

لحنًا من الحياة لا نسمعه ، إنما يسمعه هو بأُذُنِهِ المُرْهَفَة » [٥٢] ؛ فالأدب والفن « تعبيرٌ عن اللاوعي الفرديّ ، تظهر فيه تفاعلات الذات ، وصراعاتها الداخليَّة » [٥٣] ؛ ذلك أن الشاعر « الذي لا يُعَبِّرُ عن نفسه صانع ، وليس بِذِي سليقة إنسانيَّة ، فإذا قرأت ديوان شاعر، ولم تعرفه منه ، ولم تتمثل لك شخصية صادقة لصاحبه ؛ فهو إلى التنسيق أقرب منه إلى التعبير » [٥٤] .

وعلى الرغم من سيطرة الخطاب العاطفيّ تجاه المرأة على نصوص أحمد شلبي في مرحلته الأولى ؛ فلا نعدم صوته الغنائيّ الفرديّ ؛ « فالرومانسيَّة ليست مدرسة أدبيَّة فحسب ، بل هي موقف ثقافيّ عام ... يَتَبَدَّى فِي كُلِّ صُوَر الثقافة وأشكالها » [٥٥] ، ومن ذلك ما عَرَضَه تحت عنوان (المُغَنِّي) :

عِنْدَمَا يَدْخُلُ المَسَاءُ عَلَيهِ
يُطْلِقُ الحَيُّ فِي الظَّلامِ كِلابَه

تَأْكُلُ الشِّعْرُ وَالرَّبَابَةُ مِنْهُ
وَيُعَانِي الفَتَى العَنِيدُ اغْتِرَابَه

يَا ذَوِي الحَيِّ :
إِنَّ هَذَا المُغَنِّي
لَيسَ يَثْنِيهِ عَنْ هَوَاهُ عِصَابَة

كَيفَ يَخْشَى كِلابَكُمْ فِي اللَّيَالِي
مَنْ يَعِي
أَنَّ لِلرَّدَى أَسْبَابَه ؟

إِنَّ مَنْ عَاقَرَ الغِنَاءَ سَيَشْدُو

حِينَ يَبْدُو..

وَحِينَ يُغْلِقُ بَابَه [٥٦]

فالشاعر يَعْرِضُ مأساة المُغَنِّي /الشاعر /النبيّ في زمانٍ تافه ، ومِنْ ثَمَّ يجد الجُحُود ، والقَمْع ، والخِذْلان ، وهي فكرة رومانسيَّة خالصة ، تتمثل في جحود معاصري الفاضل الكريم فضله من جهة ، وعِنَاده من جهةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ الأَمَل الذي يَحْمِلُهُ بين جنبيه ، بأنه سينتصر أخيرًا .

وكُلّ ذلك من دواعِي الأسلوب الرومانسيّ الذي اتخذه الشاعر في هذه المرحلة ، ويظهر ذلك في زفراته الفرديَّة الوجدانيَّة ، وهو في سياق خطابه للمرأة ، في غير قصيدة ، كأن يقول عازفًا على النغمة نفسها في قصيدة (إلى لُؤْلُؤَة) :

مَا عَسَى يُرْجَى مِنَ الشِّعْرِ إِذَا

كُتِبَ الشِّعْرُ لِمَنْ لا يَقْرَأُ ؟

وَالأَنَاشِيدُ التِي غَنَّيتُهَا

كُلَّ حِينٍ .. فِي شِفَاهِيَ تَظْمَأُ

وَالأَمَانِيُّ التِي خَبَّأْتُهَا

مِنْ جِرَاحِ اليَأْسِ لَيسَتْ تَبْرَأُ [٥٧]

وقريب من ذلك قوله في قصيدة (الوُقُوف بِمُنْتَصَفِ العُمْر) :

بِمُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ نَزَفْتُ عُمْرِي

فَلَمْ أَمْلِكْ غُدُوًّا أَو رَوَاحَا

وَكَيفَ يَرُوقُ لِلأَطْيَارِ أُفْقٌ

إِذَا كَسَرَ الزَّمَانُ لَهَا جَنَاحَا ؟

وَكَيفَ لِزَورَقِ الأَحْلامِ يَجْرِي
إِذَا افْتَقَدَ الشِّرَاعُ بِهِ الرِّيَاحَا ؟ [٥٨]

إِنَّ مَأْسَاةَ الشَّاعِرِ فِي هذه المرحلة مأساة المُثَقَّف الموهوب ، صاحب الإحساس الرقيق المُرْهَف ، الذي يتلظَّى بنار الحسرة ، عندما يُسَاوِرُهُ ذلك الإحساس البغيض بالظُّلْم ، الذي ينتابُ الرجلَ الفاضلَ الكريمَ ؛ فيجعله يتقلب على جَمْرِ الغَضَا ، بعد أن يتَجَرَّع مرارة الخيبة ؛ لأنَّ مواهبَهُ صارت وبالاً عليه ، ولعلَّ ذلك جوهر الفكر الرومانسيّ الفرديّ الذي اصطَبغت به مرحلة الشاعر الأولى .

وحاله في ذلك حال بطل رواية (الشَّحَّاذ) لنجيب محفوظ ؛ إذ يقول : « ولكن صَدِّقْنِي أنَّ العِلْمَ لَمْ يُبْقِ شيئًا للفَنِّ ، سَتَجِدُ فِي العِلْمِ لَذَّةَ الشِّعْرِ ، ونَشْوَةَ الدِّينِ ، وطُمُوحَ الفَلْسَفَة ، صَدِّقْنِي أَنَّه لَمْ يُبْقِ للفنِّ إلا التسلية ، وسينتهي يومًا بأن يصيرَ حِلْيَةً نِسَائِيَّة ؛ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِي شَهْرِ العَسَل ... اقْرَأْ أَيَّ كِتَابٍ فِي الفَلَكِ أَو فِي الطَّبِيعة أَو فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ العُلُوم ، وتَذَكَّر ما تشاءُ مِنَ المسرحيات أو دواوين الشِّعر ، ثُمَّ اختبر بدِقَّة إِحْسَاس الخَجَل الذي سَيَجْتَاحَكَ ... هَذَا الشُّعُور المُخْجِل لا يُعَانِيه إلا الفنان المَنْبُوذ مِنَ الزَّمَنِ »[٥٩] .

إِنَّ بَطَل نجيب محفوظ يُدْرِك الأُمُورَ بِعَينٍ وَاقِعِيَّة ، ولا شَكَّ فِي أَنَّ المرء ليشعر أمام ذلك الموقف بشيءٍ من العَجْز فِي سُلُوكِ صَاحِبِهِ .

وعندما يحاول أحمد شلبي أن يَخْرُجَ عن دائرة الشعور بهَوَان عَمَلِهِ وتَفَاهَتِهِ ؛ يَقِفُ مَوقِفَ الحُكَمَاء ، ويتأمل الحياة والوجود ، لِيُخْرِجَ خَطَرَاتٍ وِجْدَانِيَّة حَكِيمَة ، يقول في قصيدة (طُيُور قُرْآنِيَّة) ، في الغُرَاب :

مَا سِرَّهُ هَذَا الغُرَابْ
فِي الأَرْضِ يَبْحَثُ وَالتُّرَابْ

وَعَلَيهِ رِيشٌ أَسْوَدٌ
كَاللَّيلِ لَيسَ بِهِ شِهَابْ

مَا سِرُّهُ هَذَا الغُرَابْ ؟

بِنَعِيقِهِ البَاكِي شَجَنْ
وَعَلَيهِ أَلْوَانُ الحَزَنْ

أَتُرَاهُ يَنْعَى رَاحِلاً
أَمْ يَا تُرَى أَثَرُ الزَّمَنْ ؟

مَا سِرُّ أَحْزَانِ الغُرَابْ ؟

هُوَ شَاهِدُ الحَدَثِ الأَلِيمْ
فِي قِصَّةِ القَتْلِ القَدِيمْ

لَمَّا ابْنُ آدَمَ قَادَهُ
وَسْوَاسُ شَيطَانٍ رَجِيمْ

فَمَضَى إِلَى سُوءِ العِقَابْ (٦٠)

ويَمْضِي الشاعر فِي قصيدته يُقَرِّرُ مثل هذه الحقائق ، بلغة تقريرية ، يقول في (الهُدْهُد) :

أَنَا أُحِبُّ الهُدْهُدَا
المُؤْمِنَ المُوَحِّدَا

الطَّائِرَ المُغَرِّدَا

يَدْعُو إِلَى الإِيمَانْ

سُبْحَانَ مَنْ قَدْ أَعْلَمَهْ
بِخَبْئِهِ وَأَطْعَمَهْ

إِنَّ الإِلَهَ عَظَّمَهْ
بِالذِّكْرِ فِي القُرْآنْ [٦١]

ثُمَّ يَمْضِي الشاعر يُكَرِّر قِصَّتَهُ مَعَ سُلَيمانَ النَّبِي ، في شكلٍ تقريريّ .

وعُذْر الشاعر هنا كونه حديثَ عَهْدٍ بالشعر ، فضلاً عن الحكمة التي لا تُوَافِق طبيعة الصِّبَا الباكر ؛ لذلك فإننا نكاد نراه شاعرًا آخر في مرحلة نُضْجِه ، يَقِفُ موقفًا وجوديًّا ؛ فلم تعُدْ الرُّومَانِسِيَّة مُسَيطِرَة على فكره الناضج ، إنما اتَّسَعَتْ صَفَحَات دَوَاوِينه في هذه المرحلة ، لتشمل تساؤلاتٍ عميقة ، مُلْؤُها الحكمة التي تُمْلِي عليه الاستسلام .

ويَظْهَرُ مدى نُضْج فِكْره في قصيدته (نَهْر الأَحْزَان) ، التي يقول فيها :

وَمَنْ أَنْتَ ؟
مَا عُدْتَ أَنْتَ الذِي
هَوَاهُ
بِكُلِّ القُلُوبِ يَقَرُّ

سَرَابًا –
تَرَاءَيتَ لِلظَّامِئِينَ
وَحُلْمًا
بِجُنْحِ اللَّيَالِي يَفِرُّ

وَكَيفَ
يُصَدِّقُكَ الهَائِمُونَ
وَأَنْتَ بِكُلِّ طَرِيقٍ تَخِرُّ ؟

فَيَا نَهْرَ حُزْنٍ
سَرَى فِي الدِّمَاءِ
كَفَاكَ ،
فَمَا عَادَ فِي الأَمْرِ سِرُّ

فَمُرَّ بِوَقْتِكَ مِنْ أَيِّ بَابٍ
وَكُنْ
مِثْلَ لَيلٍ كَئِيبٍ يَمُرُّ [٦٢]

فأنت ترى الفارس الرومانسيّ الذي كان يُشْهِرُ سَيفَهُ هناك مُتَحَدِّيًا ، قد ترجَّل أخيرًا ، وأغمد السيف ، وأتى باللائمة على نفسه ، حين أدرك أن الأمور البسيطة – التي كانت تتراءى له قديمًا – صعبة ، شائكة ، وأن الوجود ليس له نقطة ابتداء وانتهاء ، كما كان يظن ، وبَاتَ في عينيه دائرةً مغلقة ، لا يَمْلِكُ أمامَها إلا الاستسلام .

وعلى كُلٍّ ؛ فَالفَنُّ كُلُّهُ « فِرَارٌ مِنْ وَاقِع مَرْذُول إِلَى مُمْكِن مَأْمُول ؛ حتى إذا ما تَحَوَّلَ هذا المُمْكِن إلى واقع أصبح حقًّا ولم يَعُدْ جمالاً ؛ فَيَعُود الفَنَّان إِلَى فِرَارٍ جَدِيد مِنْ عَالَمِ الحَقِيقة إِلَى عالم المُمْكِن المُتَصَوَّر» [٦٣] ، والرمزيَّة في الشعر ملجأ معظم الشعراء ، يقول أحمد شلبي في قصيدته (الرِّيح لا تَأْتِي بِهِنْد) :

إِنَّهَا مَا أَنْجَزَتْهُ مَا تَعِدْ
هَكَذَا تَمْضِي مَعَ الأَيَّامِ هِنْدْ

قَالَ لِلرِّيحِ التِي مَرَّتْ بِهِ :

بَلِّغِي:

أَنْ لَيسَ لِلأَشْوَاقِ حَدْ

أَدْمُعُ اللَّيلِ ،

وَنِيرَانُ الهَوَى

ظَمَأُ الرُّوحِ ،

وَآلامُ الجَسَدْ

تَعَبٌ حُمِّلْتُهُ مِنْ أَجْلِهَا

فَاذْكُرِي يَا رِيحُ مَا بِي مِنْ كَمَدْ [٦٤]

فعلى الرغم مِنْ حُضُور المرأة في القصيدة ؛ فإنها لا تعدو خلفيَّة ، وظلالاً ، لا تَبْرُزُ بقدر ما تَبْرُزُ عاطفة الشاعر الفرديَّة ، وتساؤلاته الوجوديَّة ، فتمتلئ القصيدة « بالمُتْعَة الخياليَّة والصُّوَر التي تَمَادَى بِهَا الانْفِعَال والخَيَال ، كما أنه كانت تتبلج له فيه الرُّؤْيَا الكُبْرَى في الأصقاع النفسيَّة النائيَّة » [٦٥] ، على خلاف مرحلته السابقة التي سَيْطَر فيها الخِطَاب العاطفيّ تجاه المرأة ، يقول :

ذَكِّرِي يَا رِيحُ هِنْدًا وَعْدَهَا

قَالَتِ الرِّيحُ :

وَهَلْ يُحْيِيكَ وَعدْ ؟

قَالَ :

يَا رِيحُ احْمِلِينِي نَحْوَهَا

قَالَتِ الرِّيحُ :

وَمَنْ

أَو
أَينَ هِندْ ؟

قَالَ :
يَا رِيحُ قِفِي ،
قَالَتْ لَهُ :
هِيَ نَجْمٌ
لَمْ يَلُحْ – فِي اللَّيلِ– بَعدْ

حَطَّ فِي أَحْزَانِهِ مُنْكَسِرًا
كَيفَ تُشْفَى نَفْسُهُ مِمَّا تَجِدْ ؟

قَالَتِ الرِّيحُ – وَقَدْ رَقَّتْ لَهُ – :
قَدْ تَفِي بِالوَعْدِ هِنْدٌ ،
قَالَ :
قَدْ [٦٦]

إن أحمد شلبي يبدأ من حيث انتهى عُمَر بن أبى ربيعة ، فيقرر في بداية القصيدة (إنها ما أنجزته ما تعد ...) في تناص رشيق مع بيت عُمَر في صَاحِبَتِهِ هِنْد بِنْت الحَارِث المُرِّيَّة :

لَيتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا مَا تَعِدْ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدْ [٦٧]

واضعًا أمام القارئ تَوَسُّلات عُمَر لِوِصَالِ صَاحِبَتِهِ هِنْد ، لكنه لا يكتفي بذلك ، فيمضي في قصيدته بتوسلاتٍ جديدة ، على غِرَار توسُّلات عُمَر ، لكن اللافت للنظر أن عُمَر لم يكن في توسلاته ، ورغبته في الوصال إلا لاهيًا عابثًا ، يقول :

قُلْتُ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا مَنْ شَفَّهُ الوَجْدُ ، وَأَبْلاَهُ الكَمَدْ
نَحْنُ أَهْلُ الخَيفِ مِنْ أَهْلِ مِنًى مَا لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَوَدْ !
قُلْتُ : أَهْلاً ، أَنْتُمُ بُغْيَتُنَا فَتَسَمَّيْنَ ؛ فَقَالَتْ : أَنَا هِندْ
حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ عُقَدًا ، يَا حَبَّذَا تِلْكَ العُقَدْ (٦٨)

على خلاف أحمد شلبي الذي بَدَا محبًّا صادقًا ، تُحَرِّكُه اللوعة ، ويحرقه الانتظار ، لا سيما أَنَّ انتظارَهُ انتظارٌ بلا أمل ، فهِنْد صاحبته ، ليست كَهِنْد عُمَر مرئيةً ، يصف عيناها ، وأطرافها ، وأسنانها ، ونعومتها ، وجُرْأَتها ، إلى آخر ما وصفها به عُمَر في قصيدته ، إنما هي كما تقول له الريح : – التي لا تعرف أين ، أو مَنْ تكون – نَجْمٌ في الأُفُق لم يَلُحْ بعد ؛ إِنَّ هِنْدَه لا تَعْدُو سرابًا ، كُلَّمَا اقترب منه الشاعر ابتعد .

إن هِنْدَ الشاعر هي أَمَلُهُ المُرْتَجَى ، هي الحقيقة المطلقة ، هي الدنيا التي لم يَنْجُ حَيٌّ مِنْ عِشْقِهَا ، ولكن لا سبيل إلى الوصال ، كما عبّر أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّي .

لكنه على الرغم من ذلك لم يَفْقِدْ كُلَّ الأمل ، ولم يَقْبَل كُلَّ اليَأْسِ ، إنما قَرَّرَ في شجاعة وُجُودِيَّة أن يَظَلَّ – على الرغم من يأسه التام – آمِلاً في موعدٍ قد يجيء .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : مَوقِفُ أَحْمَد شَلَبِي السِّيَاسِيّ والاجْتِمَاعِيّ :

من المعروف أن الانتماء السياسيّ قد يؤثر في عَفَوِيَّة الشاعر ، وصِدْقِه الشُّعُورِيّ ، ويحدّ مِنْ حُرِّيَتِه الإبداعيَّة ؛ فالصدق الدائم مع النفس ، يَجْعَلُ المَرْءَ متناقضًا في بعض الأحيان ، وعليه « فإنه يستطيع ويجب عليه أن يُظْهِرَ ما عنده من شيءٍ وحيد في مِزَاجِهِ الفَنِّيّ ، إنَّ طبيعته الخاصَّة ستصبح قاعدته الوحيدة الأساسيَّة ، ولن يحفظ من القواعد التقليديَّة إلا ما في هذه القواعد مِنْ أشياء مُرْتَبِطَة بِكُلِّ عَمَلٍ فَنِّيّ ، إنها قواعد قليلة ، وأقلّ ما فيها الذوق ، أمّا ما يجب أن يُعَبِّرَ عنه مهما كان النوع الذي اختاره ؛ فهو الشيء الخاصّ في نفسه ، تأثُّرَاته وعواطفه »

[٦٩] ؛ لذلك فحين يتعاطى الشاعر أمور السياسة ، يجب أن يكون حَذِرًا ؛ لأنَّه حينئذٍ يترك دائرة الفن إلى خُطُوط الحياة العاديَّة المستقيمة .

ذلك ما وجدناه عند أحمد شلبي ؛ فعلى الرغم من أنه قد انشغل في شعره بأمورٍ سياسيَّة واجتماعيَّة ؛ فإنه في ذلك لم يبتعد عن الشعر ؛ فلم يكن يُعَبِّر عن أيديولوجيَّة ، بقدر ما كان يُعَبِّر عن عاطفة في نفسه ، ويُعَزِّزُ ذلك أن انتماء الشاعر ليس أُحَادِيًّا ، إنما هو انتماء مُتَعَدِّد ، لا يُنَافِي بَعْضُهُ بعضًا ، يُوَضِّحُ ذلك قصيدته (الرَّقْص عَلَى الرَّمَاد) ، التي كتبها عن الشاب الذي رَقَصَ بعد أن أشعل النار في المجمع العلميّ عام ٢٠١١م ، يقول :

هَلْ يَعْرِفُ الرَّاقِصُ الشَّيطَانُ مَا الأَمْرُ

مَا الشَّعْبُ ..
مَا نَبْتُ هَذِي الأَرْضِ ..
مَا مِصْرُ

دُمُوعُ إِيزِيسَ ،
حَتْشِبْسُوتُ ،
حُورَس ، رَعْ
حَابِي ...
وَمُوسَى ...
أَخْنَاتُون ...
وَالخِضْرُ

نُورُ المَسِيحِ ..
خُطَى العَذْرَاء ..

رِحْلَتُهَا
التِي تَغَنَّتْ بِهَا الأَهْرَامُ وَالنَّهْرُ

نَشِيدُ آمُونَ ...
مَارِي جِرْجِسٍ ...
عَتَبَاتُ
الجَامِعُ الأَزْهَرِ
الإِنْجِيلُ ...
وَالذِّكْرُ

مَا الشَّافِعِيُّ ...
وَمَا سِيِّدْنَا الحُسَين
وَمَا
هَذِي المَآذِنُ
– إِذْ يَنْدَى بِهَا الفَجْرُ

الشَّيخُ رِفْعَتُ ...
قُدَّاسُ الكَنَائِس ..
شَدْوُ
أُمِّ كُلْثُومَ .....
إِذْ يُصْغِي لَهَا الطَّيرُ

شَوقِي ...
وَبِيرَم ...

وَالعَقَّاد ....

طَهَ حُسَين

فِي سَمَاءِ اللَّيَالِي أَنْجُمٌ زُهْرُ

نَجِيبُ مَحْفُوظ ....

تَوفِيقُ الحَكِيم ....

ومَنْ

جَمَالُ حَمْدَان ....

مَنْ أَعْلامُهَا الغُرُّ [٧٠]

فالشاعر لا ينتمي لمصر انتماءً بيئيًّا ضيقًا ، إنما مصر التي ينتمي إليها ، قد حَوتَ بين أرضها الحضارات كافَّة ؛ فالشاعر لا ينفصل عن وطنه ، بل يجب « أن يتصل ما يكتب بقلبه ، وعقله ، وكل حياته ، وليس ذلك بمستطاع – على أَكْمَلِ وُجُوهِهِ – إلا حينما نَصِفُ حياتنا وحياة قومنا ووطننا ، وكلّ ما تُوحِيه هذه الحياة للعقل والقلب والحِسّ والشُّعُور ؛ مما لا تستطيع حياة أخرى أن تُلْهِمَهُ أو تُوحِي به ، وبذلك نَصِلُ حاضرنا بماضينا » [٧١] ، وهذا ما فعله أحمد شلبي ، فهو يُعْلِي شأن رموز مِصْر الفرعونيَّة : (إيزيس – حتشبسوت – حورس – رع – حابى – أخناتون – نشيد آمون – الأهرام) .

ومِصْر القبطيَّة : (نور المسيح – خُطَى العذراء – ماري جرجس – الإنجيل) .

ومِصْر الإسلاميَّة : (الجامع الأزهر – الذِّكْر – الشافعيّ – الحُسَين – المآذن – صلاة الفجر – الشيخ رفعت) .

ومِصْر مَهْد الثقافة والفكر : (أم كلثوم – شوقي – بيرم – نجيب محفوظ – توفيق الحكيم – جمال حمدان – العقاد – طه حسين) .

ويَعْتَزُّ أحمد شلبي – كغيره مِنَ المِصْرِيينَ – بانتماءاتهم المتعددة : الفرعونيَّة واليونانيَّة والمسيحيَّة والإسلاميَّة ، التي أَثَّرَتْ تأثيرًا بالغًا في تكوين الشخصيَّة المصريَّة ، وقد أشار ميلاد حنا إلى ذلك حين وَصَفَ الشخصيَّة المصريَّة في أعمدته السبعة ؛ وَأَوَضَحَ أن الهُوِيَّة (Identity) ، أو الشخصيَّة المصريَّة غَنِيَّة بالانتماءات التي تراكمت لدى كل مِصْرِيّ عبر الزمان ، وبتأثير المكان ؛ فمِصْر مَزِيج من رقائق الحضارات المختلفة ؛ لأنها تَقَعُ فِي إفريقيا ، ولكنها تَمُتُّ – أيضًا – إلى آسيا بالتاريخ ، فرعونيَّة بالجَدّ ، ولكنها عربيَّة بالأب ، ثُمَّ إنها بجسمها النهريّ قوة بَرّ ، ولكنها بسواحلها قُوَّة بحر ، وتضع بذاك قدمها في الماء ، وهي بجسمها النحيل تبدو مخلوقًا أقلّ مِنْ قَوِيّ ، ولكنها برسالتها التاريخيَّة الطَّمُوح تحمل رأسًا أكثر من ضخم ، وهي بموقعها على خط التقسيم التاريخيّ بين الشرق والغرب تقع في الأول ، ولكنها تُوَاجِه الثاني ، وتكاد تراه عبر المتوسط ، كما تَمُدُّ يدًا نَحْوَ الشمال ، وأخرى نحو الجنوب ، وهي تُوشِكُ – بعد هذا كله – أن تكون مركزًا مشتركًا لثلاث دوائر مختلفة ؛ بحيث صارت مَجْمَعًا لعوالمٍ شَتَّى ؛ فهي قلب العالم العربيّ ، وواسطة العالم الإسلاميّ ، وحَجَر الزاوية في العالم الإفريقيّ ، وهذا يعني أنها تَجْمَعُ بين أطرافٍ متعددة غنيَّة ، وجوانب كثيرة خِصْبة وثريَّة ، وأبعاد وآفاق واسعة تجعلها أُمَّةً وَسَطًا بكل معنى الكلمة ، وَسَط في الموقع والدور الحضاريّ والتاريخيّ .

وعلى الرغم مِنْ « أن هذه الأعمدة داخلة في التركيبة الإنسانيَّة لِكُلّ مِصْريّ ، فهي منطقيًّا وطبيعيًّا ليست أعمدة متساوية في الطول والقِصَر والمتانة ، إن إحساس المصريّ بهذه الانتماءات يختلف مِنْ شخصٍ لآخر » [٧٢] .

وقد تناول جَمَال حَمْدَان تأثير تعدُّد الأبعاد والجوانب في شخصيَّة مِصْر ، وأَكَّدَ أَنَّ مِصْر متعددة الجوانب والأبعاد والآفاق ؛ مِمَّا يُثْرِي شخصيتها الإقليميَّة والتاريخيَّة ، ويُبْرِزُ عبقريَّة المكان فيها ، إِنَّ مَوقِعَ مِصْر فَلْتَة جُغْرَافِيَّة ، لا تتكرر في أيّ رُكْن من أركان العالم ؛ فالمكان لا يُعِيدُ نفسه [٧٣] .

وقد وَصَلَ فكر أحمد شلبي إلى هذا الحدّ من التسامُح وقَبُول الاختلاف ؛ فلم يَتَعَصَّب لِهُوِيَّة دون غيرها ، إنما قَبِلَ كُلَّ الثقافات بوصفها جُزْءًا من وطنه الكبير ، ذي التراث الحضاري الهائل .

وإِنْ رَأَينَاهُ يُعْلِي من قيمة الانتماء الدينيّ في القصيدة السابقة ، وفي غيرها ، كأن يقول في قصيدة (المَنَارة) :

إِذَا كَانَ مَنْ نَبَعَ بِهِ الغَيرُ يَفْخَرُ
فَإِنَّا لَنَا نَبْعَانِ : نِيلٌ وَأَزْهَرُ

فَهَذَا يَشُقُّ الأَرْضَ عَنْ ثَمَرَاتِهِ
وَهَذَا بِهِ عِلْمُ السَّمَاءِ يُنَوِّرُ

وَهَذَا عَلَى شَطَّيهِ قَامَتْ حَضَارَةٌ
وَهَذَا بِدِينِ اللهِ يَسْمُو وَيَكْبُرُ

مَآذِنُهُ – عَبْرَ الزَّمَانِ– تَلأْلأَتْ
وَقَدْ رَدَّدَتْ فَوقَ المَدَى: "اللهُ أَكْبَرُ" (٧٤)

فإنه لا يتردد في نقد فكر أصحاب اللِّحَى الطويلة ، التي بدأت تشيع في المجتمع المِصْرِيّ ، يقول مستعيرًا صوت المُتَنَبِّي في قصيدة (مِنْ أَورَاقِ المُتَنَبِّي فِي مِصْر) :

مَنْ لِلمَجَازِرِ فِي زِيِّ الأَعَارِيبِ ؟
مَنْ هَؤُلاءِ مَنِ الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ ؟

نَبْتُ الصَّحَارَى ؛ فَلَيسَ النِّيلُ يَعْرِفُهُمْ
الهَابِطُونَ عَلَيهِ بِالجَلابِيبِ

العَابِسُونَ القُسُاةُ الحَامِلُونَ لِحًى
ذَوِي الوُجُوهِ التِي تُلْوَى بِتَقْطِيبِ

الآكِلُونَ بِأَيدِيهِمْ – عَلَى عَجَلٍ –
الشَّارِبُونَ بِلا كَأْسٍ وَلا كُوبِ

النَّاكِحُونَ رِبَاعًا – دُونَمَا خَجَلٍ –
الآمِرُونَ بِتَحْجِيبٍ وَتَنْقِيبِ

المُيئِسُونَ مِنَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
إِلاَّ لَهُمْ .. فَاسْتَبَاحُوا كُلَّ مَرْغُوبِ (٧٥)

إن الشاعر – هنا – يُعَرّي أوضاع المجتمع الفاسدة ، ويفضح نفسية هؤلاء الرجال ، الذين يُحسبون على الحضارة الإسلاميَّة – التي يُكَبِّرُهَا الشاعر – فهم همجيون ، ضيقو الفكر ، أنانيون ، أغبياء ، وتلك هي الصفات التي ذَمَّتْهَا وحَارَبَتْهَا الحضارة المصريَّة السَّمْحَة في كل عصر ؛ لذلك فالشاعر يتحسّر على شيوع هذه الظواهر ، يقول في قصيدة (مَرْثِيَّة فِي حَفْلِ غِنَاء) :

فَكُلُّ لَيلٍ – سَرَى – قَدْ حَطَّ مُلْتَحِيا
وَكُلُّ صُبْحٍ – أَتَى – قَدْ صَارَ مُنْتَقِبَا

وَقَصَّرَ النَّهْرُ مِنْ جِلْبَابِهِ ، وَجَرَى
فِي مَائِهِ المِلْحُ ؛ حَتَّى غَصَّ مَنْ شَرِبَا (٧٦)

لكن لا يَظُنّ أحدٌ أن الشاعرَ حين يذم ويهجو هؤلاء الذين أتوا على مصر من الصحاري يَرْفُضُ الانتماء العربيّ ؛ فهو إن رفض ذلك الفكر المُتَخَلِّف ؛ فإنه

لا يقطع الصلة الوثيقة بين مصر والعالم العربيّ ؛ لأنه حين يُعْلِي من قيمة الانتماء الإسلاميّ ؛ فهو يُعْلِي – بالضرورة – من الانتماء العربيّ ، الذي ارتبط بالإسلام أعمق ارتباط ، وقد ظهر ذلك جَلِيًّا وَاضِحًا فِي مسرحيته الشعريَّة (أرمانوسة) ؛ التي أَسَّسَهَا على استلهام قِصَّة فتح المسلمينَ لمصر ؛ محاولاً تفسير التاريخ برؤيته الخاصَّة ، وجاعلاً من أرمانوسة بنت مُقَوقَس معادلاً موضوعيًّا لمصر ، يقول :

أَرْمَانُوسَة
بِنْتُ عَظِيم القَبْطِ مُقَوقس
صَارَتْ شِرْيَانًا كَالنِّيل
مَدَّتْ بِذِرَاعَينِ كَدِلْتَا النِّيل
صَارَتْ أَرْمَانُوسة
نَبْعًا يُسْقِي
كُلَّ نَبَاتٍ فِي مِصْر
وَكُلَّ نَخِيل
أَرْمَانُوسَة
صَارَتْ وَطَنًا
صَارَتْ زَمَنًا
صَارَتْ مَهْدًا أَبَدِيًّا
لِضِيَاءِ الحَقِّ
بِوَادِي النِّيل (٧٧)

لَقَدْ حَاوَلَ الشَّاعِرُ أَنْ يُنَاقِشَ – بِبَرَاعَة – هَلْ جَاءَ المُسْلِمُونَ إلى مصر غُزَاةً أم فاتحين ، يقول :

الجندي : جَاءَ الغُزَاةُ المُسْلِمُون
جَاءَ الغُزَاةُ المُسْلِمُون (٧٨)

لقد جعل أرمانوسة شكلاً من أشكال الدفاع عن المسلمين ، فضلاً عن اهتمامه ببعض المسائل العربيَّة ، كقضية فِلَسْطِين التي جعلها قضيةً شخصيَّة ، يقول في قصيدة (أُغْنِيَّة إِلَى القُدْس) :

مِنْ أَجْلِهَا أَمْشِي بِلا يَأْسِ
فَلَقَدْ وَهَبْتُ فِدَاءَهَا نَفْسِي

خَلْفَ اللَّيَالِي .. رُحْتُ أَتْبَعْهَا
وَالدَّرْبُ يُدْنِينِي مِنَ الرَّمْسِ

لا شَيءَ مِنْ زَادِ الحَيَاةِ مَعِي
إِلاَّ جِرَاحَاتٌ مِنَ الأَمْسِ (٧٩)

لكننا على الرغم من ذلك نجده يتعرض ناقدًا لبعض الأوضاع العربيَّة الفكريَّة ، والسياسيَّة ، والاجتماعيَّة ، كأن يقول في القصيدة نفسها ، معرّضًا بالسلوك العربيّ تجاه قضية فِلَسْطِين :

وَالعَرَبُ مَا عَرَفُوا الطَّرِيقَ لَهَا
مِنْ خَزْرَجٍ كَانوا .. وَمِنْ أَوسِ

يَا مَنْ مَكَثْتُمْ فِي مَقَابِرِكُمْ
تَبْكُونَ مِنْ ثَمَنٍ لَهَا بَخْسِ

يَا مَنْ حَمَلْتُمْ عَارَكُمْ عَلَنًا
أَنَا لَنْ أُنَكِّسَ بَينَكُمْ رَأْسِي (٨٠)

ويقول في قصيدة (النَّوم عَلَى خَارِطَةِ الطَّرِيق) :

عَبَاءَاتٌ خَوَاءٌ مِنْ رِجَالٍ

وَأَلْسِنَةٌ يُدَنِّسُهَا الكَلامُ

مُلُوكٌ تُمْلَكُونَ .. فَمَنْ يُبَالِي

بِمَا يُلْقِيهِ فِي الوَطَنِ الحِمَامُ

سَلامٌ أَيُّهَا العَرَبُ الكِرَامُ

سَلامٌ ، كَمْ تَقُولُونَ السَّلامُ

تَيَقَّظَتِ الحَيَاةُ بِكُلِّ أَرْضٍ

وَأَنْتُمْ فِي كُهُوفِكُمُ نِيَامُ [٨١]

إنه يَذُمُّ خِصَالَ العَرَبِ ؛ لا لأنه يَكْرَهُهُمْ ، بل على العكس فهم في مَرْكَبٍ واحد ، شُرَكَاء فِي المِيرَاث السَّالِف ، وَالهَمّ الآني ، حاله كحال نزار ؛ إذ قال :

إِنَّنِي رَافِضٌ زَمَانِي وَشِعْرِي وَمِنَ الرَّفْضِ تُوَلَدُ الأَشْيَاءُ [٨٢]

وَقَال :

وَإِذَا قَسَوتُ عَلَى العُرُوبَةِ مَرَّةً فَلَقَدْ تَضِيقُ بِكُحْلِهَا الأَهْدَابُ [٨٣]

لكن الشاعر وإن بَدَا نقده مباشرًا في هذه القصائد التي تنتمي إلى مرحلته الأولى ، فإنه يَتَخَلَّى عن الأسلوب المباشر في مرحلته الثانية ، ويعتمد – بشكلٍ كبير – على التناص(Intertextuality) ، واستعارة بعض وجوه التاريخ العربيّ ، ويظهر ذلك في قصيدته (مِنْ أَورَاق المَلِك الضِّلِّيل) [٨٤] ، و(مُوَاجَهَة مَعَ الأَعْشَى) [٨٥] ، وفي قوله متناصًا مع حَسَّان بن ثَابِت (ت٥٤هـ) :

"لَنَا فِي كُلِّ يَومٍ مِنْ مَعَدٍّ

قِتَالٌ أَو سِبَابٌ أَو هِجَاءُ"

فَلا كُنَّا .. وَلا كَانتْ مَعَدّ

فَقَدْ أَمْسَى لأَمْرِيكَا الوَلاءُ [٨٦]

ويظهر ذلك في قصيدته الجميلة (الرِّيح لا تَأْتِي بِهِنْد) ، التي يتناص فيها مع قصيدة عُمَر بْن أَبِي ربيعة [٨٧] .

ويقيم – في قصيدته (حِوَار خَمْرِيّ مَعَ أَبِى نُوَاس) – حوارًا مع الحَسَن بن هَانِئ (ت١٩٩هـ) بوصفه شاعرَ الخَمْرِ الذي فضّل حالة السُّكْر على اليقظة ، في ذلك العصر الذي اضطربت أوضاعه ، واخْتَلَّتْ مَوَازِينُهُ ، يقول :

قَالَ :

"الرَّشِيدُ" ... ؟

فَقُلْتُ :

الرُّشْدُ فَارَقَهُ

عَلَى جَنَاحِ الهَوَى فِي سِرْبِ مَنْ جَنَحُوا

فِي لَيلِهِ –

جَاذَبَتْهُ أَلْفُ غَانِيَةٍ

وَتَحْتَ أَقْدَامِهِ

وَاشٍ وَمُمْتَدِحُ

فَقَالَ :

أَكْرِمْ بِهِ ..

مِنْ فَارِسٍ ثَمِلٍ

لَمْ يَثْنِهِ عَنْ رِفَاقِ الكَأْسِ

مَنْ جَمَحُوا

فَقُلْتُ :

لَمْ تَثْنِهِ فِي القُدْسِ فَاجِعَةٌ

وَلا دِمَاءٌ لِطِفْلٍ ...

كَانَ يَنْذَبِحُ

***

قَالَ :

الأَشَاوِسُ .. ؟

قُلْتُ :

الرُّعْبُ أَسْكَتَهُمْ

فَلا يَبُوحُونَ

– فِي هَمْسٍ –

بِمَا لَمَحُوا

***

قَالَ :

القَبَائِلُ .. ؟

قُلْتُ :

النِّفْطُ أَغْرَقَهَا

وَإِنَّ أَعْرَابَهَا فِي مَوجِهِ سَبَحُوا

فَقَالَ :

أَنْعِمْ بِهِمْ بَدْوًا قَدِ انْتَشَرُوا

خَلْفَ الغَوَانِي ..

وَفِي الحَانَاتِ قَدْ شَطَحُوا (٨٨)

فقد شَكَّلَت شكوى الشاعر ، وتعليقات أبي نواس الهَزْلِيَّة ، إصبعًا يُشِيرُ – بِوُضُوحٍ تَام – إلى تَرَدِّي الأوضاع السياسيَّة والاجتماعيَّة والأخلاقية للعرب ، الَّذِينَ غرقوا إِلَى الأذقان فِي مَلَذَّاتِهِم ؛ فَاستحقوا – بجدارة – أن يَسْخَرَ مِنْهُم سُخْرِيَّةً لاذِعَة .

ويقول متناصًا مع المتنبي :

أَيَا نِفْطَ الخَلِيجِ لَكَ انْسِكَابُ
لَقَدْ دَعَتِ الذِّئَابَ لَكَ الكِلابُ

"وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيهِمْ
وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُو عِقَابُ" (٨٩)

إِنَّ هُوِيَّة الشاعر ليست غايتها مجرد الانتماء ، ويُؤَكِّد ذلك أنه ، وَإِنْ عَدَّدَ الوُجُوهَ المُشْرِقَة فِي مِصْر الفِرْعُونِيَّة ، يتطرق لِمَا لا يُعْجِبُهُ فيها ، كسياسة الحُكَّام ، يقول في قصيدته (بَرْدِيَّات) :

فِي بِلادِي كُلُّ شَيءٍ لِلأَبَدْ
اللُّصُوصُ ، القَهْرُ ، آلامُ الكَمَدْ

قَبْضَةُ الحَاكِمِ فِي سَطْوَتِهِ
حَولَ جِيدِ الشَّعْبِ حَبْلٌ مِنْ مَسَدْ

...

فِي بِلادِ البَحْرِ وَالنَّهْرِ
صَدَعَ الفِرْعَونُ بِالأَمْرِ

قَالَ : إِنَّ النَّهْرَ لِي
وَاشْرَبُوا أَنْتُمْ مِنَ البَحْرِ (٩٠)

والحقُّ أَنَّه لا يَهُمُّهُ أَمْرَ الفَرَاعِنَة – في هذا المقام – بطبيعة الحال ، إنما هو يُعَرِّض بالحاكم العصريّ لمصر ، وسياسته .

والشاعر في هذه المرحلة على الرغم من استعارته لوجوه التاريخ ، لم يفقد الوضوح اللازم ، الذي يتطلبه الخطاب التثويري .

إِنَّ النَّقْدَ السُّلْطَوِيّ – على هذا النحو – يُشَكِّل مساحةً لا بأس بها من فكر الشاعر في ديوانه ، منذ بدايته ، فهو يُوَضِّح في قصيدته (رَسُول إِلَى القَصْر) ، التي كُتِبَتْ عام ١٩٨٥م ، حال الشعب الجائع ، وحال الحاكم الذي يسكن بُرْجًا عَاجِيًّا كما يقولون ، يقول :

دَعْنِي إِلَيكَ – مَرَّةً – أَدْخُلُ
فَرُبَّمَا آتِي بِمَا تَجْهَلُ

أَسْوَارُكَ العُلْيَا .. وَحُرَّاسُهَا
تَرُدَّنِي ... وَبَابُكَ المُقْفَلُ

وَأَلْفُ حَاجِبٍ شَدِيدُ القُوَى
مُدَجَّجٍ .. بِهَيئَةٍ تُذْهِلُ

وَأَنْتَ مِنْ بُرْجِكَ لا تَنْزِلُ
وَأَنْتَ لا تَدْرِي بِمَا أَحْمِلُ

يَا أَيُّهَا الخَائِفُ فِي مَكْمَنٍ
خَلْفَ الحُصُونِ إِنَّنِي أَعْزَلُ [٩١]

ويقول في قصيدة (المماليك) ، التي كَتَبَها عام ٢٠٠٦م :

المَمَالِيكُ
وَالمَمَالِيكُ كُثْرُ
لَهُمُ النَّهْيُ دَائِمًا
وَالأَمْرُ

لَهُمُ الحَبُّ

وَالنَّوَى

وَالبَرَارِي

لَهُمُ البَرُّ

وَالرُّبَا

وَالبَحْرُ

وَقِلاعٌ حَصِينَةٌ ...

وَخُيُولٌ

وَسُيُوفٌ

وَعُنْفُوَانٌ

وَكِبْرُ (٩٢)

فهو يستعير وجه المماليك ، الذين أَهْمَلُوا أَمْرَ الشعب ، واهتموا بسرقة أمواله ، وضياع حقوقه ، مُبَيِّنًا كيف نَهَبُوا خيرات الوطن على حساب الشعب ، الذي وصفه – في نهاية القصيدة – بقوله :

الرَّعَايَا

تَهَابُهُمْ فِي بِلادٍ

هَدَّهَا الخَوفُ

وَالطَّوَى

وَالفَقْرُ

فَيَتَامَى

جِدَارُهُمْ يَتَهَاوَى

وَكُنُوزٌ

مَعَ اللُّصُوصِ تَفِرُّ

وَالمَسَاكِينَ فِي السَّفِينَةِ
صَاحُوا :
أَينَ يَا مُوسَى فِي الزَّمَانِ الخِضْرُ ؟

هَكَذَا مِصْرُ ..
مُنْذُ حَلُّوا عَلَيهَا
جَاعَ أَبْنَاؤُهَا ...
وَضَاعَتْ مِصْرُ (٩٣)

في ذلك الوضع القمعيّ لا يستنكر الشاعر صمت الرعايا وخوفهم وجهلهم أنهم أصحاب الكَنْز، وإنما يستنكر صمت الفِئَة الحَكِيمة ، التي رَمَزَ لَهَا بالخِضْر ؛ فقد صَمَتَتْ هِيَ الأُخْرَى عَنِ المُطَالَبَة الجِدِّيَّة بِحُقُوقِ الشَّعْب .

وتصل براعة الشاعر في الاستدعاء التراثيّ ؛ لخدمة قصيدته ذات الأحداث الآنية إلى حَدِّ البراعة ، فِي قصيدته (وَلِيمَة لأَسْمَاك البَحْر) ، التي كتبها عام ٢٠٠٦م ، حين غَرِقَتْ عَبَّارة السلام المصريَّة ؛ فهو يَسْتَدْعِي قصص الأنبياء البحريَّة – إن جاز التعبير – ويُوَظِّفُهَا توظيفًا بديعًا ، يقول في تناص مع قصة مُوسَى (عليه السلام) :

أَنَا لَسْتُ مُوسَى ، تَشُقُّ عَصَاهُ
طَرِيقًا بِمَائِكَ حِينَ أُبْتُلِيتُ

أَنَا أَحَدُ القَومِ – لا يَرْتَجِي
دُرُوبًا بِهَا مِن هَلاكٍ يَفُوتُ

وَفِرْعَونُ فِي غَيِّهِ سَادِرٌ
لَهُ مُلْكُ مِصْرَ ، وَشَعْبٌ صَمُوتُ

وَأَرْسَى لَهُ بَغْيَه المُرْجِفُونَ
وَحَاشِيَةُ السُّوءِ وَالكَهَنُوتُ (٩٤)

ويقول في تناص مع قصة يُونُس (عليه السلام) في القصيدة نفسها :

أَنَا لَسْتُ "ذَا النُّونِ" .. لَكِنَّمَا
أَنَا طُعْمَةُ النُّونِ حَيثُ رُمِيتُ

وَمَا عُدْتُ أَدْرِي . . بِأَيَّةِ بَطْنٍ
إِذَا مَا ٱلْتُقِمْتُ – إِذَنْ – سَأَبِيتُ

وَأَيُّ سَبِيلٍ ؟ وَفِي البَحْرِ حُوتٌ
وَفِي البَرِّ حُوتٌ ، وَفِي القَصْرِ حُوتُ (٩٥)

اتكأ الشاعر على تراث البحر – إن جاز التعبير – ليوظّفه في حدث عصريّ ، وإِنْ لَمْ يُوَفَّقْ فِي هَذَا المَقَام ؛ فهو وإن نَفَى عن الشخص الذي يُوَاجِهُ المَوتَ غَرَقًا صفة الأنبياء (موسى ، ويونس) ؛ فإنه لَمْ يَنْفِ عن السلطة الحاكمة صفة الفرعون ، والحوت .

ومِمَّا يَدُلُّ على انتماء الشاعر ، وصدقه – بعد كل ذلك النقد السُّلْطَوِيّ – مدحه السُّلْطَة المِصْرِيَّة الحَاكِمَة المُتَمَثِّلَة فِي (أنور السادات) ، ردًّا على شاعرٍ هاجمه في ندوة في إحدى الدول العربيَّة ، يقول في قصيدة (تَدَاعِيَات الحَرْب والسَّلام) :

أَيُّهَا الفَارِسُ الجَلِيلُ
سَتَبْقَى

مِثْلَمَا – كُنْتَ –
فَارِسًا وَجَلِيلا

قَدْ قَتَلْنَاكَ مَرَّتَينِ
وَلَكِنْ
كُلَّ يَومٍ تَنْسَابُ فِي النِّيلِ نِيلا

سَيِّدَ الحَرْبِ وَالسَّلامِ :
اعْتِذَارًا
وَمَتَى كَانَ عُذْرُنَا مَقْبُولا

فَلَكَمْ
– زَيفًا –
اتَّبَعْنَا غَوِيًّا
وَلَكَمْ
– جَهْلاً –
اتَّهَمْنَا رَسُولا (٩٦)

إِنَّ مَوقِفَ الشَّاعر – إذن– مَوقِفٌ غير مُنْحَاز ولا مُتَعَصِّب سوى لانتمائه الوطنيّ ، الذي قد يُصْبِحُ فيه التعصُّب أحيانًا دفاعًا عن الهُوِيَّة ، التي بِفَقْدِهَا يُصْبِحُ الإنسانُ كائنًا غير الكائن .

وغَيرُ خافٍ أَنَّ الشاعر يُعَبِّرُ عن حاله ، وحال بني جنسه ، ويُؤَرِّخ لأحداث عصره ، ويَشْهَدُ على عراقة وطنه ؛ « فَإِنَّ فينا إنسانًا واحدًا يتمثل في هذا المخلوق المحدود الطاقات ، اللا متناهي الرغبات والنزعات ، هذا المخلوق الضعيف جدًّا ، والقوي جدًّا ، العاجز أشد العجز ، والقادر أشد القدرة ، يتمثل في

هذه الذات الإنسانيَّة التي تفرح وتحزن ، تخاف وتقلق ، تنتصر وتنهزم ، تحب وتكره ، والفنان – وَحْدَهُ – هو القادر على التعبير عنها » [٩٧] ، حتى إن كان جالسًا مندسًا وَسْطَ العامَّة والغوغاء .

ومهما تَبَدَّلَتِ الأَحْوَالُ يَبْقَى الشَّاعِرُ – دَومًا – ضميرَ أُمَّتِهِ ، ونَبْضَ أَبْنَاءِ شَعْبِهِ ، وصوتَ الوَطَنِ فِي أَحْلَكِ اللَّحَظَاتِ وَأَحْلاهَا .

الخَاتمة وَنَتَائِجُ البَحْثِ

أحمد شلبي شَاعِرٌ مُتَفَرِّد بكُلِّ ما تَحْمِلُهُ الكلمة مِنْ معنى ؛ فَإِنَّ شِعْرَهُ يَضُمُّ أجمل ما يُمْكِن أَنْ يُقَدِّمَهُ شَاعرٌ في مِثْل مكانته الشعريَّة ، وقد مَرَّ شِعْره بِمَرْحَلَتَينِ زَمَنِيَّتَينِ ، اتَّفَقَتَا فِي المَوضُوعَات ، واختلفتا في المرحلة العُمْرِيَّة للشاعر ؛ وتُمَثِّل المرحلة الأولى ما كَتَبَهُ في صِبَاهُ الباكر ، وثمانينيات القَرْن العِشْرِين ، وتَشْمَل المرحلة الثانية القصائد التي كَتَبَها في بداية الألفيَّة الثانية .

ونراه في المرحلة الأولى فَارِسًا رومانسيًّا ، يُشْهِرُ سَيفَهُ مُتَحَدِّيًا ، وعاشقًا ولِهًا ، ليس عليه من سلطان غير الوِجْدَان ، وقد سيطر الخطاب العاطفيّ تجاه المرأة المعشوقة على نصوصه ؛ حيث تَلَوَّنَتْ هذه المرحلة بالفكر الرومانسيّ الفرديّ ، فقارئ شعره لَنْ يُخْطِئَ تلك النبرة الرومانسيَّة ، التي تُعَبِّر – بِقُوَّة – عن مأساة الرومانسيّ في ذلك العالم المُوحِش ، الذي يَعِيشُ الشَّاعِرُ غريبًا فيه . وقد التزم بالنقد المباشر في هذه المرحلة .

ونراه في المرحلة الثانية ، وهي مرحلة النُّضْج الفِكْرِيّ ، يقف موقفًا وجوديًّا ؛ فلم تعُدْ الرُّومَانِسِيَّة مُسَيطِرَة على فِكْرِهِ النَّاضِج ، إنما اتَّسَعَتْ صَفَحَات دَوَاوِينه في

هذه المرحلة ، لتشمل تساؤلاتٍ وجودية عميقة ، مُلْؤُها الحِكْمَة التي تُمْلِي عليه الاستسلام ؛ فقد أيقن أن الوجود ليس له نقطة ابتداء وانتهاء ، كما كان يظن ، وبَاتَ في عينيه دائرةً مغلقة ، لا يَمْلِكُ أمامها إلا الاستسلام ، وقد اعتمد على التناص ، واستدعاء الحوادث التاريخيَّة في هذه المرحلة ، وعلى الرغم من ذلك لم يفقد الوضوح اللازم الذي يتطلبه الخطاب التثويريّ .

وقد استوعبت هاتين المرحلتين ثلاثة مباحث ، وتناول **المبحث الأول : المرأة عند أحمد شلبي** ، فقد اتخذت المرأة جانبًا بارزًا من اهتمامه ؛ فجاءت قصائده عنها في ثلاثة اتجاهات ، صَوَّرَ **الاتجاه الأول : موقفه من المرأة** ؛ فنراه يَصِفُهَا وَصْفًا عَفِيفًا ، بِشَاعِرِيَّة مُفْرِطة ، تُظْهِر الحُبَّ العُذْرِيّ الصَّادِق ، ويتميز هذا الاتجاه بغلبة الطابع الرومانسيّ ، والاستسلام لجمال الطبيعة ؛ حيث رَبَطَ بين مشاعره والطبيعة مِنْ حَولِه ؛ فكانت الطبيعة بَاسِمَة مُزْهِرَة في وجود المعشوقة ، وعابسة قاحلة في غيابها .

وعَرَضَ **الاتجاه الثاني : الحُبّ الثقافيّ للمرأة** ؛ فلم تقتصر نظرته للمرأة على كونها أنثى يَهِيمُ بِهَا ، ويتغزل في مفاتنها ، بل وَقَفَ منها موقف المُحِبِّ العقلانيّ ؛ فأصبحت حُلْمًا يُرَاوِدُهُ ، ويَرْسِمُ لَهُ كِيَانًا فِي عَقْلِه ؛ فنرى سلطة العقل الحِوَاري الحِجَاجِيّ – إن جاز التعبير – هي السلطة الأقوى .

ورَصَدَ **الاتجاه الثالث : المرأة قضيَّةً اجتماعيَّة** ، لها مشكلاتها وأزماتها وأحلامها صعبة المنال في مجتمع ذكوري يَجْحَدُ فضلها ويتناساها ، لقد استوقفته قضايا المرأة ؛ فجاءت بعض أشعاره على لسان حال المرأة في المجتمع المصريّ ، وأظهرت – بِجَلاءٍ – تَطَوُّر أفكاره وخطابه تجاه المرأة ، الأمر الذي يضعه إلى جانب الأدباء الذين اشتهروا بإنصاف قَضِيَّتها ، والدفاع عنها ؛ فلم يكن ذاك الشاعر المُتَغَنِّي بمَفَاتِن النساء ، أو ذاك الدائم البكاء لِفَقْدِهِنَّ ، إنما كان شاعرًا موضوعيًّا اتخذ من قضية المرأة موضوعًا لشعره ، يطرح فيه مشكلاتها ويكشفها بقصائده المُنَمَّقَة الكلمات والفِكَر.

وهكذا دار المبحث الأول في شعر أحمد شلبي في فَلَكِ الأنثى بِرِقَّتِهَا وعُذُوبتها وكينونتها وكيانها .

أما **المبحث الثاني : اغتراب الذات عِنْدَ أَحْمَد شَلَبِي** ؛ فَمَثَّلْتْهُ صَرْخته مُدَوِّيًا لِيُطْلِقَ أَنَّاتِهِ الخَاصَّة الحَبِيسَة ، بِوَصْفِهِ شَاعِرًا يعيش فِي عَالَمٍ تَافِهٍ ، شَوَّهَهُ الزَّيف ، وَمَزَّقَته السَّطْحِيَّة ، يُهِينُ الفَاضِلَ ، وَيُكْرِمُ اللَّئِيمَ ، ولا يُقَدِّرُ الشَّاعِرَ حَقَّ قَدْرِهِ ؛ فيسرد – عن طريق قصائده – حاله وحال شعراء العصر المَغْمُورِينَ في أوطانهم ؛ فالشاعر يَشْكُو حال بني جنسه ويبكيهم ، ويعرض مأساة الشاعر المُثَقَّف المَوهُوب ، صاحب الإحساس الرقيق المُرْهَف ، الذي يتلظَّى بنار الحسرة ، عندما يُسَاوِرُهُ ذلك الإحساس البغيض بالظُّلْم ، الذي ينتابُ الرجلَ الفاضلَ الكريمَ ؛ فيجعله يتقلب على جَمْرِ الغَضَا ، بعد أن يتَجَرَّع مرارة الخيبة ؛ لأنَّ مواهبَهُ صارت وبالاً عليه . وتأتي قصائده في هذا المضمار مطبوعة بطابع الوجودية والأنا ؛ فهو يتحدث عن نفسه بلسان حاله .

ولم يقتصر شعر أحمد شلبي على تجربته الذاتية مع شعره أو مع المرأة ، بل تَطَرَّقَ أيضا للموقف السياسيّ والاجتماعيّ في وطنه ؛ فقد صَوَّرَ **المبحث الثالث : موقف أَحْمَد شَلَبِي السياسيّ والاجتماعيّ** ، وتَجَلَّى مَوقفه السياسيّ فِي نَقْدِهِ بعض الأوضاع السياسيَّة الفاسدة السائدة ، ورفضه ظُلْم الحُكَّام ، ولكنه اتَّسَمَ بِالعَدْلِ فِي نقده ، عَلَى الرَّغْم مِنْ ظُهُور بَعْض المَوَاقِف المُتَنَاقِضَة ؛ لأنه يَلْتَزِم بِالصِّدْق ، وَيُقَيِّمُ المَوقِفَ بِحِيَادِيَّة تَامَّة ، وَلا يَحْكُمُ عَلَى الشَّخْص نَفْسه .

وقد أظهر موقفه الاجتماعيّ شِدَّة انتمائه لمصر مَهْد الحَضَارَات ؛ فَلَمَسْنَا كيف أَحَبَّها وقَدَّسَ حضارتها وتاريخها ؛ سَعْيًا إِلَى وَصْفِ عَظَمَتِهَا وَذِكْر عُظَمَائِهَا ؛ فقد رَصَدَ تاريخ مِصْر وعظمتها وجلالها وسمو مكانتها وَسْطَ الأُمَم العَرَبِيَّة والغَرْبِيَّة ، ولم يتوقف موقفه تجاه مِصْر على مجرد الوصف والمدح ، إنما كان للنقد دوره في شعره ؛ فقد نقد الأَوضاع الشَّاذّة ، والحُكَّام الظالمين ، إلا أنه وَقَفَ

مَوقِفَ المُحَايِد تِجَاه الزُّعَمَاء بعض الشيء ، رُبَّما لصدق حُكْمِهِ ؛ حيث إنه كان دائمًا ما يَنْقُدُ المَوقِفَ لا صَاحِب المَوقِف .

ذلك ما وجدناه عند أحمد شلبي ؛ فعلى الرغم من أنه انشغل في شعره بأمور سياسيَّة واجتماعيَّة ؛ فإنه في ذلك لم يبتعد عن الشعر ؛ فلم يُعَبِّر عن أيديولوجيَّة ، بقدر ما عَبَّر عن عاطفة في نفسه ، ويُعَزِّزُ ذلك أن انتماء الشاعر ليس أُحَادِيًّا ، إنما هو انتماء متعدد ، لا ينافي بَعْضُهُ بعضًا .

هكذا كان شِعْرُ أَحْمَد شَلَبِي ملحمة رومانسيَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة ووصفيَّة لحال الشعراء والمجتمع بكل طوائفه ؛ فهو يُمَثِّلُ تجربةً صادقةً لشاعرٍ صادقٍ ، يَمْلِكُ ذائقةً مُرْهَفة ، ولديه اعتزازٌ فائقٌ بالهُوِيَّة والذات ، ووَعْيٌ حادٌّ بالعالَم والآخر.

الحَوَاشِي

(١) شكري عزيز الماضي : في نظرية الأدب ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ٥٥ .

(٢) محمد مندور: الشِّعْرُ المِصْرِيُّ بَعْدَ شَوقِي ، الحلقة الثالثة (روافد أبوللو) ، نهضة مصر ، القاهرة ، د . ت ، ص ٨ .

(٣) زكريا إبراهيم : فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص١١٣.

(٤) إبراهيم عبد القادر المازنيّ : الشعر ؛ غاياته ووسائطه ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢٠ .

(٥) أحمد معروف شلبي : عضو اتحاد كُتَّاب مِصْر ، له مجموعة من المسرحيات الشعريَّة ، ومجموعة من الدواوين الشعريَّة ، وله ديوان (بُسْتَان الحياة) للأطفال ، وقد قامت الهيئة العامة لقصور الثقافة بطبع أعماله الشعريَّة الكاملة من دواوين ومسرحيات عام ٢٠١٣م ، وله مجموعة من الكُتُب والدِّرَاسَات منها : (النص والنص الزائف في الشعر العربيّ المعاصر) ، و(أغرب القصائد في الشعر العربيّ) ، و(قصائد قالت لا) ، و(شعراء البحيرة في القرن العشرين) ، وغيرها من الدراسات الأدبيَّة والتربويَّة ، ومثَّل مصر في عدد من المؤتمرات ، ودُرِّسَتْ نصوصه الشعريَّة والمسرحيَّة وأدب الطفل في عدد من الجامعات المصريَّة ، ومناهج وزارة التربية والتعليم ، ونُشِرَتْ أعمالُهُ الأدبيَّة في عدد من المجلات العربيَّة والمصريَّة ، ونُوقِشَتْ أعماله في رسائل جامعية منها : رسالة ماجستير بجامعة الأزهر بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود بعنوان (التجديد في الإطار المحافظ – أحمد شلبي نموذجًا) ، وحَصَلَ عَلَى عِدَّة جَوَائِز ، منها : جائزة أحسن قصيدة في محافظة البحيرة عام ١٩٩٠م ، وجائزة أحسن ديوان شعر عن

ديوان (من أغاني الخوف) من الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ١٩٩١م ، وجائزة حسن عبد الله القرشي للإبداع الشعري عن ديوان (أغنية إلى الصمت) عام ٢٠١٢م .

(٦) أحمد ضيف : بلاغة العرب في الأندلس ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م ، ص٧٩ .

(٧) عيسى علي العاكوب : العاطفة والإبداع الشعري ؛ دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص ٣٠٢ .

(٨) أحمد محمد الحوفي : الغزل في العصر الجاهلي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٠هـ -١٩٥٠م ، ص ٣١١ .

(٩) شيللي : بروميثيوس طليقًا ، ترجمة لويس عوض ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧م ، ص١٢٤.

(١٠) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٢ م ، ٢/ ١٠٥.

(١١) يانكو لافرين : الرومانتيكية والواقعية ، ترجمة حلمى راغب البنا ، سلسلة الألف كتاب الثاني (١٨٧) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ١٨ .

(١٢) شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر ، مكتبة الدراسات الأدبية (٤) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٠، ١٩٩٢م ، ص٥٨ .

(١٣) لامرتين : رفائيل ، ترجمة أحمد حسن الزيات ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٣، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، ص ٤٨ .

(١٤) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ٩٣ - ٩٤.

(١٥) أبو تمام : ديوان أبي تَمَّام بشرح الخطيب التَّبْرِيزِيّ ، تحقيق محمد عبده عزام ، ذخائر العرب (٥) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٧م ، ٢/٢١٠ .

(١٦) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ؛ بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، ٣/٢٢٤.

(١٧) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ١٧ .

(١٨) المصدر السابق ، ٢/ ٨٩ – ٩٠ .

(١٩) المصدر السابق ، ١/ ١٤٧ .

(٢٠) محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص١٠ .

(٢١) جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦م ، ص١٢٤.

(٢٢) محمد شبل الكومي :القضايا الأدبية من منظور فلسفيّ ، تقديم محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص٣٦٦ .

(٢٣) مصطفى عبد اللطيف السحرتي : أدب الطبيعة ، مطبعة التعاون ، الإسكندرية ، ١٩٣٧م ، ص١٨.

(٢٤) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ١١ .

(٢٥) المصدر السابق ، ٢/ ١١٤ .

(٢٦) محمد مندور : فن الشعر ، المكتبة الثقافية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار القلم ، القاهرة ،١٩٦٠م ، ص١٠٠ – ١٠١.

(٢٧) عبد القادر القط : الاتجاه الوجدانيّ في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص٣٠٣ .

(٢٨) أبو القاسم الشابي : الخيال الشعريّ عند العرب ، إعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٩م ، ص٢٧ .

(٢٩) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ١٤٨ .

(٣٠) جميل سعيد : اتجاهات الأدب الإنجليزي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٩م ، ص١١٩.

(٣١) ياسين الأيوبيّ : مذاهب الأدب ؛ معالم وانعكاسات ، دار العِلْم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص١٧١ .

(٣٢) عبد الحكيم بلبع : التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص٣١٨ .

(٣٣) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ١١٣ .

(٣٤) محمد غنيمى هلال : الرومانتيكية ، ص١٤٥ .

(٣٥) المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٣٦) أحمد عبد المعطى حجازي : ديوان أحمد عبد المعطى حجازي ، دار العودة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٢٨م ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣٧) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ١٠٤ .

(٣٨) المصدر السابق ، ١٣٣/٢ .

(٣٩) محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م ، ص١٠٨ .

(٤٠) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ٥١ .

(٤١) المصدر السابق ، ٢/ ٤٠ – ٤١ .

(٤٢) المصدر السابق ، ١/ ١٦٣ ، ١٦٥ .

(٤٣) يُوسُف خليف : الحب المثالي عند العرب ، سلسلة اقرأ (٢٢٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦١م ، ص ٤٩ .

(٤٤) أنس دنقل : حوارات أمل دنقل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣م ، ص ١١٧ .

(٤٥) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ١٥٩ ، ١٦١ .

(٤٦) نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ١/ ٦٥٥.

(٤٧) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ١٦٧ - ١٦٨ .

(٤٨) فاروق عبد الحكيم دربالة : الموضوع الشعري ؛ دراسة تحليلية في الرؤيا والتشكيل عند (أمل دنقل ، محمد عفيفي مطر ، محمد مهران السيد ، محمد إبراهيم أبو سنة ، فاروق شوشة ، أحمد سويلم) ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥م ، ص٣٩ .

(٤٩) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥٠) المصدر السابق ، ١/ ٣١٦ .

(٥١) طه حسين : حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، ١٤٤/٣ – ١٤٥ .

(٥٢) شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٧٧م ، ص١٧٠.

(٥٣) صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ص٦٤.

(٥٤) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٦٤م ، ٢٦٢/٢ .

(٥٥) عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص١٩٠.

(٥٦) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ٩ – ١٠ .

(٥٧) المصدر السابق ، ٢/ ١٥ .

(٥٨) المصدر السابق ، ٢/ ٧٥ .

(٥٩) نجيب محفوظ : المؤلفات الكاملة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د . ت ، ٣٢٤/٣ .

(٦٠) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٢/ ١٤٩ - ١٥٠ .

(٦١) المصدر السابق ، ٢/ ١٥٣ .

(٦٢) المصدر السابق ، ١/ ١٩٦ - ١٩٧ .

(٦٣) زكي نجيب محمود : مع الشعراء ، دار الشروق ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، ص١٠٩.

(٦٤) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ٣١ .

(٦٥) إيليا الحاوي : الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٠م ، ص ٣٩ .

(٦٦) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ٣٦ - ٣٧ .

(٦٧) عمر بن أبي ربيعة : ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تقديم وترتيب وشرح قدري مَايُو ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ١/ ١٤٨.

(٦٨) المصدر السابق ، ١/ ١٥٠ .

(٦٩) بول ڤان تيجم : المذاهب الأدبية ؛ الرومنطيقية ، ترجمة بهيج شعبان ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٥٦م ، ص٣٢ .

(٧٠) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ٤٣ - ٤٦ .

(٧١) محمد حسنين هيكل : ثورة الأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، د . ت ، ص١٠٦ .

(٧٢) ميلاد حنا : الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣م ، ص ٢٨ .

(٧٣) انظر : جمال حمدان : شخصية مصر وتعدُّد الأبعاد والجوانب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

(٧٤) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ٢٢٣ .

(٧٥) المصدر السابق ، ١/ ٣٩ - ٤٠ .

(٧٦) المصدر السابق ، ١/ ٥٤ .

(٧٧) المصدر السابق ، ٢/ ٢٣٤ .

(٧٨) المصدر السابق ، ٢/ ٢٠٠ .

(٧٩) المصدر السابق ، ٢/ ٦٥ .

(٨٠) المصدر السابق ، ٢/ ٦٦ - ٦٧ .

(٨١) المصدر السابق ، ٢/ ١٣٦ .

(٨٢) نزار قبانى : الأعمال الشعرية الكاملة ، ٣/ ٤١٢ .

(٨٣) المصدر السابق ، ٣/ ٦٤٦ .

(٨٤) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢ .

(٨٥) المصدر السابق ، ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٧ .

(٨٦) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ١٣٢ . وانظر : حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ٧٤ .

(٨٧) انظر : أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ٣١ ـ ٣٧.

(٨٨) المصدر السابق ، ١/ ١٨٠ ـ ١٨٢ .

(٨٩) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ١٣٤ . وانظر : المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، ٨١/١ .

(٩٠) أحمد شلبي : الأعمال الشعرية الكاملة ، ١/ ١٣٧ ، ١٤٢ .

(٩١) المصدر السابق ، ٢/ ٤٣ ـ ٤٤ .

(٩٢) المصدر السابق ، ١/ ٦٣ ـ ٦٤ .

(٩٣) المصدر السابق ، ١/ ٦٧ ـ ٦٨.

(٩٤) المصدر السابق ، ١/ ١٧٢ .

(٩٥) المصدر السابق ، ١/ ١٧٣ .

(٩٦) المصدر السابق ، ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٩٧) محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، ص ١٧ – ١٨ .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

*** أحمد شلبي :**

١- الأعمال الشعرية الكاملة ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م .

*** أحمد عبد المعطى حجازي :**

٢- ديوان أحمد عبد المعطى حجازي ، دار العودة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٢٨م .

*** أبو تَمَّام – حَبِيب بن أَوس الطَّائِيّ (ت٢٣١هـ):**

٣- ديوان أبي تَمَّام بشرح الخطيب التَّبْرِيزِيّ ، تحقيق محمد عبده عزام ، ذخائر العرب (٥) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٧م .

*** حسان بن ثابت (ت٥٤هـ) :**

٤- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

*** عُمَر بْن أَبِي رَبِيعَة – أبو الخطاب عمر بن عبد الله (ت٩٣هـ):**

٥- ديوان عُمَر بْن أَبِي رَبِيعة ، تقديم وترتيب وشرح قدري مَايُو ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .

*** المُتَنَبِّي – أبو الطيب أَحْمَد بْن الحُسَين (ت٣٥٤هـ) :**

٦- ديوان أَبِي الطَّيِّب المُتَنَبِّي ؛ بشرح أبي البقاء العُكْبَرِيّ (ت٦١٦هـ) ، المُسَمَّى بِالتِّبْيَان فِي شَرْحِ الدِّيوَان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

*** نزار قباني :**

٧- الأعمال الشعرية الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط١، ١٩٩٣م .

ثانيًا : المراجع العربية :

*** إبراهيم عبد القادر المازني :**

٨- الشعر ؛ غاياته ووسائطه ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د . ت .

* **أبو القاسم الشابي :**

٩- الخيال الشعريّ عند العرب ، إعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٩م .

* **أحمد ضيف :**

١٠- بلاغة العرب في الأندلس ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م .

* **أحمد محمد الحوفي :**

١١- الغزل في العصر الجاهلي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م .

* **أنس دنقل :**

١٢- حوارات أمل دنقل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣م .

* **إيليا الحاوي :**

١٣- الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٠م .

* **جمال حمدان :**

١٤- شخصية مصر وتعدُّد الأبعاد والجوانب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

* **جميل سعيد :**

١٥- اتجاهات الأدب الإنجليزي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٩م .

* **جودت الركابي :**

١٦- في الأدب الأندلسيّ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦م .

* **زكريا إبراهيم :**

١٧- فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

* **زكي نجيب محمود :**

١٨- مع الشعراء ، دار الشروق ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م .

* **شكري عزيز الماضي :**

١٩- في نظرية الأدب ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .

*** شوقي ضيف :**

٢٠- الأدب العربي المعاصر في مصر ، مكتبة الدراسات الأدبية (٤) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٠، ١٩٩٢م .

٢١- في النقد الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٧٧م .

*** صلاح فضل :**

٢٢- مناهج النقد المعاصر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

*** طه حسين :**

٢٣- حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .

*** عبد الحكيم بلبع :**

٢٤- التجديد الشعريّ في المهجر بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الشباب ، القاهرة ،١٩٧٤م .

*** عبد القادر القط :**

٢٥- الاتجاه الوجدانيّ في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

*** عبد المنعم تليمة :**

٢٦- مقدمة في نظرية الأدب ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٦م .

*** عمر الدسوقي :**

٢٧- في الأدب الحديث ، دار الفكر العربيّ ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٦٤م .

*** عيسى علي العاكوب :**

٢٨- العاطفة والإبداع الشعريّ ؛ دراسة في التراث النقديّ عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

*** فاروق عبد الحكيم دربالة :**

٢٩- الموضوع الشعري ؛ دراسة تحليلية في الرؤيا والتشكيل عند (أمل دنقل ، محمد عفيفي مطر ، محمد مهران السيد ، محمد إبراهيم أبو سنة ، فاروق شوشة ، أحمد سويلم) ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥م .

*** محمد حسنين هيكل :**

٣٠- ثورة الأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، د . ت .

*** محمد زكي العشماوي :**

٣١- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م.

*** محمد شبل الكومي :**

٣٢- القضايا الأدبية من منظور فلسفي ، تقديم محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

*** محمد غنيمي هلال :**

٣٣- الرومانتيكية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١م .

*** محمد مندور:**

٣٤- الشِّعْرُ المِصْرِيُّ بَعْدَ شَوقِي ، الحلقة الثالثة (روافد أبوللو) ، نهضة مصر ، القاهرة ، د . ت.

٣٥- فن الشعر ، المكتبة الثقافية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

*** مصطفى عبد اللطيف السحرتي :**

٣٦- أدب الطبيعة ، مطبعة التعاون ، الإسكندرية ، ١٩٣٧م .

*** ميلاد حنا :**

٣٧- الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣م .

*** نجيب محفوظ :**

٣٨- المؤلفات الكاملة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د . ت .

* **ياسين الأيوبيّ :**

٣٩- مذاهب الأدب ؛ معالم وانعكاسات ، دار العِلْم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

* **يُوسُف خليف :**

٤٠- الحب المثالي عند العرب ، سلسلة اقرأ (٢٢٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦١م .

ثالثًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

* **تيجم ، بول ڤان :**

٤١- المذاهب الأدبية ؛ الرومنطيقية ، ترجمة بهيج شعبان ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٥٦م .

* **شيللي :**

٤٢- بروميثيوس طليقًا ، ترجمة لويس عوض ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٤٧م.

* **لافرين ، يانكو :**

٤٣- الرومانتيكيَّة والواقعيَّة ، ترجمة حلمي راغب البنا ، سلسلة الألف كتاب الثاني (١٨٧) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

* **لامرتين :**

٤٤- رفائيل ، ترجمة أحمد حسن الزيات ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٣، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

الأمير السلجوقي زاخاس
ونشاطه البحري في أسيا الصغرى

(٤٧٤هـ - ٤٨٥هـ / ١٠٨١-١٠٩٢م)

دكتور
وائل أحمد إبراهيم
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية دارالعلوم – جامعة الفيوم

يونيو ٢٠١٥

مقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وفصل الفرقان وأحكم البرهان وهو رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وبعد ،،،

تزخر الفترة الأولى من استقرار الأتراك السلاجقة في منطقة أسيا الصغرى بكثير من الأحداث التي ما تزال في حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث، وهي تلك الفترة الزمنية الممتدة من انتصارهم على البيزنطيين في موقعة ملازكرد عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م حتى إعلان قيام سلطنة سلاجقة الروم وبداية استقرارها واتساع نفوذها في ظروف زمانية ومكانية غير مساعدة، حيث قامت هذه الدولة محفوفة بالمخاطر من عدة جوانب، فهناك قوة الدولة البيزنطية، وهناك القوات الصليبية الزاحفة تجاه الشرق في سلسلة من الحملات المتتالية، بالإضافة إلى وجود بعض الإمارات التركمانية المنافسة في المنطقة.

ومن بين الموضوعات التي لم تنل حظا كافيا من الدراسة في تاريخ تلك الفترة الزمنية إمارة الأمير السلجوقي زاخاس التي أنشأها في مدينة أزمير على ساحل بحر إيجه شمالي غرب الأناضول ونشاطه البحري ضد البيزنطيين، وقد آثرت دراسة هذا الموضوع تحت عنوان: "**الأمير السلجوقي زاخاس ونشاطه البحري في أسيا الصغرى**" وذلك خلال الفترة الزمنية الممتدة بين عامي **٤٧٤-٤٨٥هـ/١٠٨١-١٠٩٢م**"، بهدف التعريف بالأمير زاخاس وقيام إمارته في مدينة أزمير، وبيان علاقته بالسلاجقة وجهوده في إنشاء البحرية والأسطول مع عرض مفصل لنشاطه البحري وصراعه مع البيزنطيين، ثم نهايته وسقوط إمارته على أيدي البيزنطيين.

وقد كان زاخاس أحد الأمراء الذين شاركوا السلاجقة في انتصارهم الخالد بموقعة ملازكرد على الروم البيزنطيين عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م، غير أنه وقع أسيرا في أيدي القوات البيزنطية خلال إحدى غاراته عليهم، وقضى زاخاس قرابة عشر

سنوات (٤٦٤-٤٧٤هـ/١٠٧٢-١٠٨١م) أسيرا في العاصمة البيزنطية مدينة القسطنطينية تعلم خلالها اللغة اليونانية وتعرف على أساليب البيزنطيين السياسية والعسكرية وأدرك قيمة سلاح البحرية في المعارك وأن أي تهديد مؤثر على القسطنطينية لا بد أن يكون عن طريق البحر.

ومع وصول ألكسيوس الأول كومنين إلى عرش الإمبراطورية البيزنطية في عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م؛ تمكن زاخاس من الهروب والعودة إلى الأناضول وجمع حوله مجموعة من الجند المرتزقة من الأتراك واليونانيين والبيزنطيين الساخطين على حكم الإمبراطور، وبفضل هذه القوة أسس زاخاس حكما لنفسه في مدينة أزمير على ساحل بحر إيجه منذ ذلك الحين، كما ركز جهده في بناء أسطول قوي أخذ يشن به الغارات على المدن والجزر القريبة، بل إنه هدد القسطنطينية نفسها، ودخل في صراع مع الإمبراطور ألكسيوس الأول حقق زاخاس النصر في كثير من مراحله، واستمر صراعه مع البيزنطيين حول السيطرة على بعض المدن والجزر ببحر إيجه حتى مقتله عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م.

ولا يمكن بداهة القول بأن القوة الناشئة للبحرية السلجوقية التي بناها الأمير زاخاس في أزمير كانت تضاهي أو تكافئ سلاح البحرية عند البيزنطيين، ورغم أن هذا ليس مجال المقارنة بينهما؛ فإنه يكفي التأكيد على قوة الأساطيل البيزنطية وخبرتها العريضة في الحروب منذ فترة زمنية تعود إلى ما قبل ظهور السلاجقة في الأناضول بفترة زمنية طويلة، أما السلاجقة فإنهم - قبل وصولهم الأناضول - لم يكونوا يعرفون ركوب البحر، ولم تكن لديهم الخبرة في الحروب البحرية، ولم يكونوا يعرفون شيئا عن الأساطيل، وإنما كان تفوقهم في حروب البر كفرسان خفيفي الحركة، حيث كانت طبيعة الأرض التي يتحركون فيها في إيران والعراق تقتصر على الحروب البرية، ولم يفكر السلاجقة في إنشاء أسطول بحري حربي إلا عندما دخلوا آسيا الصغرى، واستقروا بها وأقاموا دولة مستقلة هناك وبدأوا الاحتكاك بالروم البيزنطيين والقوات الصليبية.

وتبقى محاولات الأمير زاخاس لإنشاء البحرية وبناء الأسطول بمدينة أزمير هي المرة الأولى التي يلجأ فيها الأتراك السلاجقة إلى ركوب البحر في حروبهم ومعاركهم، فلأول مرة نسمع عن استخدامهم سلاح البحرية في الحرب، ولذلك يعتبر الأمير زاخاس أول "أميرال" تركي، وأول من أسس لسلاح البحرية عند الأتراك.

وبعد زاخاس؛ أدرك سلاطين سلاجقة الروم أهمية البحرية فاهتموا بها اهتماما كبيرا في محاولة منهم لامتلاك هذا السلاح المهم ليساعدهم في تثبيت سلطانهم في تلك البلاد، وقد يفسر لنا ذلك ورود لفظة "البحر" في ألقابهم نظرا لأهميته لدولتهم التي كانت عبارة عن شبه جزيرة يحيط بها البحر الأسود وبحر مرمرة والبحر المتوسط.

ولا شك أن محاولات الأمير زاخاس لبناء البحرية والأسطول قد وجهت أنظار سلاطين سلاجقة الروم خلال السنوات التالية نحو مدن الساحل في الشمال والشمال الغربي بشكل خاص حيث أصبحت هذه المنطقة خلال السنوات التالية منطقة صراع بينهم وبين البيزنطيين، فسلاجقة الروم من جانبهم يسعون إلى الوصول إلى تلك السواحل والسيطرة عليها لتوفير الحماية لبلادهم وتأمين تجارتهم، ولذلك فكروا كثيرا في بناء الأساطيل البحرية التي تمكنهم من ذلك في مدن الساحل، لكن البيزنطيين كانوا يدركون أهمية هذه السواحل وخطورة الاستيلاء عليها، ولذلك نجدهم دائما يعرقلون أي جهد للسلاجقة في سبيل امتلاك الأساطيل التي إن توفرت للسلاجقة لأضحت العاصمة القسطنطينية في خطر ولانقطعت خطوط مواصلات البيزنطيين البحرية والتجارية بما يهدد اقتصادهم، فكان الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول حريصا كل الحرص على إحباط أي محاولة للسلاجقة لامتلاك الأسطول، ويسعى دائما لتحطيم أي قوة بحرية تظهر لهم في مياه تلك المنطقة مثلما فعل مع الأمير زاخاس.

أما عن تخطيط البحث، فلقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع وما أتاحته المادة العلمية تقسيمه إلى مقدمة وخمسة مباحث ثم خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وملحق واحد يتعلق بالموضوع.

أما **المقدمة** فقد اشتملت على التعريف بالموضوع وأهميته وتخطيطه ومنهج البحث وأهم مصادره، وجاء **المبحث الأول** بعنوان: **ترجمة الأمير زاخاس**، أما **المبحث الثاني** فكان بعنوان: **قيام إمارة زاخاس في أزمير**، و**المبحث الثالث** بعنوان: **جهود الأمير زاخاس في إنشاء البحرية وبناء الأسطول**، **والمبحث الرابع** بعنوان: **النشاط البحري للأمير زاخاس**، **والمبحث الخامس** والأخير بعنوان: **نهاية زاخاس وسقوط أزمير**، ثم **خاتمة** تعرض لنتائج البحث.

وقد اتبع البحث المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل والنقد معتمدا على مجموعة من المصادر والمراجع المهمة منها ما سجله الرحالة اليهودي **بنيامين بن يونة التطيلي الأندلسي** (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م) في رحلته إلى بلاد الشرق الإسلامي حيث زار كثيرا من المدن والجزر في المنطقة وعرف بها بمعلومات لم تتوفر في كتب الجغرافيا والرحلات الأخرى، على أن أهم مصدر استند إليه البحث هو ما كتبته الأميرة اليونانية **أنّا كومنينا** ابنة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين في كتابها "**ألكسياد**"، حيث اشتمل هذا الكتاب على معلومات وفيرة عن الأمير زاخاس وبداياته وعلاقته بالسلاجقة وصراعه مع الإمبراطور ألكسيوس كومنين حتى نهايته، كما اعتمد البحث على مجموعة من المراجع الحديثة مثل ما كتبه الدكتور **سعيد عاشور** في كتابه "**الحركة الصليبية – الجزء الأول**"، والدكتورة **زبيدة عطا** في كتابها "**بلاد الترك في العصور الوسطى**"، وما كتبه الدكتور **محمد سهيل طقوش** في كتابه "**تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى**"، واستند البحث كذلك إلى مجموعة من المراجع المترجمة من أهمها ما كتبه **ستيفن رنسيمان** عن زاخاس في موسوعته "**تاريخ الحروب الصليبية – الجزء الأول**"، وكذلك ما كتبه **أرشيبالد لويس** في كتابه "**القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**"،

بالإضافة إلى بعض المعلومات التي وفرتها الدراسات الأكاديمية مثل **رسالة الدكتوراه** للباحث **أحمد توني عبد اللطيف** بعنوان" **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم**" وغيره من المراجع والمقالات التي ساهمت في إخراج البحث على صورته الحالية.

وأخيرا فإن دراسة النشاط البحري لدولة سلاجقة الروم بأسيا الصغرى ما زال يحتاج إلى مزيد من الدراسات والأبحاث التي تكشف عن أهمية هذا السلاح لديهم ومدى استفادتهم منه في صراعهم مع كل من البيزنطيين والصليبيين في منطقة الشرق الإسلامي.

وأرجو أن أكون بما كتبت في هذه الورقات قد فتحت بابا لمزيد من الدراسة عن هذا الموضوع المهم في تلك الفترة الزمنية.

سائلا المولى تعالى السداد

والله الموفق

الباحث

المبحث الأول : ترجمة الأمير السلجوقي زاخاس

اسم زاخـــاس:

تختلف الروايات الواردة حول حقيقة اسم زاخاس وكيفية نطقه ورسمه، فقد ذكرته بعض تلك الروايات باسم "جاقا" أو "جاغا بيه" أو "شكا" أو "جكا بك"(١)، وذكره مورتمان *J.H.Mordtmann* في دائرة المعارف الإسلامية باسم "زركش" أو "تزكس"(٢).

ولعل أقرب تلك الروايات إلى الصواب هي رواية المؤرخة اليونانية الأميرة آنا كومنينا بصفتها أقدم من أرخ لأحداث تلك الفترة الزمنية، فهي لم تذكر اسم "جاقا" *Caka* مطلقا، وإنما ذكرت اسم "زاخاس" أو "تزاخاس" *Tzachas*(٣)، وقد اعتمدت على روايتها هذه معظم المراجع الحديثة في كتاباتها عن السلاجقة بمنطقة أسيا الصغرى(٤).

---

(١) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ (الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس)، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة بيروت (ط١) ١٩٦٧م، ص١٢٢، ص١٢٩؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ترجمة أحمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٠م، ص٣٧٠؛ زبيدة محمد عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى (بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون)، دار الفكر العربي بالقاهرة (د.ت) ص٦٤؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، (مج١٤) ٢٠٠٦م، ص٥٧.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية، تعريب إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، دار الشعب بالقاهرة (د.ت) مادة إزمير، ج٣ص١٧٩.

(٣) آنّا كومنينا: ألكسياد، ترجمة حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة (ط١) ٢٠٠٤م، ص٢٩٥؛ وانظر كذلك:

Ostrogorsky "George": History of Byzantine state, translated from the German by Hussey with a fore by Peter Charanis , New Jersey, 1957, p: 319.

(٤) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة (ط٣) ١٩٧٥م، ج١ص١١٤؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى، دار النفائس ببيروت (ط١) =

ظهور الأمير زاخاس وعلاقته بالسلاجقة :

تتفق رواية المصادر والمراجع المتاحة على أن زاخاس أمير تركي ينتمي إلى الأتراك السلاجقة الذين وفدوا إلى منطقة أسيا الصغرى في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي[١]، غير أن هذه الروايات لا تعطينا معلومات كافية عن شخصية زاخاس تكشف شيئا عن مولده أو أسرته أو حياته الأولى، ويستفاد من تلك الروايات أن زاخاس قد نال شهرة عريضة في الجيش السلجوقي آنذاك؛ حيث شارك بفاعلية في الحروب المنظمة التي كان السلاجقة يخوضونها ضد البيزنطيين خلال المرحلة الأولى من استقرارهم بمنطقة أسيا الصغرى.

ومن المعارك الشهيرة التي شارك فيها زاخاس معركة ملازكرد[٢] بين السلاجقة والبيزنطيين عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م والتي انتهت بانتصار السلاجقة ووقوع الإمبراطور

٢٠٠٢م، ص٥٨؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٥٤، ص٦٤؛ أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هجري / التاسع والثاني عشر ميلادي، دار النهضة العربية بالقاهرة (ط١) ١٩٨٢م، ج١ص٢٤٥؛ أحمد توني عبد اللطيف: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب، جامعة المنيا ١٩٨٦م، ص٢٤. وعلى هذا الاختلاف جعل الدكتور عمر يحي محمد كلا من "جكا وزاخاس" شخصين مختلفين. انظر بحثه بعنوان: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧-٥٨. وليس ذلك صوابا وإنما الاسمان لشخص واحد هو زاخاس.

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٥، ص٣٥١-٣٥٢؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٧٠؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٢-٧٣؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية، (دراسة حضارية مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الأسيوية، جامعة الزقازيق ٢٠٠٧م، ص١٧٣.

(٢) تعد موقعة **ملازكرد** من أشهر معارك السلاجقة على الإطلاق، وقعت بين السلطان السلجوقي ألب أرسلان وبين الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيس في منطقة ملازكرد من أعمال خلاط بأسيا الصغرى في شهر ذي القعدة عام٤٦٣هـ/ أغسطس١٠٧١م، وكان النصر فيها حليف السلاجقة، حيث وقع الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع في أسر السلطان السلجوقي ألب أرسلان. وتعد هذه المعركة =

البيزنطي في الأسر، فلقد أتاح هذا الانتصار للأتراك السلاجقة فرصة الانسياح في أسيا الصغرى والاستقرار بها، وبدأ بعدها اسم الأمير التركي زاخاس في الظهور بشكل واضح، فمنذ ذلك الحين أخذ اسمه يتردد في المصادر البيزنطية[١] على أنه الأمير التركي "المغامر"، الذي أغار كثيرا على أملاك الدولة البيزنطية وكبدها الخسائر، واستولى على ساحل بحر إيجه[٢].

وقد جاء تركيز المؤرخين على شخصية زاخاس دون غيره من الأمراء الأتراك في أسيا الصغرى آنذاك نظرا لما كان يحدوه من طموح سياسي نحو الحكم والاستقلال[٣]، فلقد عده بعض المؤرخين من أخطر الأمراء الترك وأنشطهم في

البداية الحقيقية لانهيار الإمبراطورية البيزنطية في أسيا الصغرى والتمكين للأتراك السلاجقة فيها، كما يعدها البعض السبب الرئيس وراء بداية سلسلة الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي. لمزيد من التفاصيل عن هذه الموقعة انظر: البنداري: كتاب تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات بالقاهرة، ١٩٠٠م، ص٣٧-٤٢؛ الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بنشره محمد إقبال، لاهور ١٩٣٣م، ص٤٦-٥٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة ونشر محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية ببيروت، (ط٤) ٢٠٠٣م، ج٨ص٣٨٨-٣٩٠؛ ؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ص٨٢-٨٨؛ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية (٣٢٣-١٠٨١م)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٥م، ص٨٥٣-٨٥٧؛ محمد نايف العمايرة، ومحمود محمد الرويضي: معركة ملازكرد (جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية)، مجلة المنارة، مج (١٣) العدد (١) لسنة ٢٠٠٦م.

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٨.

(٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٢؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٧٠، وراجع أيضا أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣. **وبحر إيجه** أحد أفرع البحر المتوسط، يبلغ طوله حوالي ٦٤٣ كم، وعرضه ٣٢٢ كم، ويفصل بين دولتي اليونان وتركيا، ويتصل ببحر مرمرة عن طريق مضيق الدردنيل، وتطل عليه اليونان من ناحيتي الغرب والشمال، وتركيا من ناحية الشرق، وجزيرة كريت إلى الجنوب. ويقع في هذا البحر مجموعة من الجزر الشهيرة منها: ساموس ولسبوس ولمنوس وباتموس ورودس وغيرها.

(٣) تؤكد ذلك الدكتوره زبيدة عطا في كتابها: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٥٤-٥٥. حيث تشير إلى أن زاخاس كان من الترك الذين لا يميلون إلى إقامة نظام سياسي موحد ودولة واحدة وحكومة مركزية؛

=

غربي أسيا الصغرى[١]، حيث شكل وجوده في هذه المنطقة خطرا كبيرا على الإمبراطورية البيزنطية نفسها فاعتبره البعض[٢] أحد أهم أعداء الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين (٤٧٤-٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م)[٣].

وبحكم انتمائه إلى الأتراك السلاجقة؛ وفي سبيل تحقيق طموحاته؛ أدرك زاخاس أهمية أن يكون هناك حليف له فهي أسيا الصغرى يساعده في الظهور من جانب، ويكون عونا له في ذات الوقت على مواجهة البيزنطيين وإمبراطورهم ألكسيوس كومنين من جانب آخر، فعمل على الاتصال بسلاجقة الروم وتقرب منهم، فزوّج ابنته إلى السلطان السلجوقي قلج أرسلان الأول[٤]، لما يحققه ذلك له من مكسب سياسي وعسكري في المنطقة بالتحالف مع قوة سلاجقة الروم.

بل كان من الذين يميلون إلى الاستقلال وتكوين الحكم الخاص بهم تحقيقا لما كان يحدوه من طموح سياسي. انظر محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٠.

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٥؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٤.

(٢) عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧.

(٣) **ألكسيوس الأول كومنين:** الإمبراطور البيزنطي مؤسس الأسرة الكومنينية الحاكمة في القسطنطينية، ينتمي إلى عائلة بيزنطية غنية ومرموقة، قضى فترة من حياته (١٠٦٨-١٠٨١م) في التعليم العسكري، وبعدها استولى على عرش الإمبراطورية البيزنطية في أبريل عام ١٠٨١م في ظروف سيئة بلغتها أحوال الإمبراطورية البيزنطية بعدما استولى الأتراك السلاجقة على معظم الأراضي البيزنطية في الأناضول، وقد أرخت لفترة حكمه بالتفصيل ابنتُه الأميرة المؤرخة آنا كومنينا في كتابها ألكسياد. عاصر ألكسيوس الأول قدوم الصليبيين وتجمعهم في القسطنطينية خلال حملتهم الأولى على البلاد الإسلامية، وكانت وفاته في ١٥ أغسطس عام ١١١٨م. انظر ألكسياد: مقدمة الترجمة العربية ص٧-٢٢؛ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ص٨٢٢-٨٢٥؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٤م، ص٣١٧-٣٤٤.

(٤) ألكسياد ص٣٥١-٣٥٢؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٨-١٦٩؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص١١٦؛ أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٨؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع =

زاخاس أسيرا في القسطنطينية:

تروي لنا المؤرخة اليونانية الأميرة آنّا كومنينا[1] في حولياتها قصة وقوع الأمير السلجوقي زاخاس في أسر البيزنطيين، فهي تذكر أنه في إحدى غاراته؛ وقع زاخاس في أسر القائد البيزنطي "إسكندر كباليكا *Cabalika*" وتم نقله إلى القسطنطينية حيث زُجَّ به في أحد سجونها في عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م[2]، ثم تم تقديمه أسيرا إلى الإمبراطور البيزنطي نقفور الثالث بوتانياتوس *Botoniatos*[3]،

السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٢-٧٣؛ بينما تشير الدكتورة زبيدة عطا إلى أن زاخاس زوج "أخته" وليس "ابنته" إلى السلطان قلج أرسلان الأول، انظر كتابها بلاد الترك في العصور الوسطى ص٧٨. وليس ذلك دقيقا والصحيح ما ذكر في المتن، راجع كذلك: مورتمان *J.H.Mordtmann* : إزمير (دائرة المعارف الإسلامية) ج٣ص١٧٩. وانظر الملحق رقم (١) من هذا البحث. **والسلطان قلج أرسلان الأول:** ابن سليمان بن قتلمش السلجوقي (ت٤٧٩هـ/١٠٨٦م) مؤسس دولة سلاجقة الروم في الأناضول، كان قلج أسيرا لدى السلطان السلجوقي جلال الدولة ملك شاه، وبعد وفاة ملك شاه أطلق سراح قلج أرسلان ليعود إلى مقر ملك أبيه بالأناضول ويعيد تأسيس دولة سلاجقة الروم التي كانت قد شارفت على الانهيار، واتخذ قلج أرسلان من مدينة نيقية عاصمة له، وبذلك يكون الحاكم الثاني لهذه الدولة خلال الفترة من (٤٨٥-٥٠٠هـ/١٠٩٢-١١٠٦م)، وقد عاصر قدوم الحملة الصليبية الأولى على البلاد الإسلامية، ودخل مع الصليبيين في عدة معارك هزمهم في بعضها، **و**انتهت حياته في إحدى معاركه بالموت غرقا في نهر الخابور قرب الموصل بالعراق سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م. انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٩ص١٠٥-١٠٧؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٢-٧٤؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣٢٣-٣٢٤.

(١) ألكسياد ص٢٩٨-٢٩٩.

(٢) أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٤؛ انظر أيضا:
The Cambridge History of Islam, Cambridge at the University press, 1970, vol ,1, p: 237.

(٣) الإمبراطور البيزنطي **نقفور الثالث** بوتانياتوس *Botoniatos*: تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية في فترة الصراع التي نشبت عقب وفاة الإمبراطور رومانوس الرابع سنة١٠٧٢م، وكان على علاقة طيبة مع السلاجقة في أسيا الصغرى حتى إنه أعطاهم مدينة نيقية ليقيموا بها، وقد حكم نقفور الثالث خلال الفترة من (نوفمبر ١٠٧٨-١٠٨١م) حتى انتزع الحكم منه الإمبراطور ألكسيوس كومنين الأول. انظر السيد =

غير أن الإمبراطور أعجب بشجاعة الأمير التركي وفطنته، فأطلق سراحه من الأسر، وعاش زاخاس فترة من الزمن في بلاط الإمبراطور بالقسطنطينية ينعم برعايته وعنايته حتى غدا من أكبر أعوانه وخواصه لدرجة أن الإمبراطور قد منحه بعض الامتيازات والألقاب التشريفية منها لقب *Protonobilisslmus* بمعنى "النبيل" أو "الشريف" لما لمسه فيه من وفاء وإخلاص[١].

قضى زاخاس قرابة عشر سنوات في القسطنطينية (٤٦٤-٤٧٤هـ/١٠٧٢-١٠٨١م)، فكان من الطبيعي أن يستفيد من فترة إقامته بها، فتعلم اللغة اليونانية، وتقرب من أمراء الجيش البيزنطي ورجال الحكم والإدارة، وحصل على الكثير من الامتيازات، وكوّن ثروة ضخمة، كما تعرف خلال تلك الفترة على طرق البيزنطيين السياسية والدبلوماسية في معالجة الأحداث، واستوعب أساليبهم الحربية، وأدرك قيمة الاعتماد على ركوب البحر في تحقيق النصر في المعارك، وتيقن أن أي تهديد مؤثر على الإمبراطورية البيزنطية ومدينة القسطنطينية لا بد أن يكون عن طريق البحر[٢].

المبحث الثاني : قيام إمارة زاخاس في أزمير (٤٧٤هـ/١٠٨١م)

الباز العريني: الدولة البيزنطية ص٨٣٣، ص٨٣٦، ص٨٩٢-٨٩٣؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣١٤-٣١٥.

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٨؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٨ حاشية (٧٢)؛ أميمة المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٤ حاشية (٤)؛ أيضا انظر: *Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 319.*

(٢) زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٥؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٦؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣.

عندما تولى ألكسيوس الأول كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م؛ كانت الإمبراطورية على أسوأ حال من الفوضى، حيث سيطر الأتراك السلاجقة على معظم بلاد الأناضول، وكانت الفوضى ضاربة أطنابها في قوات الجيش والأسطول البيزنطي(١).

وقد بدأ الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس عهده بالعمل على تقوية الجيش والأسطول واستعادة أملاك الإمبراطورية البيزنطية وسيطرتها على منطقة أسيا الصغرى التي سيطر الأتراك عليها، وجدَّ في تصفية كل ما له علاقة بالسلاجقة مع الإمبراطور السابق(٢)، ولذلك بادر ألكسيوس في أول عهده بتجريد الأمير السلجوقي زاخاس من كل الامتيازات التي كان قد حصل عليها في عهد نقفور الثالث، وخسر زاخاس كل ألقابه وممتلكاته والامتيازات التي كان قد حصل عليها في القسطنطينية، واستطاع الهروب إلى أسيا الصغرى قبل أن يفتك به الإمبراطور البيزنطي(٣).

وتمكن زاخاس من أن يجمع حوله مجموعة من الجند المرتزقة من السلاجقة واليونانيين والبيزنطيين الساخطين على حكم الإمبراطور ألكسيوس(٤)، كما انضم إلى قواته جماعة من التركمان المنتشرين بتلك المنطقة، وأثبت زاخاس قدرته

---

(١) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٧٠؛ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ص٨٢٢-٨٢٣؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣١٧.

(٢) محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣١٨.

(٣) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٨؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣؛ كذلك:

Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 319.

(٤) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٠؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥.

السياسية والعسكرية من خلال استغلاله الخلاف الناشئ بين البجناك[١] والبيزنطيين، حيث تحالف مع البجناك ضد الإمبراطورية البيزنطية في محاولة لتشتيت قواتها بينما انصرفت أنظاره إلى السيطرة على المدن الساحلية على بحر إيجه[٢].

سعى زاخاس نحو تحقيق طموحاته وأحلامه في أسيا الصغرى، ومع أول قدوم له بعد العودة إلى الأناضول أغار بمن تجمع حوله على مدينة أزمير[٣] على ساحل بحر إيجه فدخلها وسيطر عليها[٤]، وأسس بها إمارة لنفسه منذ عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م عرفت في تاريخ الترك باسم إمارة "أزمير التركية" أو "إمارة

---

(١) **البجناك:** ينتمون من ناحية الأصل العرقي إلى الأسيويين، وقد انقسموا إلى قبائل شتى واتخذت كل جماعة منهم اسم أحد أجدادها، لكنهم اعتنقوا الإسلام مبكرا قبل هجرة الأتراك إلى منطقة أسيا الصغرى واختلاطهم بهذه الأمم، ويمثلهم حاليا أهل البوسنة . انظر السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ص٨٨٠.

(٢) زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٤-٦٥؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٧؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣.

(٣) **أزمير أو "إزمير"**: ويسميها ابن بطوطة (يزمير) وكان قد زارها في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م وذكر أنها مدينة كبيرة تقع على ساحل البحر، وأن معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها. انظر رحلة ابن بطوطة المعروفة باسم (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، (ط١) ١٩٨٧م، ج١ص٣١١، وهي مقر ولي إقليم آيدين، وتعد من أهم المدن التجارية في تركيا الحالية، وقد أطلق عليها الغربيون اسم سميره *Smere* وزمِرّه *Zmirra* وسميرنا وإسميرة وغير ذلك. انظر لمزيد من التفاصيل كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٢) ١٩٨٥م، ص١٨٨؛ مورتمان *J.H.Mordtmann* : إزمير (دائرة المعارف الإسلامية) ج٣ص١٧٩.

(٤) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٥؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٢، ص١٢٩؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٢-٢٣؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣.

زاخاس"، كما عرفت أيضا باسم "إمارة سامرانا أو سميرنا"[١]، وكلها مسميات لمدينة أزمير[٢].

كان دخول زاخاس أزمير والسيطرة عليها هو المرة الأولى التي تخضع فيها هذه المدينة للسيطرة التركية من قبل السلاجقة، وقد اتخذها زاخاس منذ ذلك الحين قاعدة ثابتة يغير من خلالها على أملاك البيزنطيين على ساحل بحر إيجه من أجل توسيع حدود إمارته الناشئة، ومن هذا الموقع الاستراتيجي شكل زاخاس خطورة بالغة مستمرة على الإمبراطورية البيزنطية على السواحل الغربية لأسيا الصغرى، وقد نجح في ذلك نجاحا كبيرا مستغلا ضعف الإمبراطورية البيزنطية من ناحية، وعدم تعرض سلطنة سلاجقة الروم له من ناحية أخرى[٣].

كانت إمارة أزمير (أو إمارة زاخاس) من أشد الإمارات التركية مجابهة للإمبراطورية البيزنطية، حيث كان صاحبها يتصف بالطموح السياسي والشجاعة والبراعة العسكرية من جانب، كما كان قربه من العاصمة القسطنطينية وسيطرته على ساحل بحر إيجه خطورة بالغة على الإمبراطورية البيزنطية من جانب آخر، وقد ذكر المؤرخون[٤] أن هذه الإمارة ناصبت الإمبراطورية البيزنطية العداء وأن صاحبها قد تجرأ على التفكير في القضاء على الإمبراطور ألكسيوس كومنين نفسه ليكون هو بديلا عنه في القسطنطينية، ولجأ إلى التأثير على معنويات الإمبراطور فاتخذ لنفسه لقب الإمبراطور في أزمير، واستخدم شارات الإمبراطورية ورتبها[٥].

---

(١) أحمد عبد الكريم: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٥؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٤-٦٥؛ أميمة المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣.

(٢) انظر مورتمان *J.H.Mordtmann* : إزمير (دائرة المعارف الإسلامية) ج٣ص١٧٩.

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٥٨-٥٩.

(٤) كومنينا: ألكسياد ص٣٥١-٣٥٢؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص١١٤؛ عمر يحي: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧.

(٥) راجع لمزيد من التفاصيل كومنينا: ألكسياد ص٣٥١-٣٥٣؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر =

ومنذ ذلك الحين بدأت مرحلة جديدة من الصراع بين زاخاس والإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الذي كان يعتبر المنطقة الشمالية الغربية من الأناضول – التي يقيم فيها زاخاس حكمه – تشكل خطرا كبيرا على الإمبراطورية البيزنطية، فلقد غدت أزمير قاعدة ثابتة أخذ الأتراك يغيرون من خلالها على ساحل بحر إيجه بأكمله، وركزت بعض المصادر على وصف أزمير آنذاك بأنها "قاعدة لأعمال القرصنة" البحرية التي كان يقوم بها زاخاس ومن معه ضد أملاك الدولة البيزنطية متحكما في واحد من أهم المضايق البحرية التجارية آنذاك وهو مضيق الدردنيل[1].

****

المبحث الثالث : جهود الأمير زاخاس في إنشاء البحرية وبناء الأسطول

يشير المستشرق أرشيبالد لويس[2] إلى أن السلاجقة كانوا قد بلغوا البحر في أسيا الصغرى منذ عام ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م، وأنهم تمكنوا من السيطرة على بعض

الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٧–١٦٨. وانظر الملحق رقم (١).

(١) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٧٠؛ مورتمان *J.H.Mordtmann* : إزمير (دائرة المعارف الإسلامية) ج٣ص١٧٩. **ومضيق الدردنيل:** ممر مائي دولي يربط بين بحر إيجه وبحر مرمرة ويفصل بين شاطئ آسيا الصغرى وشبه جزيرة جاليبولي في الجانب الأوروبي، ويبلغ طوله حوالي ٦١ كم، ويتراوح عرضه بين ١ إلى ٦ كم بينما يتراوح عمقه بين ٥٠ إلى ٦٠ مترا. وقد اعتنى به العثمانيون بعد دخلوهم للقسطنطينية فقاموا بتحصينه وبنوا عليه القلاع حتى غدا منيعا يصعب على الأساطيل الحربية والتجارية اجتيازه بسهولة، وبذلك أصبح التحكم في المضيق للسيادة العثمانية.

(٢) القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٧٠؛ وراجع أيضا أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣.

مدن الساحل آنذاك، غير أنهم لم يكونوا قد امتلكوا قوة بحرية أو أسطولا يساعدهم في الصراع مع البيزنطيين عبر البحر في ذلك الوقت.

ويمكن القول بأن نشأة سلاح البحرية عند الأتراك السلاجقة بشكل عام وسلاجقة الروم بشكل خاص يرتبط ارتباطا وثيقا بتأسيس إمارة زاخاس في أزمير على ساحل بحر إيجه في عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م[١]، فلقد استطاع هذا الأمير أن يبني أسطولا ويؤسس لسلاح البحرية الجديد الذي لم يكن السلاجقة على علم به قبل وصولهم إلى أسيا الصغرى في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وتمكن بفضل هذا السلاح من احتلال مدينة أزمير على ساحل البحر وإنشاء إمارة بها، ومن هناك؛ أخذ زاخاس يتطلع إلى مد نفوذه تجاه أملاك الإمبراطورية البيزنطية فسيطر بقوته البحرية على مدن الساحل وكثير من الجزر القريبة في بحر إيجه حتى غدا سيدا على هذه المنطقة الشمالية الغربية من الأناضول[٢] كما سيرد بعد قليل.

---

(١) يعتبر الأتراك في العصر الحديث أن الأمير زاخاس أول "أميرال تركي"، ويعدونه أول من أنشأ سلاح البحرية في تاريخ الترك، ولذلك فإنهم يخلدون ذكره بإقامة نصب تذكاري له أقامته القوات البحرية التركية وبه تمثال لصورة الأمير زاخاس في منطقة ششمه بولاية أزمير بتركيا الحديثة، كما أنشأ الترك باسم زاخاس مدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية في مدينة إسطنبول، وتحمل اسم زاخاس كذلك مجموعة من الحافلات البحرية التركية، وفي عام ٢٠٠٨م أطلق اسمه على أسطول من العبارات التركية. انظر لمزيد من التفاصيل الموقع الالكتروني :

https://ar.wikipedia.org

(٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٧٠؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص٩٠؛ أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٥؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٥؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣-١٧٤.

إن إشارة المصادر والمراجع المتاحة على سيادة زاخاس على سواحل بحر إيجه خلال الفترة الواقعة بين عامي ٤٧٤هـ/١٠٨١م حتى ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[١] تؤكد على أن ما امتلكه هذا الرجل من قوة بحرية قد أقلقت الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة سلاجقة الروم على حد سواء، وأن ما قام به من أعمال استند فيها إلى هذه القوة التي لا يمكن وصفها بأنها كانت مجرد "عمليات قرصنة"[٢]، إذ يمكن التأكيد أن هذه القوة البحرية كانت الدرع الأساسي الذي أثبت زاخاس وجوده من خلاله وجعله يعلن الاستقلال بحكم أزمير وما تحت يده من بلاد.

لقد قضى زاخاس ما يقرب من عشر سنوات في صراع مع البيزنطيين كان للبحرية السلجوقية خلالها نشاط واضح في زعزعة استقرار البيزنطيين في منطقة أسيا الصغرى وبخاصة على سواحل بحر إيجه، فلقد دخل زاخاس معهم خلال هذه الفترة في عدة معارك، خسر في بعضها وتمكن من إحراز النصر في كثير منها، وبلا شك أن قوة سياسية صغيرة مثل إمارة زاخاس في أزمير كان تحتاج إلى قوة عسكرية تساند زاخاس وتساعده على تحقيق أحلامه وطموحاته، فكان صراعه مع البيزنطيين يعتمد على قوته البحرية والأسطول الذي أسسه لهذا الغرض، وتمكن بفضل هذه القوة البحرية من السيطرة على كثير من المدن والجزر التابعة للإمبراطورية البيزنطية في أسيا الصغرى.

لقد أدرك زاخاس خلال الفترة التي قضاها في البلاط البيزنطي أسير ووصيفا أهمية سلاح البحرية في الحروب، ومن المؤكد أنه استفاد خلال تلك الفترة من الخبرات البيزنطية الكبيرة في هذا المجال، كما تعرف على أساليب البيزنطيين

---

(١) راجع رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص١١٤، ص١٦٣-١٦٤؛ أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٥؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٥٨-٥٩.

(٢) انظر مورتمان *J.H.Mordtmann* : إزمير (دائرة المعارف الإسلامية) ج٣ص١٧٩.

العسكرية والدبلوماسية، وتيقن زاخاس – كما سبق القول – من أن أي تهديد مؤثر على الإمبراطورية البيزنطية ومدينة القسطنطينية لا بد أن يكون عن طريق البحر[١].

وقد يؤكد على هذا الرأي عدم وجود خبرات بحرية لدى السلاجقة، ولذلك نرى زاخاس يستعين بخبرة الجنود البيزنطيين واليونانيين والإيطاليين في بناء الأسطول والأعمال العسكرية البحرية ضد البيزنطيين، فكان حريصا أن يجندهم في قوته ويعتمد على خبرتهم في مجال البحر وبناء السفن والمراكب[٢].

وتشير المؤرخة اليونانية آنا كومنينا في حولياتها أن زاخاس منذ استيلائه على أزمير في عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م؛ عمل على بناء أسطول بحري قوي، وأن الدلائل لديها تؤكد على نجاحه في هذا المشروع، فقد أنشأ زاخاس دارا لصناعة السفن والمراكب في أزمير، وعهد بالعمل فيها لرجل من أهل المدينة كان "واسع الخبرة" في بناء السفن والمراكب، وقد أمره زاخاس ببناء بعض السفن الحربية ووفر له المادة الخام المطلوبة، فأتم هذا الرجل مهمته وبنى لزاخاس أسطولا كبيرا من السفن الحربية، كما ساعده على توفير ما يقرب من أربعين مركبا صغيرا بملاحيها كانوا من أمهر البحارة في تلك المنطقة[٣].

ولا يمكن قبول أن زاخاس الذي قضى فترة من الوقت في الأسر البيزنطي وتم تجريده من كل أمواله وممتلكاته قبل هروبه إلى أسيا الصغرى؛ قد بنى هذا

---

(١) زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٥؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٦.

(٢) راجع آنا كومنينا: ألكسياد ص٢٩٥؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٠؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٠٤، ص١٧٤؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧.

(٣) ألكسياد ص٢٩٥.

الأسطول في نفس عام تأسيس الإمارة، ولذلك نرجح تلك الروايات التي تشير إلى أنه كان يقوم بنهب الموانئ وبعض أعمال القرصنة السريعة في بحر إيجه خلال عملياته الأولى، الأمر الذي يمده بالمال اللازم لبناء أسطوله وقوته البحرية ويساعده على تحقيق مطالبه السياسية(١).

وبلا شك كان زاخاس على اتصال وثيق بقوة سلاجقة الروم وحميه السلطان قلج أرسلان الأول، ومن الراجح أنه كان يتلقى دعما ماديا منهم، إذ كان السلطان قلج أرسلان يعتبر قوة زاخاس درعا واقيا له من الخطر البيزنطي في الوقت الذي انشغل هو فيه بتوطيد سلطانه وتقوية نفوذه بأسيا الصغرى(٢).

وعلى أية حال فإن زاخاس قد أفاد كثيرا من خبرات اليونانيين والبيزنطيين والإيطاليين في بناء أسطوله(٣)، ليكون بذلك أول تركي سلجوقي يؤسس لقوة بحرية قوية في منطقة أسيا الصغرى كانت هي المحاولات الأولى التي نسمع فيها عن استخدام الأتراك السلاجقة لسلاح البحرية في حروبهم بهذه المنطقة.

وبحلول عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م كان الأمير زاخاس قد تمكن من إنشاء أسطول بحري قوي في أزمير، ولم يمض غير وقت قليل حتى تمكن من خلال هذه القوة البحرية ان يكون سيدا على بحر إيجه (٤).

وتشير الروايات أن القوة المبدئية للأسطول السلجوقي الذي أسسه زاخاس وأنزله لأول مرة في بحر إيجه ضمت ٣٣ سفينة شراعية، ١٧ سفينة مجداف، ٤٠

---

(١) عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٨ حاشية (٧٢).

(٢) أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٨.

(٣) أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٤؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥؛
Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 319.

(٤) سوف يعرض البحث بالتفصيل في المبحث التالي للنشاط البحري للأمير زاخاس.

قطعة سلاح بحري صغير[١]، ومن أنواع السفن والمراكب التي استخدمها زاخاس في أسطوله[٢]: الدرامين[٣]، والعداءات[٤]، والقراقير الطويلة[٥]، والبطس[٦]،

(١) انظر كومنينا: ألكسياد ص٢٩٥.

(٢) انظر كومنينا: ألكسياد ص٣٥١.

(٣) **الدرامين:** مفردها درمونة، وهي نوع من السفن الصغيرة خفيفة الحركة كانت تستخدم لنقل غلال ومؤن الملوك والأمراء وقت الحرب. انظر درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، نشر جامعة الإسكندرية ١٩٧٤م، ص٤٦-٤٧؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص٤٨.

(٤) **العداءات:** نوع من المراكب والسفن الصغيرة سريعة الحركة خفيفة الأحمال تستخدم لنقل فرق الجنود محدودة العدد من وإلى السفن الكبيرة داخل البحر. درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم ص٩٤.

(٥) **القراقير:** ومفردها قرقور، وقرقورة، وهو اسم قد يطلق على الفينة بشكل عام فتسمى السفينة "قرقورة"، وهو نوع من السفن الكبيرة يتفاوت حجمها وشكلها حسب وظيفتها والغرض من استعمالها، ومنها ما يكون متعدد الطوابق بأكثر من ظهر. درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم ص١٢٠-١٢٥. وذكر ابن بطوطة أنه ركب في "قرقورة كبيرة" للجنويين من اللاذقية إلى تركيا. راجع رحلة ابن بطوطة ج١ص٢٩٠.

(٦) **البطس:** نوع من السفن الضخمة المستخدمة في الحروب بشكل كبير وقت الحروب الصليبية، وتركزت مهمتها على حمل ونقل الجنود والمؤن والغلال والأسلحة للمدن المحاصرة أو المراد حصارها. انظر درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم ص١٤-١٦.

والشــواني[١]، والمزاريب الطويلة ثلاثية المجــاديف[٢]، ونوع آخر من السفن يسمى "الأجفان الغزوية"[٣].

(١) **الشواني**: ومفردها شينية أو شونة، وهي السفينة الحربية الضخمة الكبيرة، وهي أهم قطع الأسطول الحربي في الدولة الإسلامية بشكل عام، وكل سفينة حربية شيني تحمل اسما آخر يدل على وظيفتها، فمنها: الغراب، والحراقة، والطريدة .... إلخ. فالشواني كانت تقام فيها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم. انظر درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم ص٨٣.

(٢) اسمها الصحيح **المرازيب** وليس المزاريب: ومفردها مرزاب، السفينة الضخمة الطويلة. درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم ص١٤٠.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ج١ص٣١١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص١٨٨، والأجفان الغزوية: ضرب من السفن الصغيرة سريعة الحركة تستخدم في الغالب لأعمال القرصنة والغزو السريع. لسترنج: بلدان الخلافة ص١٨٨.

المبحث الرابع : النشاط البحري للأمير زاخاس في أسيا الصغرى

على الرغم من إشارة الروايات إلى أن قوة زاخاس البحرية بدأت في الظهور من مقره بأزمير منذ عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م؛ فإننا لم نجد ذكرا ملحوظا لعمل أسطوله الذي أنشأه قبل عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م[١]، مما يؤكد على أن زاخاس كان يؤسس أسطوله ويبنيه طوال تلك الفترة الزمنية.

وبعد بناء الأسطول وتجهيزه؛ بدأ زاخاس في محاربة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، ودارت بينه وبين أسطول الإمبراطور عدة معارك كان النصر في معظمها حليف الأمير السلجوقي زاخاس.

تشير كومنينا في حولياتها أن أول عمل عسكري بحري لزاخاس كان موجها ضد المدن الصغيرة والجزر القريبة من أزمير على بحر إيجه عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م ، فنزل بأسطوله لأول مرة في "كلزومين *Calzaomen*" [٢] قرب أزمير وسرعان ما استولى عليها، ثم تحرك إلى "فوكيا *Phocaea*"[٣] وسيطر عليها، ومن هناك أرسل رسالة إلى "ألوباس *Alopus*" حاكم جزيرة ميتيلين[٤] على ساحل بحر إيجه، وأمام

---

(١) انظر عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٨.

(٢) **كلزومين** *Calzaomen* : أبعد نقطة من مدينة أزمير ناحية الشمال على ساحل البحر، زارها الرحالة اليهودي ابن يونة الأندلسي. انظر رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي، ترجمة وتعليق عزرا حداد، تصدير عباس العزاوي، تقديم رحاب خضر عكاوي، دار ابن زيدون، بيروت (ط١) ١٩٩٦م.، ص٨٤.

(٣) **فوكيا:** وتعرف حديثا "ني فوكيا" مدينة يونانية تقع حاليا في هالكيديكي في مقاطعة فوريا إلادا.

(٤) **ميتيلين:** وتعرف حديثا ميتيليني، اسم يطلق على مدينة وجزيرة يونانية تقع شرقي اليونان على الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة لسبوس مقابل الساحل التركي، وتبعد عنه مسافة ١٧ كم وتحيط بها التلال من الغرب والشمال ولها ميناء يربطها بجزيرتي خيوس وليمنوس في بحر إيجه. انظر رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي ص٨٣.

تهديد زاخاس؛ أبحر حاكم الجزيرة سرا في الليل هاربا إلى القسطنطينية، واستولى زاخاس على الجزيرة[١].

ثم تحرك زاخاس بأسطوله واستولى على جزيرة خيوس دون مشقة[٢]، ومع بدايات العام التالي ٤٨٣هـ/١٠٩٠م كان زاخاس قد سيطر على جزر لسبوس وساموس ورودس.[٣]

---

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٥-٢٩٦؛ عمر يحي: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٨.

(٢) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٦، و**خيوس:** جزيرة يونانية تقع شمالي بحر إيجه قبالة السواحل التركية قرب مدينة أزمير، وهي خامس أكبر الجزر اليونانية مساحة، ويفصلها عن تركيا حديثا مضيق بعرض ٧ كم يعرف بمضيق تششمة، وكانت تعرف بجزيرة "صاقز" أثناء الحكم العثماني لها، وهي من الجزر التي زارها الرحالة الأندلسي ابن يونة خلال رحلته إلى بلاد الشرق وأشار إلى كثرة شجر "المستكي" بها، وكذلك أشار إلى وجود بعض اليهود. انظر رحلة ابن يونة الأندلسي ص٨٤.

(٣) انظر رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص١١٦؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٧٨؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٥٨، ص٧٠-٧١؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥؛ عمر يحي: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧؛ كذلك انظر :

Cambridge History of Islam, vol ,1, p: 239.

أما **لسبوس:** فيسميها ابن يونة الأندلسي "جزيرة مدلي"، وتعرف حاليا باسم لسبوس أو مدللي، وهي ثالث أكبر جزيرة يونانية، تقع شمالي بحر إيجه ضمن مقاطعة ليسبوس، وتبلغ مساحتها حوالي ٦٣٠ ميل مربع. انظر رحلة ابن يونة الأندلسي ص٨٣.

و**ساموس:** *Samos* : يسميها ابن يونة :صاموس" وشير إلى انها تبعد حوالي يومين عن خيوس، وساموس جزيرة يونانية تقع في بحر إيجه جنوبي جزيرة خيوس، وهي مسقط رأس العالم فيثاغورس وتعد حاليا من أكبر الجزر اليونانية من حيث عدد السكان، وتبلغ مساحتها حوالي ٤٧٨ كم مربع، بينما الجزيرة في معظمها جبلية، وتحتوي على الكثير من السهول الكبيرة والخصبة. انظر رحلة ابن يونة الأندلسي ص٨٤.

ورودس: تبعد حوالي ثلاثة أيام من جزيرة ساموس وعلى بعد أربعة أيام من جزيرة قبرص، ورودس جزيرة يونانية تقع في البحر المتوسط بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف المسافة بين جزر اليونان وقبرص، وتعد رودس أبعد الجزر الشرقية بالنسبة لليونان وبحر إيجه وتبعد عن غرب تركيا حوالي ١٨ كم، وهي جزيرة مشهورة مراحل التاريخ والعصور القديمة، إذ عُرف عنها ما شهدت من

=

وهكذا غدا زاخاس خلال مدة زمنية بسيطة لم تتجاوز العامين سيدا على بحر إيجه، وبهذا التفوق العسكري شكل زاخاس خطر بالغا على البيزنطيين، إذ كان احتلاله لسواحل بحر إيجه يعني تحكمه في مناطق الإمداد البحري لها، وقد أزعجت انتصاراته المتتالية الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، فأرسل على الفور أسطولا بحريا لمحاربته وتقليص نفوذه، وكان على قيادة هذه الحملة البحرية القائد نيكتاس كاستامونيتس *Nicetas Castamonites*، وبادر القائد البيزنطي بالتوجه أولا إلى جزيرة لسبوس لاستعادتها من زاخاس، لكن هذا الأسطول عاد خائبا وتمكن زاخاس من إحراز النصر على القوات البيزنطية وأسر عدد كبير من السفن والمراكب البيزنطية(١)، وظلت الجزيرة تحت يدي زاخاس مما يشير إلى مدى قوة البحرية التي أنشأها.

ومن جانبه أرسل الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين أسطولا بحريا أخر لمحاربة زاخاس، وكان على قيادته هذه المرة القائد قسطنطين دلاسينوس *Constantine Dalassenus*(٢)، الذي عينه الإمبراطور البيزنطي قائدا للبحرية البيزنطية، وتحركت القوات البيزنطية يرافقها القائد "ألوباس *Alopus*" حاكم ميتيلين

صراعات ونزاعات من قبل أغلب الإمبراطوريات والقوى القديمة، ويعود هذا الصراع الذي كان دائرا حولها إلى اهمية موقعها من الناحية الاستراتيجيّة، كما يوجد بها تمثال "كلوسوس" أحد عجائب الدنيا السبع القديمة. انظر رحلة ابن يونة الأندلسي ص٨٤-٨٥.

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٦؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥، ص١٦٦.

(٢) قسطنطين دلاسينوس *Constantine Dalassenus*: كان يتصل بصلة القربى بالإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين عن طريق الأم، وقد عينه الإمبراطور "أميرا للبحرية" البيزنطية عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م ووجهه لقتال زاخاس. انظر آنا كومنينا: ألكسياد ص٢٩٦.

الذي هرب سابقا، غير أن هذا الأسطول البيزنطي مني هو الآخر بالهزيمة قرب شواطئ أزمير ذاتها، ووقع عدد من قواته وسفنه في أسر زاخاس[١].

وعلى الرغم من انتصار زاخاس كما أوضحنا، واعتراف الأميرة آنا كومنينا بهذا الانتصار؛ فإنها عادت لتناقض نفسها وتقول في حولياتها أن زاخاس طلب الصلح مع دلاسينوس *Dalassenus* لاعتقادها أنه "يأس كل اليأس من النصر"[٢]، ومن الواضح أن هذا الزعم مغاير لما حدث، ويبدو واضحا أن الأميرة آنا كومنينا قصدت به إعلاء شأن القوات البيزنطية في شأن المعارك التي خاضتها ضد الأمير السلجوقي زاخاس[٣].

وعلى افتراض صحة هذه الرواية وقبولها بشأن طلب زاخاس الصلح مع القوات البيزنطية؛ فإنه يمكننا القول بأن زاخاس ربما قصد بهذا الصلح الاستفادة من الوقت بعد المعركة في إعادة ترتيب قواته وإعطائها قسطا من الراحة، والعمل على تعزيزها لكي تكون على أهبة الاستعداد لصد أي هجوم آخر، ومما قد يؤكد على هذا الاتجاه أن زاخاس أبحر سرا إلى أزمير لجمع مزيد من قواته ثم عاد بهم إلى جزيرة خيوس لمتابعة نشاطه الحربي[٤].

ويستفاد من رواية الصلح تأكيد الأميرة آنا كومنينا بذاتها (وهي ابنة الإمبراطور ألكسيوس) أن انتصارات الأسطول السلجوقي قد مكنته من فرض سيطرته على بحر إيجه، ولذلك أبدى زاخاس رغبته في الجلوس للتفاهم مع القائد

---

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٦-٢٩٧؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم بأسيا الصغرى ص٧٠-٧١؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥، ص١٦٦.

(٢) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٨.

(٣) راجع لمزيد من التفاصيل كومنينا: ألكسياد ص٢٩٧-٢٩٨؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم ص٧٠-٧١؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٧.

(٤) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٦-٢٩٧؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٧.

قسطنطين دلاسينوس *Constantine Dalassenus*، كما أبدى استعداده لإعادة الجزر التي احتلها للبيزنطيين ولكن بشرط أن يعيد إليه الإمبراطور البيزنطي كل أمواله وممتلكاته التي سلبها منه وقت وجوده في القسطنطينية، وأن يوافق القائد دلاسينوس نفسه على زواج ابنته من ابن زاخاس(١)، ولكن الإمبراطور البيزنطي رفض هذا الشرط ولم يلق بالا بقوة زاخاس البحرية، وتظاهر القائد البيزنطي دلاسينوس بالموافقة على شروط زاخاس حتى انقضى اليوم ودخل الليل فذهب كل منهما في الاستعداد للحرب دون الوقوف على شروط الصلح السابقة(٢).

ولم يجد الإمبراطور البيزنطي بدا من مضاعفة الجهد للقضاء على خطر زاخاس وقوته البحرية، حيث كان ذلك يحتل مكانة كبيرة في فكرة واستراتيجيته باعتبار أن السيادة في البحر بهذه المنطقة ينبغي أن تظل بأيدي البيزنطيين وحدهم، فأعد ألكسيوس حملة بحرية ثالثة واهتم بها اهتماما كبيرا ووجهها لمحاربته، وكان قائد القوات البحرية البيزنطية هذه المرة القائد حنا دوكاس *Ducas*، والتقى الأسطول البيزنطي بالأسطول السلجوقي بالقرب من جزر كويون في بحر مرمرة في ١٧ ربيع الأول ٤٨٣هـ/١٩ مايو من عام ١٠٩٠م ووقعت الهزيمة على أسطول السلاجقة، وركزت القوات البيزنطية على استخلاص جزيرة خيوس، حيث حاصروها وأخذوا في قذف الحامية التركية بها بالمجانيق، وخسر زاخاس السيطرة على جزيرة خيوس التي دخلتها القوات البيزنطية بأمر الإمبراطور(٣).

---

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٨-٢٩٩.

(٢) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٩-٣٠٠.

(٣) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٦-٢٩٧، ص٣٤٦؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص١٢٩؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٨؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٠-٧١؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٨.

وقد رأى زاخاس بعدما خسر جزيرة خيوس أن يعود بقواته إلى قاعدته في أزمير، وبعد أن استعد جيدا تحرك الأسطول السلجوقي مرة أخرى تجاه جزيرة خيوس، وكانت تعداد رجاله هذه المرة وفق رواية كومنينا ثمانية آلاف جندي من الأتراك[١]، واستخدم زاخاس حيلة حربية بحرية لمنع هروب أو عبور سفن البيزنطيين من أو إلى الجزيرة، حيث ربط جميع سفنه ومراكبه في البحر بعضها ببعض عن طريق سلسلة قوية، وبذلك أجبر القوات البيزنطية بالجزيرة على الاستسلام واستعاد زاخاس سيطرته علي خيوس مع نهايات عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، كما بادر باتخاذ خطوة في غاية الأهمية حيث تحرك صوب مدينة أبيدوس مفتاح مضيق الدردنيل وسيطر عليها، وأغلق المضيق أمام الملاحة البيزنطية[٢].

وما لبث الأمير زاخاس أن لقب نفسه بعدها بلقب "الإمبراطور" في أزمير، واستخدم شارات الإمبراطورية ورتبها، بل إنه كان يطمع في أن يكون بديلا عن الإمبراطور البيزنطي نفسه في القسطنطينية[٣] كما سبق القول، الأمر الذي أوغل صدر الإمبراطور ألكسيوس كومنين وجعله يقرر إخراج زاخاس من مقره بأزمير حتى يمكن القضاء عليه.

وفي سبيل ذلك؛ أعد الإمبراطور البيزنطي قوة كبيرة لمحاربة زاخاس والقضاء على نفوذه وقوته البحرية، وقد تولى قيادة هذه الحملة القائد دوكاس *John Ducas*،

---

(١) كومنينا: ألكسياد ص٢٩٧.

(٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ص١١٦؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٣؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٨؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٨؛ راجع كذلك:

Cambridge History of Islam, vol ,1, p: 238,
Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 320.

(٣) كومنينا: ألكسياد ص٣٤٥-٣٤٦؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ص١١٤؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٧-١٦٨.

صهر الإمبراطور ألكسيوس والذي أصبح قائدا لسلاح البحرية البيزنطي، وكان يسانده في هذه الحملة القائد البحري السابق قسطنطين دلاسينوس، واتفق القائدان على الهجوم على جزيرة ميتيلين التي كان زاخاس قد ترك أخاه جلباتزس -*Galab atzes* عليها، بينما عاد هو إلى أزمير للتزود، ولكنه لما علم بقدوم هذه القوة البيزنطية أسرع عائدا إلى ميتيلين وظلت الحرب سجالا بين الطرفين لمدة اقتربت من ثلاثة أشهر حول ميتيلين[١]، انتهت بهزيمة الأسطول السلجوقي ودخول البيزنطيين الجزيرة، أما زاخاس فقد رغب في العودة بما تبقى من قواته إلى أزمير، واتفق على ذلك مع القائد دوكاس وأخذ كل طرف منهما بعض الرهائن من الطرف الآخر شرطا لخروج زاخاس وعودته إلى مقره بأزمير، على ألا يتعرض بسوء لأهل ميتيلين[٢].

غير أن القائد دلاسينوس – الذي لم يكن حاضرا اتفاق دوكاس مع زاخاس– اعترض زاخاس في البحر وحرر من معه من الأسرى والرهائن، كما استولى منه على عدد من السفن والمراكب، ووفقا لرواية آنا كومنينا فإن زاخاس نفسه كاد أن يقع أسيرا في أيدي القوات البيزنطية، لولا أن تمكن من الهروب بسفينة سريعة إلى الشاطئ حيث كان بانتظاره جماعة من الجند الأتراك حملوه سريعا إلى أزمير، بينما رحل دلاسينوس إلى جزيرة ساموس واستولى عليها، وتحرك دوكاس من ميتيلين عائدا إلى القسطنطينية[٣].

ولما لم تكن سيطرة الأسطول السلجوقي على "جزر متناثرة" – على حد تعبير الأميرة المؤرخة آنا كومنينا[٤]– مثل خيوس ولسبوس ورودس وغيرها من جزر بحر

---

(١) كومنينا: ألكسياد ص٣٤٥-٣٤٧.

(٢) كومنينا: ألكسياد ص٣٤٧-٣٤٨.

(٣) كومنينا: ألكسياد ص٣٤٨-٣٤٩.

(٤) كومنينا: ألكسياد ص٣٤٥.

إيجه تشكل خطورة كبيرة على الدولة البيزنطية كونها جزر غير ذات أهمية كبرى – استراتيجيا أو اقتصاديا– فإن ما أزعج الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين حقيقة هو تجرؤ زاخاس على الهجوم على عاصمته القسطنطينية عن طريق البحر.

أسطول الأمير زاخاس يهاجم القسطنطينية :

عمل الأتراك السلاجقة منذ استقرارهم في أسيا الصغرى على التوسع شمالا على حساب الدولة البيزنطية، وقد لجأوا إلى استخدام الحيل السياسية والدبلوماسية، كما استخدموا القوة العسكرية برا وبحرا من أجل تحقيق طموحاتهم وكانت لهم الكلمة العليا في كل بلاد أسيا الصغرى(١).

وخلال فترة بقائه في القسطنطينية؛ تيقن زاخاس أن أي تهديد مؤثر على الإمبراطورية البيزنطية لا بد أن يكون عن طريق البحر(٢)، وبعد عودته إلى الأناضول وبناء الأسطول تمكن زاخاس من تهديد العاصمة القسطنطينية(٣)، بل إنه وجه إليها العديد من الضربات(٤).

---

(١) محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣٢٤.

(٢) زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٥؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٦؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣-١٧٤.

(٣) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٧٠؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ص٩٠؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٥؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٥٨-٥٩.

(٤) كومنينا: ألكسياد ص٣٤٥-٣٤٩؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣٢٤؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥، ص١٢٦؛ كذلك:
Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 319.

وقد عمل زاخاس على الإفادة من الخلاف الواقع بين البيزنطيين والبجناك، فتحالف مع البجناك لمهاجمة البيزنطيين في مقرهم بالقسطنطينية، وكان الاتفاق قائما على أن يهاجم البجناك المدينة بجيش بري، بينما يهاجمها زاخاس بأسطوله عن طريق البحر[١]، وبذلك تكون القوات البيزنطية وقعت بين شقي الرحى.

وفيما يبدو أن زاخاس كان آملا بشدة في حصار القسطنطينية وإسقاطها، حيث نراه يتحالف مع الأمير أبي القاسم حاكم مدينة نيقية السلجوقية بأسيا الصغرى والذي كان قد تمكن من أن يضم إلى جيشه مجموعة من المرتزقة الأتراك بعد أن وعدهم بجزء من الغنائم، واتفق معه زاخاس على شن هجوم مزدوج على أملاك البيزنطيين، فبينما يهاجم البجناك القسطنطينية برا ويحاصرها زاخاس بحرا؛ يهاجم أبو القاسم البيزنطيين في نيقوميديا فتتشت قواتهم في الدفاع عن أملاكهم[٢].

وتحركت الجيوش الثلاثة كل في طريقه، فتحرك جيش البجناك محاصرا القسطنطينية برا ومنع اتصال المدينة بولاياتها الغربية، بينما تحركت الأسطول السلجوقي بقيادة زاخاس وحاصر المدينة بحرا من ناحية الجنوب ومنع عنها الإمدادات من هذا الاتجاه، وعلى ما يبدو أن سلطان سلاجقة الروم كان على علم بهذا التحالف حيث نراه يستغل هذه الظروف ويتوغل بجيوشه في أسيا الصغرى مستوليا على الكثير من المدن والقلاع البيزنطية[٣].

---

(١) أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٧؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣٢٤؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٧؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣.

(٢) أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣-١٧٤.

(٣) كومنينا: ألكسياد ص٢٥٤؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣ -١٧٤.

وفي أواخر شتاء ٤٨٣هـ/١٠٩٠م حوصرت القسطنطينية برا وبحرا، وشكل هذا الحصار خطورة بالغة عليها[١]، وبحث الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس عن حليف يعاونه في مواجهة تلك القوة التركية، فلم يجد غير الكومان (القفجاق)[٢]، وفي الثامن من ربيع الأول من عام ٤٨٤هـ/ التاسع والعشرين من أبريل عام ١٠٩١م، دارت المعركة البرية ليفونتيوم *Mtlevanion* بين الجيش البيزنطي وحلفائه من الكومان وبين البجناك، دارت فيها الدائرة على البجناك الذين أقيمت له المذابح لموقفهم السابق[٣]، بينما تمكن القوات البيزنطية البحرية من إجبار زاخاس على فك حصاره عن العاصمة، فلما رأى هزيمة حلفائه البجناك اضطر أن ينسحب بقواته عائدا إلى أزمير[٤].

أدرك الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس أن القوة العسكرية البيزنطية وحدها لم تعد كافية للقضاء على قوة زاخاس وتقليص نفوذه، فقرر الاستعانة بالسلطان السلجوقي قلج أرسلان الأول، وكان سلطان السلاجقة في نيقية على وفاق مع حميه زاخاس طوال فترة صراعه مع البيزنطيين، بل ومن المؤكد أنه كان يقدم له الدعم اللازم، حيث كان يعتبر زاخاس درعا واقيا له من الخطر البيزنطي، في الوقت الذي كان يسعى هو فيه لتثبيت سلطانه وتقوية نفوذه في أسيا الصغرى، غير أنه رحب مؤخرا بالتعاون مع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس للتخلص من

---

(١) محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣٢٤.

(٢) القفجاق أو القبجاق: اسم يطلق على مجموعة القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى وتوحدت فيما بينها خلال القرن العاشر الميلادي، وكانت تضم إضافة إلى القفجاق بطون الغز والبجنيك، وقد دامت سيادتهم في أسيا الوسطى حتى ظهور المغول بقيادة جنكيز خان حيث تغلب المغول عليهم. انظر السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ص٨٨٠.

(٣) كومنينا: ألكسياد ص٣١٣، ص٣٢٥-٣٢٨.

(٤) زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٥؛ أميمة حسن المهدي: النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية ص١٧٣-١٧٤.

زاخاس لما تأكد أن قوة زاخاس أصبحت تشكل خطر عليه هو ذاته، حيث كانت سيطرته على السواحل الغربية لأسيا الصغرى جعلته يتحكم في طرق التجارة ومضايقها المهمة في المنطقة، وأصبح بإمكانه أن يعرقل أي إمداد لسلطنة سلاجقة الروم، فخشي السلطان قلج أرسلان من هذا النفوذ المتزايد لزاخاس، وقد لعب الإمبراطور البيزنطي دورا كبيرا في تثبيت هذا المفهوم لدى سلطان سلاجقة الروم، فقررا العمل سويا للتخلص من زاخاس وقوته.

المبحث الخامس : نهاية الأمير زاخاس وسقوط إمارة أزمير

كان لاتصال زاخاس بالبيت السلجوقي ومصاهرة السلطان قلج أرسلان الأول أثرٌ كبيرٌ في نمو إمارته بأزمير وتزايد خطره على الدولة البيزنطية، وخشي الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من تحالف بين نيقية وأزمير ضده، وتمكن من إيقاع الفرقة بين قلج أرسلان الأول وحميه زاخاس عن طريق ما بذله للسلطان السلجوقي من نصائح ركز فيها على تخويف السلطان من منافسة زاخاس له في المستقبل، وقد تقبل السلطان قلج أرسلان لنصية الإمبراطور البيزنطي خشية من ظهور أمير تركي آخر يطغى على شخصيته وينافسه على الزعامة في منطقة أسيا الصغرى(١).

ولا شك في أن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين كان يخشى قوة زاخاس المتزايدة على ساحل بحر إيجه، وبخاصة بعد هزيمته للقوات البحرية البيزنطية في أكثر من موقعة، فبدأ يفكر في البحث عن قوة تساعده في التخلص من زاخاس، وبطبيعة الحال اتجهت أنظاره صوب مدينة نيقية وسلطانها قلج أرسلان الأول، فأرسل خطابا إلى السلطان السلجوقي حثه فيه على التخلص من زاخاس وأكد له أن خطورته الحقيقية ليست موجهة ضد البيزنطيين بقدر ما هي موجهة ضد سلطنة السلاجقة ذاتها بأسيا الصغرى(٢).

---

(١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٨؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٣-٦٤؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٣؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧-٥٨.

(٢) كومنينا: ألكسياد ص٣٥١-٣٥٢؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٥-٢٦، ص١٦٨-١٦٩؛ وراجع نص الخطاب في الملحق رقم (١)، كذلك:
Cambridge History of Islam, vol ,1, p: 238.

وفي شهور عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م نفذ كل من الإمبراطور البيزنطي والسلطان السلجوقي مخططهما للتخلص من زاخاس، فبينما كان زاخاس يحاصر بأسطوله أبيدوس مفتاح الدردنيل، تحركت القوات البيزنطية بحرا، والجيش السلجوقي برا، فوجد زاخاس نفسه محاصرا بينهما، وعندئذ اضطر إلى طلب لقاء السلطان السلجوقي، وفي العاصمة نيقية، وخلال ضيافته له على وليمة أعدها السلطان قلج أرسلان لحميه؛ أخرج السلطان السلجوقي سيفه وقتل زاخاس بنفسه(١).

وبعد مقتل زاخاس تم التوصل إلى تسوية بين الإمبراطور البيزنطي، والسلطان قلج أرسلان الأول(٢)، وأضحت الإمبراطورية البيزنطية في مأمن من أي خطر مباشر عليها(٣)، كما تنفس السلطان قلج أرسلان الصعداء ليتفرغ لصراعه مع الدانشمنديين(٤) في الوقت الذي تنعم فيه حدوده الغربية مع البيزنطيين بمرحلة من الهدوء بعد تقارب وجهات النظر بينه وبينه ألكسيوس كومنين(١).

---

(١) كومنينا: ألكسياد ص٣٥٢-٣٥٣؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ص١١٦؛ أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٨؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٧٣؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٦، ص١٦٨-١٦٩؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٥٧-٥٨ وهو يذكر أن زاخاس مات من الوليمة "المسمومة" التي تناولها في نيقية، وليس ذلك صوابا، والصحيح ما ذكر في المتن وفق ما ذكرته معظم الروايات الأخرى، راجع كذلك:

Cambridge History of Islam, vol ,1, p: 238,
Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 320.

(٢) كومنينا: ألكسياد ص٣٥٣؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ص١١٦.

(٣) أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون ج١ص٢٤٨.

(٤) **الدانشمنديون:** ينسبهم القرماني إلى العرب (أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، نشر بغداد ١٨٦٦م، ص٢٩٢) غير أنه من المرجح نسبتهم إلى الأتراك الذين وفدوا إلى منطقة أسيا الصغرى عقب انتصار السلاجقة على البيزنطيين في موقعة ملازكرد عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م، وقد استقروا في منطقة كبادوكيا واتخذ أول أمرائهم دانشمد أحمد غازي من مدينة ملطية مقرا له في البداية، ثم أقام له مملكة في كبادوكيا وضم إليها الكثير من المدن ونقل مقر ملكه إلى سيواس، وقد نافست هذه الأسرة سلاجقة الروم =

على أن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس بعد أن اطمأن إلى نجاح مسعاه بالتخلص من زاخاس على أيدي قلج أرسلان؛ وبعد أن قضى على خطر قبائل البجناك والكومان في نواحي إمبراطوريته؛ بدأ في التخلي عن سياسة الوفاق والتقارب التي كان قد اتبعها مع سلاجقة الروم خلال الفترة السابقة من حكمه، وبدأ في سياسته الهجومية لاستعادة أملاك الدولة البيزنطية في أسيا الصغرى، فعبر البسفور إلى إقليم بيثينيا، وأشرف بنفسه على إقامة التحصينات هناك، كم اهتم بشأن الأسطول حتى صار أكثر قوة وكفاية من ذي قبل[٢]، في نفس الوقت الذي كان جموع الصليبيين تصل فيه إلى القسطنطينية في حملتهم الأولى على الشرق الإسلامي.

استسلام أزمير ٤٩١هـ / ١٠٩٧م :

على الملك والسلطة في أسيا الصغرى وشكلت خطرا كبيرا على سلطنة سلاجقة الروم واستمر خطرها حتى عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م عندما أسقط السلطان قلج أرسلان الثاني مدينة سيواس وقضى على قوة الدانشمنديين بها. راجع لمزيد من التفاصيل عن هذه الأسرة ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ص٤٨-٤٩؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي بالقاهرة (د.ت)، ج٢ص٢١٢؛ ج٣ص٥٣؛ القرماني: أخبار الدول وأثار الأول ص٢٩٢، أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٦-٣٣.

(١) كومنينا: ألكسياد ص٣٥٣؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣١٩-٣٢٠؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٦، ص١٦٨-١٦٩؛ راجع أيضا :
Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 320.

(٢) كومنينا: ألكسياد ص٣٤٥؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص١٢٩؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص٢٦، ص١٦٨-١٦٩؛
Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p: 320.

بعد جهود ضخمة بذلها زاخاس في بناء إمارته بأزمير وتدعيم قوتها البحرية في أسيا الصغرى؛ زال خطر إمارته بمقتله على يد السلاجقة عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وتدمرت قوته البحرية وأسطوله.

وبعد سقوط مدينة نيقية في أيدي البيزنطيين في ١٦ رجب ٤٩٠هـ/١٩ يونيو ١٠٩٧م[١]؛ عمل الإمبراطور البيزنطي على استعادة الجزء الغربي من أسيا الصغرى، وتمكن بفضل قواته البرية والبحرية من استعادة الجزر والمدن الساحلية التي كان زاخاس قد استولى عليها، أما أزمير فقد صمد أميرها ابن زاخاس بعض الوقت حتى وجدت نفسها منعزلة عن الدولة السلجوقية وبخاصة بعد سقوط نيقية، فأرسل الإمبراطور البيزنطي حملة بقيادة صهره حنا دوكاس تسانده قوة بحرية بقيادة كاسباس الذي عين قائدا للأسطول البيزنطي، وكانت ترافق هذا الجيش مجموعة من الأسرى السلاجقة من نيقية من بينهم زوجة السلطان قلج أرسلان الأول (ابنة زاخاس)، وأمام هذا المخطط البيزنطي، دخلت القوات البيزنطية المدينة بعد أن هاجموها برا وبحرا في صيف عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م وأرغموا أميرها على الاستسلام[٢].

وجدير بالذكر أن الدولة البيزنطية والإمبراطور ألكسيوس كومنين نفسه قد أفاد كثيرا خلال هذه المرحلة من زحف القوات الصليبية في حملتهم الأولى على الشرق

---

(١) محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ص٨٦.

(٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج١ص٢٧٥؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج١ ص١٦٣-١٦٤؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى ص٦٦، ص٧٨؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٧٣؛ عمر يحي محمد: الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى ص٧٧؛ كذلك :

Cambridge History of Islam, vol ,1, p: 239.

الإسلامي، حيث ساندته تلك القوى الصليبية في وضع حد لنفوذ السلاجقة وخطورتهم في منطقة أسيا الصغرى[١].

ورغم سقوط مدينة أزمير في يد القوات البيزنطية فإنها بحكم موقعها الجغرافي على البحر وقربها من العاصمة البيزنطية القسطنطينية قد ظلت خلال المراحل المقبلة خطرا على الدولة البيزنطية على الدوام حيث استولى عليها وعلى إقليم آيدين حاكم أفسوس السلطان محمد[٢] منذ عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م وعمل على تقوية نفوذه بها[٣]، يشهد بذلك الرحالة ابن بطوطة الذي زار المدينة عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م ؛ وذكر أن حاكمها الأمير عمر بك بن السلطان محمد حاكم آيدين كانت له آنذاك سفن يطلق عليها "أجفان غزوية"، يغير بها على القسطنطينية والمدن الساحلية على ساحل البحر فيسبي ويغنم ثم يعود إلى مقره[٤].

---

(١) محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٣٢٤-٣٢٥.

(٢) لا يوجد تعريف به في المصادر والمراجع المتاحة، ويستفاد من رواية ابن بطوطة أنه كان من بقايا الدولة السلجوقية في الأناضول بعد سيادة المغول الإيلخانيين على البلاد منذ عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م. انظر رحلة ابن بطوطة ج١ص٣١١.

(٣) مورتمان *J.H.Mordtmann* : إزمير (دائرة المعارف الإسلامية) ج٣ص١٧٩.

(٤) ابن بطوطة: الرحلة ج١ص٣١١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص١٨٨.

ملحق رقم (١)

خطاب الإمبراطور ألكسيوس كومنين
إلى السلطان السلجوقي قلج أرسلان الأول بشأن زاخاس

"إلى السلطان المعظم قلج أرسلان: إنك لتعرف أن السلطنة ملك خاص لك بحق الوراثة، ولا ينازعك فيها منازع، ولكن ها هو ذا ابن جلدتك تزاخاس على الرغم من تظاهره بالاستعداد لمحاربة إمبراطور الروم نفسه، فإن الواقع يؤكد أن تشدقه بمحاربتنا ليس إلا ذرًّا للرماد في العيون، وما هذا الكلام سوى ذريعة مفضوحة لا تجوز على أحد، لأنه – وهو الخبير المجرب – يعرف تمام المعرفة أن إمبراطورية الروم يستحيل أن تكون له، ولكن طويته الشريرة وخطته اللئيمة موجهة بأكملها ضدك أنت، فإن كنت حصيفا فلا تقبل منه ذلك، وليس الموقف بالذي يدعوك لليأس بل يحتم عليك اليقظة والحذر منه، وإلا سلبك سلطانك وانتزعه منك، أما آنا فإني سأبذل جهدي وعامل على إخراجه بعون الرب من الأراضي الرومية، كما أن حرصي على مصالحك يحملني على أن أبذل لك النصيحة بالحفاظ على سلطانك، وتأكيد قوتك ودعمها، وعليك أن تعجل بما يحمله على الخضوع بالوسائل السلمية، فإن جادلك فيما لا حق له فيه، فلا جواب عليه سوى السيف فهو خير معلم"[١].

(١) آنا كومنينا: ألكسياد ص٣٥١-٣٥٢؛ أحمد توني: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ص١٦٨-١٦٩.

ملحق رقم (٢)

أسيا الصغرى وجزر بحر إيجه

خريطة أسيا الصغرى

موضحا عليها مدينة أزمير وجزر بحر إيجه التي سيطر عليها زاخاس

نقلا عن حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام ص١٥٠

الخاتمة ونتائج البحث

تناول البحث بالدراسة شخصية الأمير السلجوقي زاخاس وعلاقته بسلطنة سلاجقة الروم في أسيا الصغرى ومحاولته إنشاء إمارة مستقلة له في مدينة أزمير على ساحل بحر إيجه، كما عرض البحث بالتفصيل لجهوده زاخاس في إنشاء البحرية والأسطول ونشاطه البحري وصراعه مع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين، ثم نهايته ومقتله عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وسقوط إمارته في أزمير على أيدي البيزنطيين.

ويمكن الإشارة في النقاط التالية إلى أهم ما توصل البحث إليه من نتائج:

١- اختلفت الروايات حول اسم زاخاس ورسمه ما بين "جاقا، جكا، جاغا، شكا، زركش، تزكس، تزخاس، زاخاس"، ورجح البحث صحة الاسم الأخير ورسمه كونه الأشهر لشخصية الأمير السلجوقي وفق رواية المؤرخة اليونانية الأميرة آنّا كومنينا أقدم مصدر كتب بالتفصيل عن زاخاس.

٢- ارتبط زاخاس بسلاجقة الروم عن طريق المصاهرة حيث زوج ابنته إلى السلطان السلجوقي قلج أرسلان الأول.

٣- قضى زاخاس قرابة عشر سنوات (٤٦٤-٤٧٤هـ/١٠٧٢-١٠٨١م) أسيرا في القسطنطينية تعلم خلالها اللغة اليونانية وطرق البيزنطيين الدبلوماسية والعسكرية في حل المشكلات، وأفاد كثيرا من أساليبهم الحربية وبخاصة السلاح البحري وأهميته وخطورته في الحرب.

٤- تمكن زاخاس من إنشاء إمارة مستقلة له عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م في مدينة أزمير على ساحل بحر إيجه شمالي غرب الأناضول.

٥- شكلت إمارة زاخاس في أزمير خطورة بالغة على الإمبراطورية البيزنطية في عهد ألكسيوس الأول كومنين (٤٧٤-٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م) الذي كان يعتبر زاخاس من أهم أعدائه وسعى حثيثا للتخلص منه، وبخاصة بعدما تلقب زاخاس بلقب "الإمبراطور" واتخذ لنفسه رتب الإمبراطورية وشاراتها في أزمير.

٦- يعتبر الأمير زاخاس أول من أسس سلاح البحرية عند الأتراك السلاجقة بشكل عام، وسلاجقة الروم بشكل خاص، وتعد محاولاته لبناء الأسطول في مدينة أزمير هي المرة الأولى التي يستخدم فيها السلاجقة هذا السلاح المهم في معاركهم وصراعهم مع القوات البيزنطية.

٧- أسس زاخاس دارا لصناعة السفن والمراكب في أزمير، وضمت قوته البحرية ٣٣ سفينة شراعية، ١٧ سفينة مجداف، ٤٠ قطعة سلاح بحري صغير، وتنوعت السفن والمراكب التي استخدمها فمنها: الدرامين، والعداءات، والقراقير، والبطس، والشواني، والمزاريب، والأجفان الغزوية.

٨- غزا زاخاس بعض الجزر البيزنطية الصغيرة في بحر إيجه وتمكن من السيطرة على جزر خيوس، ولسبوس، وساموس، ورودس، كما سيطر على بعض المدن البيزنطية على ساحل البحر وغدا "سيدا على هذه المنقطة" الشمالية الغربية من الأناضول خلال الفترة من (٤٧٤-٤٨٥هـ/١٠٨١-١٠٩٢م).

٩- حاول الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين القضاء على زاخاس وتقليص نفوذه واستعادة المدن والجزر البيزنطية التي أخذها، وأرسل لذلك عدة حملات متتابعة، غير أن زاخاس تمكن من إحراز النصر في كثير من مراحل هذا الصراع.

١٠- هددت القوة البحرية للأمير زاخاس العاصمة البيزنطية القسطنطينية في شتاء عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، وذلك بالتحالف مع قوة قبائل البجناك التي هاجمت المدينة برا بينما هاجمها زاخاس بحرا.

١١- نجح تحريض الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين للسلطان السلجوقي قلج أرسلان الأول ضد زاخاس، وأسفر عن مقتل زاخاس على يد زوج ابنته الذي استضاف حميه في العاصمة نيقية وقلته بيده في شهور عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م.

١٢- سقطت إمارة أزمير تماما في أيدي القوات البيزنطية في صيف عام في صيف عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م بعد استسلام أميرها ابن زاخاس.

ملخص البحث

جاء البحث تحت عنوان: **الأمير السلجوقي زاخاس ونشاطه البحري في أسيا الصغرى**، وذلك خلال الفترة الزمنية الممتدة بين عامي ٤٧٤-٤٨٥هـ/١٠٨١-١٠٩٢م، وقد عرض البحث لهذا الموضوع من خلال دراسة مفصلة عن شخصية الأمير زاخاس وبيان علاقته بالسلاجقة ومحاولته إنشاء إمارة مستقلة في مدينة أزمير على ساحل بحر إيجه شمالي غرب الأناضول مع التركيز على جهوده في إنشاء البحرية والأسطول ونشاطه البحري وصراعه مع البيزنطيين، ثم نهايته ومقتله عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وسقوط إمارته في أزمير على أيدي البيزنطيين.

Abstract

The current research is entitled, "The Seljuk Prince Zachas and his maritime activity in Minor Asia" in the period from 474-485 AH/ 1081-1092 AC. The research presents a detailed study of the character of the prince Zachas in addition to a statement of his relationship with Saljuks and his attempt to establish an independent emirate in the city of Azmir which is situated on the Aegean coast of the Aegean Sea, north-west of Anatolia, with particular emphasis on his efforts in the creation of marine, the fleet, his maritime activity, and his conflict with the Byzantines, and finally his death as being murdered in 485 AH/ 1092 AC and consequently the fall of his emirate in Izmir at the hands of the Byzantines

مصادر البحث ومراجعه

أولا: المصادر العربية

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل شاهنشاه بن أيوب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

١- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي بالقاهرة (دون تاريخ)

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) .

٢-الكامل في التاريخ، مراجعة ونشر محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، (ط٤) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ابن بطوطة: أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

٣-رحلة ابن بطوطة المعروفة باسم (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ج١، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، مراجعة مصطفى القصاص، دار إيحاء العلوم، بيروت، (ط١) ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

البنداري: الفتح بن علي بن محمد (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م)

٤-كتاب تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات بالقاهرة، ١٩٠٠م.

الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني (توفي بعد ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)

٥-أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بنشره محمد إقبال، لاهور ١٩٣٣م.

القرماني: أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)

٦- أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، نشر بغداد ١٨٦٦م.

ابن يونة: الرحالة الربي بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م)

٧-رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي، ترجمة وتعليق عزرا حداد، تصدير عباس العزاوي، تقديم رحاب خضر عكاوي، دار ابن زيدون، بيروت (ط١) ١٩٩٦م.

ثانيا: المراجع العربية

سليمان: أحمد عبد الكريم (دكتور)

٨-المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هجري/ التاسع والثاني عشر ميلادي، (ج١) دار النهضة العربية

بالقاهرة (ط١) ١٩٨٢م.

الشيخ: محمد مرسي (دكتور)

٩- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

طقوش: محمد سهيل (دكتور)

١٠- تاريخ سلاجقة الروم في أسيا الصغرى، دار النفائس، بيروت (ط١) ٢٠٠٢م.

عاشور: سعيد عبد الفتاح (دكتور)

١١- الحركة الصليبية، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، (ط٣) ١٩٧٥م.

العريني: السيد الباز (دكتور)

١٢- الدولة البيزنطية (٣٢٣-١٠٨١م)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٥م.

عطا: زبيدة محمد (دكتور)

١٣- بلاد الترك في العصور الوسطى (بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون)، دار الفكر العربي، القاهرة (دون تاريخ).

النخيلي: درويش (دكتور)

١٤- السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤م.

ثالثا: المراجع الأجنبية المترجمة

رنسيمان: ستيفن (دكتور)

١٥-تاريخ الحروب الصليبية، (ج١ الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس) ترجمة د. السيد الباز العريني، دار الثقافة بيروت (ط١) ١٩٦٧م.

كومنينا: آنـا (الأميرة اليونانية ابنة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين)

١٦- ألكسياد، ترجمة حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط١)، ٢٠٠٤م.

لسترنج: كى

١٧- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة

الرسالة، بيروت، (ط٢) ١٩٨٥م.

لويس: أرشيبالد. ر:

١٨- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة احمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ١٩٦٠م.

رابعا: الدوريات والمجلات العربية

محمد: عمر يحي (دكتور)

١٩- الفتح والتوسع السلجوقي في أسيا الصغرى، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز (مج١٤) ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

العمايرة ، الرويضي: محمد نايف ، ومحمود محمد: (دكتور)

٢٠- معركة ملازكرد (جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية)، مجلة المنارة، مج (١٣) العدد (١) لسنة ٢٠٠٦م

خامسا: الرسائل العلمية

عبد اللطيف: أحمد توني (دكتور)

٢١- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب، جامعة المنيا ١٩٨٦م.

المهدي: أميمة حسن:

٢٢- النظم العسكرية في كل من الدولة الغزنوية والدولة السلجوقية (دراسة حضارية مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الأسيوية، جامعة الزقازيق ٢٠٠٧م

سادسا: دوائر المعارف

المستشرقون : مجموعة مستشرقين

٢٣- دائرة المعارف الإسلامية، تعريب إبراهيم زكى خورشيد، د. عبد الحميد يونس، د. حسن عثمان، نشر دار الشعب بالقاهرة (دون تاريخ).

سابعا: المراجع الأوربية

Cambridge *24- The Cambridge History of Islam, vol ,1, Cambridge at the University press, 1970.*

Ostrogorsky, George *25- History of Byzantine state, translated from the German by Hussey with a fore by Peter Charanis , New Jersey, 1957.*

الموقع الإلكتروني:

26- https://ar.wikipedia.org

الأوقاف ودورها في الرعاية الاجتماعية في الحجاز

عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

وليد كمال شعبان إسماعيل

باحث دكتوراه

يونيو ٢٠١٥

مقدمة:

لا يمكن إنكار الدوافع الاجتماعية التي جعلت المماليك يولون الحرمين اهتمامهم، فقد كانوا حريصين على تدعيم روابط التكافل الاجتماعي، والأوقاف باعتبارها صـدقة جارية، قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وفي مجتمع المدينتين المقدستين بصفة خاصة .

ويرى البحث في الوقف[1] لونا من ألوان التكافل الاجتماعي لم يسبق إليه نظام، بل ولم يدانه نظام كذلك؛ وذلك أن هذه الشريعة السمحة، قـد جاءت لتحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم، لأنها بنيت على أصل عظيم وهو: جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن شأن هذه الشريعة كذلك تحصيل المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد وتعطيلها؛ لأن مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد .

ومما لا شك فيه أن الوقف الإسلامي كان له دوره الكبير في خدمة الدعوة الإسلامية، ورعاية العـلم وطلابه، وصيانة المؤسسات الدينية والإنسانية، ومواساة الأرامل والأيتام والفقراء، فقد أضفت الأوقاف والصدقات على المجتمع روح الإسلام وهديه، ونشرت فيه مظلة التكافل الاجتماعي، حيث أسهمت في تأليف القلوب، وتوحيد الصفوف بخطى ثابتة وموفقة على طريق الخير والرقي .

ولقد أحاط سلاطين المماليك وأمرائهم أهالي الحرمين عظيم عنايتهم، فكثرت أوقافهم عليهم، وعلى مجاوريهم وفقرائهم، حتى إن هذه الأوقاف وسعت المساكين والأيتام والمحتاجين والمعدمين ووفرت لهم جميعا المأوى والطعام .

والملفت للنظر أن سلاطين المماليك أنفقوا الأوقاف على أهالي الحرمين، ولم يحاولوا استئصال أمراء الأشراف، بل إن تدخلهم في شئون مكة والمدينة كان عامل رحمة لأهل الحجاز؛ بعيدا عن جور الأمراء وجشعهم، وذلك بالتخفيف عنهم وسد جوعهم وحاجتهم.

ولقد بلغ مقدار الأوقاف في أيام سلاطين المماليك مبلغا كبيرا، فما من سلطان أو أمير مملوكي إلا وله وقف في جهة من جهات البر، ويعود ذلك في المقام الأول؛ لعمل الخير واكتساب الأجر من الله هذا إلى جانب تحصين أموالهم وممتلكاتهم من المصادرات مما ضمن لهم موردا اقتصاديا من ريع هذه الأوقاف والذي ظل ثابتا لهم في حياتهم وأولادهم من بعدهم[٢]. وبدراسة أنواع الوقف في العصر المملوكي يمكن القول: إن نظام الوقف كان نظاما راسخا داخل المجتمع، وأن آثاره انعكست على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، لذلك كان العصر المملوكي هو العصر الذهبي لنظام الوقف[٣]، ولقد شهدت هذه الحقبة أنواع ثلاثة من الوقف:

<u>الأول: الأوقاف الخيرية:</u>

وتختص بالوقف على جهات البر التي لا تنقطع كالوقف على العلماء، وطلاب العلم، والفقراء، واليتامى، وغيرهم، وبناء المساجد، والأربطة، والمشافي، والمدارس، ويشمل الرباع الموقوفة على الحرمين الشريفين، كما يشمل الأسرى[٤]، ويشرف عليها قاضي قضاة الشافعية ويعرف باسم (ناظر الوقف) وله نائبان: يشرف أحدهما على أوقاف القاهرة، والثاني على أوقاف مصر، ويعين كل منهما نائبا عنه؛ يكون مباشرا لأوقاف الحرمين في مكة والمدينة[٥].

الثاني: الأوقاف الأهلية:

وهذا النوع من الأوقاف خاص بالأسرة؛ لكونه مصدرا للرزق والعيش حتى ينتهي نسل الأسرة تماما وينقطع، وعندئذ يتحول إلى وقف خيري؛ للصرف على جهات البر الأخرى[٦]، ويقوم على أساس حبس العين والتصدق بريعها وثمارها في وجوه الخير في الحال أو المآل، فإنه يذهب أولا إلى ذريته أو غيرهم – طبقا للشروط التي يحددها الواقف – ثم جعل الوقف بعد ذلك على جهة البر أو الخير[٧]، فلو جعل أرضه المعينة وقفا على أولاده، ثم من بعدهم على مسجد كذا أو جمعية حفظ القرآن – مثلا – كان وقفا أهليا .

الثالث: الوقف المشترك:

كما يكون الوقف كله خيريا فقط أو أهليا فقط، كذلك يكون منوعا: بعضه خيري، وبعضه أهلي، وهو ما يسمى بالوقف المشترك.

فالوقف المشترك هو الذي يجمع بين الوقفين وهو الذي تم ابتداءا على الذرية وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد بمعنى أن الواقف قد جمعهما في وقفه، فجعل لذريته نصيبا من العين الموقوفة، وللبر نصيبا محدودا أو مطلقا في الباقي أو العكس[٨].

والأوقاف في العصر المملوكي يشرف عليها ديوان يسمى ديوان الأحباس[٩]ويتولاه شخص يسمى الدوادار[١٠]، وكذلك ناظر الأحباس[١١]، إلى جانب عدد من المباشرين والكتبة، ويتولى صاحب ديوان الأحباس توزيع الصدقات من ريع الأرض الموقوفة على المؤسسات الدينية، ويختص أيضا بالإشراف عليها إلي جانب

الإحسان إلى المحتاجين، ونؤكد ذلك بنص المقريزي " أنه حين فوض الناصر محمد وظيفة نيابة السلطنة إلى الأمير بيبرس كان من ضمن اختصاصاته الإشراف على ديوان الأحباس(١٢).

وتسمى الأوقاف الخاصة بالبر على الحرمين الأوقاف الحكمية، ولا يدخل منها أي وقف أهلي، فهي أوقاف خيرية خالصة؛ لأهل البيت الحرام، ولطلبة العلم والفقراء والمحتاجين والمجاورين، وكانت تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي، الذي يقوم بتعيين نائبين يشرف أحدهما على أوقاف القاهرة، ويشرف الثاني على أوقاف مصر، ويتبع كل منهما عدد من الجباة والكتاب(١٣)، كما كان يقوم كل من ناظري الأوقاف بتعيين مشرفين للأوقاف الحكمية في الأقاليم التابعة لكل منهما أي نواب صغار، كما كان يحدث في كل بلد إسلامي بتعيين مباشر لأوقاف الحرمين(١٤).

ومن الجدير بالذكر أنه مع تعاقب الفترات التاريخية المختلفة للحكم الإسلامي عمل هؤلاء الواقفين على كتابة نصوص واضحة تتضمن العمل الموقوف في مواد مفصلة؛ رغبة منهم في تثبيت الوقف وإعطائه صبغة شرعية، وإدراج وثيقته مع سجلات ديوان الأحباس؛ فيحققون له بذلك إشراف الدولة من ناحية، واستمرار عـمل الوقف في تحقـيق المنافع الخيرية من جهة أخرى(١٥).

أولًا: الأوقاف ودورها في مساعدة الفقراء والمحتاجين ونشر الرخاء بمكة:

لم تكن الأوقاف الموقوفة على أهل الحرمين الشريفين قاصرة فقط على سلاطين وأمراء المماليك وأعيان دولتهم، وإنما كان يتبارى في تقديمها كل من هو قادر على أداء ذلك من ملوك وأمراء وأثرياء المسلمين؛ طلبا للأجر وتخفيفا على فقراء

المجتمع شظف العيش، ولا سيما في أوقات الأزمات والجفاف، والأوقات التي تعز فيها الأقوات ويعم فيها الغلاء .

ومن ذلك أنه في سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م أرسل أمير مكة الشريف أبو نمي وفدًا إلى القاهرة، مصحوبا بعدد من أشراف وزعماء الحجاز يرافقهم ابنه؛ لمقابلة السلطان المنصور قلاوون(٦٦٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) فأكرمهم الأخير وأغدق عليهم العطايا، بل وأجرى ما كان موقوفا من أوقافهم وأرسل الكثير من الصدقات والأموال؛ لتفريقها على أهـــل الحرمين، وكذا العلماء وأصحاب الزوايا[١٦].

وتبين حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكنداروالمؤرخة سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م أن من أوجه صرفها تخصيص ما تبقى من ريع الربع من الأراضي الزراعية الموقوفة بمصر على الفقراء والأرامل والمحتاجين والمنقطعين والمقيمين بمكة[١٧]، ليعم بها الرخاء مكة وفقراءها.

وتأتي حجة الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري[١٨](نائب السلطنة بمصر) والمؤرخة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م بالخير والرخاء؛ لما حملته من أوقاف كثيرة بمكة والمدينة[١٩].

وتوضح حجة وقف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون(٧٤٨-٧٥١هـ/١٣٤٧-١٣٥٠م) والمؤرخة في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م وقفا على الفقراء بمكة، حيث حددت ضمن شروط الواقف ريع نصف الثلث من وقفه وهو أرض بحماه على الفقراء والمساكين المجاورين بالمسجد الحرام من الذكور والإناث، حسب ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٢٠].

ولقد عمل الأشرف شعبان(٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٢-١٣٧٦م) سياسة التخفيف عن سكان الحجاز خلال فترة حكمه، حيث اتفق مع أمير مكة (عجلان)، على إرسال مائة وستين ألف إردب كل سنة، وكذلك ألف إردب من القطن صحبة الركب السلطاني؛ توزع على فقراء مكة والمنقطعين والأرامل بها، كما خصص مبلغ ثلاثة آلاف درهم؛ لشراء أكفان للموتى بالحرم، كما حدد خمسة آلاف درهم كذلك سنويا تفرق على فقراء مكة[٢١].

ولقد حرص الواقف أحمد بن محمد النحاس[٢٢] على تحديد ألف درهم نقرة تصرف في ثمن شراء قماش خام؛ يفرق على الفقراء والأيتام والأرامل والمنقطعين بالحرمين الشريفين[٢٣].

وذكرت حجة وقف السيفي بهادر المنجكي[٢٤] والمؤرخة سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م أنه أوقف أرضا ودورا بالقاهرة على ذريته من بعده، ثم يصرف ريع الوقف كله بعدهم على فقراء الحرمين الشريفين[٢٥].

وفي سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م أوقف السلطان الناصر فرج بن برقوق(٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١١م) أراضٍ بمصر ودمشق جعل من ريع وقفها الصرف على الفقراء والأيتام والأرامل والمجاورين المقيمين بالحرمين من المسلمين، وكذلك في إطعام الجائعين وكسوة العرايا ويفرق ذلك فضة أو نقودا[٢٦].

ومن الجدير بالذكر أن السلطان الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م) أوصى في حجة وقفه المؤرخة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م بشراء قمصان خام

تحمل كل سنة إلى الفقراء والمجاورين بالحرم المكي والمدني، وتقسم بينهم وفق ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده، وذلك من ريع أراضي بالجيزة من مصر[٢٧].

فضلا عن ذلك فقد أوقف الزيني خشقدم زمام[٢٨] الأدر الشريفة[٢٩] والمؤرخة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م لتذكر أنه وقف وقفا عبارة عن: رباط، ومجموعة مخازن، يصرف من ريعها على فقراء ومساكين وأرامل وغرباء مكة المكرمة[٣٠].

وقد ذكرت حجة وقف الجمالي أبو المحاسن يوسفوالمؤرخة سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م أن من ضمن أوجه صرف وقفها صرف ثمن مائتي قميص خام ترسل كل سنة، وتوزع على الفقراء المقيمين بمكة، أو ما يعادل قيمتها حسب ما يراه الناظر[٣١]، وخصصت حجة وقف يشبك من عبد الله الدوادار المؤرخة سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م الصرف على شراء خمسين قميصا مخيطا من الكتان كل سنة ترسل بصحبة المحمل إلى مكة والمدينة، وتوزع على الفقراء والمساكين، كما خصصت في مكان آخر صرف أربعة آلاف درهم أو ما يقوم مقامهما من النقود يتصدق بها على فقراء ومساكين المدينتين المقدستين بالسوية حسب ما يراه الناظر[٣٢].

وأطلعتنا حجة وقف السيفي دولات باي المؤيدي والمؤرخة سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م بوقف على الفقراء، حيث ذكر الواقف أنه إذا تعذر الصرف في جميع الجهات المذكورة بالحجة صُرف كامل الريع المذكور بالحجة للفقراء والمساكين القاطنين بالحرمين، حيث يقوم الناظر بشراء كسوة لهم أو غير ذلك حسب ما يراه ويؤدي إليه اجتهاده[٣٣].

ونصت حجة وقف تمرباي بن عبد الله المحمدي[٣٤] والمؤرخة سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م بأن يصرف من ريع الوقف ثمانية آلاف وخمسمائة درهم أو ما يقوم مقامهما من النقود كل عام في شراء ثمن قمصان خام، إلى جانب طُرح مخيطة، ويصرف منه تكلفة من يحملها إلى الحرمين، وكذا من يتولى تفريقها بالسوية فيما بين الفقراء والمجاورين بالحرمين، وذكرت الحجة في مكان آخر أن المبلغ سبعة آلاف وخمسمائة درهم[٣٥].

وفي نفس السنة أوقف السيفي طوغان بن عبدالله السيفي ادوم بغا قطعة أرض ناحية القليوبية محدودة بحدود أربعة، وبها قاعات وأروقة وخزائن ودهاليز ومطابخ وحمامات يؤول ريع السبع منها شهريا على فقراء الحرمين الشريفين[٣٦].

وتأتي حجة وقف محمد بن الشهاب أحمد العجمي، والمؤرخة سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، لتبين أنه أوقف مكانا بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب زويلة بحارة القشاشين محدود بحدود أربعة وبه قاعات وأروقة وخزائن ومطابخ يؤول ريعها بعد انقراض الذرية يؤول ريعه لفقراء الحرمين الشريفين[٣٧].

وتمد البحث حجة وقف الأمير صارم الدين إبراهيم[٣٨] والمؤرخة سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م بمعلومات وافية حول وقف على فقراء الحرمين حيث ذكر: " وجعلت من ريع ذلك وقفا على فقراء الحرمين، حرم مكة والمدينة بالسوية في العطاء، فإن تعذر الصرف لفقراء أحدهما صرف لفقراء الآخر، فإن تعذر الصرف لهما معا صُرف لفقراء المساكين والأرامل والمحتاجين من المسلمين أينما كانوا حسب ما يراه الناظر[٣٩] .

وتطلع البحث حجة وقف السيفي جاني بك بن عبد الله الظاهري[٤٠]والمؤرخة سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م بمعلومات وقفية، حيث اشترط الواقف أنه بعد وفاته هو وزوجته وانقراض ذريته يؤول نصيبهما في العين الموقوفة إلى فقراء الحرمين، فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للأخر، والنصف الثاني من ريع العين الموقوفة يصرف ثمن خبز وماء يسبل في ليلة الجمعة من كل أسبوع على الفقراء والمساكين حسب ما يراه الناظر[٤١].

وتشير حجة وقف السيفي قجماس الإسحاقي[٤٢] المؤرخة سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م بأنه خصص عشرة آلاف درهم ترسل في صحبة من يوثق به صحبة الركب الشامي الموسمي؛ للصرف على فقراء الحرمين، فإن تعذر الصرف لفقراء أحدهما يصرف للآخر حسب ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٤٣]، وتطلعنا كذلك حجة وقف القاضي محمد الخزرجي الإخميمي[٤٤] والمؤرخة في سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م بتحديد مبلغ ثلاثمائة درهم كل عام من ريع الوقف الموقوف، تصرف كل سنة على فقراء الحرمين والمجاورين[٤٥].

ولقد ذكرت حجة وقف شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الأكيادي[٤٦] والمؤرخة سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م أنه أوقف أربع وعشرين قيراطا بمنطقة العدوة بالفيوم، وأنه جعل ريع حصة قدرها أربعة قراريط للصرف على فقراء الحرمين ومصالحه[٤٧].

وتذكر حجة وقف الأمير طومان باي الأشرف(٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م) أخر سلاطين المماليك) والمؤرخة سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م أن من ريع الوقف الموقوف الصرف على الفقراء والمحتاجين من أهالي المدينتين المقدستين[٤٨].

ثانيا: الأوقاف ودورها في رعاية الفقراء والأيتام والمجاورينبالمدينة المنورة:

ذكر البحث في كثير من الأوقاف الموقوفة بمكة المكرمة، أنها كانت تخص كذلك المدينة المنورة، حيث وقفت العديد من حجج الوقف ريعها على الحرمين الشريفين، نتيجة حرص كثير من المسلمين حكام وأمراء وأفراد، على تقديم الأموال لتوزيعها بالحرمين، فكانت ترد إلى المدينة المنورة خاصة في وقت الموسم حصيلة الأوقاف التي أوقفها المسلمون على أهل الحرمين بوجه عام وأهل المدينة بوجه خاص فتوزع على الفقراء والمجاورين.

لكن وجدت بعض الأوقاف الخاصة بالمدينة المنورة، ومنها: ما ذكرتها حجة وقف بكتمر الجوكندار المؤرخة في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م بأن يصرف من ريع الربع الثاني من الوقف الموقوف بالصرف على الفقراء والأرامل والمجاورين والمنقطعين والعاجزين بمدينة طيبة، وذلك حسب ما يراه الناظر[٤٩].

وتوضح حجة وقف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون والمؤرخة في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م وقفا على الفقراء والمساكين بالمدينة، حيث حددت ضمن شروط الواقف ريع نصف الثلث من وقفه وهو أرض بحماه على الفقراء والمساكين بالمدينة الشريفة الذكور والإناث السنيين غير الزيديين والروافض، حسب ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٥٠] .

كما ذكرت حجة وقف الأمير مثقال[٥١]، مقدم المماليك[٥٢] والمؤرخة في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م أن من أوجه صرفها، الصرف من ريع الوقف الموقوف على خدام

الحرم النبوي، فإن تعذر الصرف للخدام فللفقراء بالمدينة، فإن تعذر فللمسلمين أينما وجدوا[٥٣] .

وفي سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م وخلال سلطنة الظاهر برقوق الثانية أوقف ناحية بهتيت(من ضواحي القليوبية بمصر) على سحابة[٥٤] تسير مع قافلة الحج في كل سنة، ومعها جمال تحمل المشاة مع الحاج، وتصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابا وإيابا[٥٥]، كما أوقف على الحرمين الشريفين في كل سنة ثلاثة آلاف إردب قمح تفرق فيهما سنويا[٥٦].

ومن الجدير بالذكر أن السلطان مراد الثاني العثماني أوقف محاصيل القرى الواقعة في منطقة باليق حصار من أعمال أنقرة لفقراء الحرمين الشريفين، وأوصى عند وفاته بتخصيص مبلغ ٧٠٠ فلورين مناصفة بين فقراء مكة والمدينة المنورة[٥٧].

ولقد ذكرت حجة وقف جوهر اللالا[٥٨] والمؤرخة سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م أنه تم تخصيص ريع حصة ما يقدر بثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهما من ريع الحصة التي مبلغها الربع أي ثلاثة أسهم من اثنا عشر سهما من متحصل الأراضي الزراعية الموقوفة بجزيرة بني نصر من أعمال القليوبية حيث خصص ثمنها في حمل زيت من زيت الزيتون زنته خمسة قناطير بالقنطار المصري في كل سنة يرسل إلى المدينة تكون وقود للحرم النبوي، فإن تعذر الصرف يفرق على الفقراء والمجاورين بالمدينة[٥٩]، وذكرت حجة وقف الجمالي أبو المحاسن التي ذكرها البحث قبل ذلك أن من أوجه صرف ريعها ثمن مائتي قميص خام ترسل كل سنة، وتوزع على الفقراء المقيمين بمدينة طيبة[٦٠].

كما أفادت حجة وقف السيفي بن عبد الله الجكمي والمؤرخة سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٧م أن من أوجه صرفها تحديد نصف ريع الوقف على شراء قمصان خام مخيطة وتكليف من يحملها في صحبة محمل الحج كل عام، وتفريقها على الفقراء والمستحقين بالحرم النبوي وذلك حسب ما يراه الناظر[٦١] .

وبينت حجة وقف عمر بن الغرس خليل الحسامي المنصوري والمؤرخة سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م أن صاحبها أوقف أربعة أماكن بالقاهرة المحروسة بحارة باب الفتوح بها قاعات وخزائن ومطابخ وحمامات محدودة بأربعة حدود على ذريته ثم على مصالح الحرم النبوي، ثم أوقفها على الفقراء القاطنين الحرم النبوي الشريف[٦٢].

كما أعطت البحث حجة وقف الأمير يشبك من مهدي الدوادار[٦٣]والمؤرخة سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م معلومات حول تخصيص ريع وقف موقوف بمصر للصرف على الفقراء والمساكين بالمدينة، حيث يُطْبَخُ كل يوم لحم وخضار وخبز يفرق على فقراء المدينة، فإن تعذر عمل السماط، فيضاف ذلك لعمل دشيشة السلطان الظاهر جقمق، فإن تعذر الصرف فيتم الصرف على الجامع الأزهر الشريف[٦٤].

وعندما حج الأشرف قايتباي سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م ورأى في أهل المدينة الفقر والحاجة؛ أرسل بعد عودته لمصر إلى المدينة ستين ألف دينار يشترى بها أماكن بها تكون وقفا يحمل ريعها؛ لخدمة الحجرة الشريفة، كما يعمل منها سماط كبير؛ ينتفع به الفقراء والمحتاجين، وقيل إن هذه الأماكن الموقوفة كان يتحصل منها سبعة آلاف وخمسمائة إردب كل سنة، تفرق كلها على أهل المدينة[٦٥].

كما ذكرت حجة وقف السلطان قايتباي(٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) أيضا المؤرخة سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م أنه بعد انقضاء الذرية الموقوف عليهم، يتم صرف ريع الوقف الموقوف بمصر على عمل دشيشة[٦٦] وكذا توزيع أموال على أهل المدينة[٦٧].

ومن الجدير بالذكر أن الأوقاف التي أوقفها سلاطين المماليك وأمراءهم ظلت لها حرمتها ومرافقها حتى عصر متأخر بعد السلطان الغوري، فظل ريعها يصل لأهل المدينة فيفرق بين المستحقين لها من الفقراء والمجاورين شهريا، بطرق مختلفة سواء أكانت مالية أم عينية[٦٨].

ويشير البحث إلى أن هذه الأوقاف تعرضت للانهيار، ولعل من أسباب انهيارها بعض من القائمين على شئونها كالقضاة والنظار الذين خرجوا على نظامها، حيث أهمل بعضهم في الاهتمام بها، كما استولى بعضهم على ريعها، مما ساعد على ظهور بعض السلوكيات السيئة كالتحاسد والتناحر للحصول على عائد هذه الأوقاف، كما عمل بعضهم على إرضاء السلطة للفوز بالأوقاف وعوائدها، مما كان له دوره في إبراز بعض الانحرافات في سلوك بعض فئات المجتمع؛ لانعدام دور الوقف[٦٩]، ويستنتج البحث من ذكر ذلك أن الإهمال في نظر الوقف تحت ذكر الواقف حسب مايؤدي إليه اجتهاد الناظر في أغلب حجج الوقف التي أطلع عليها البحث، ما جعل بعض الواقفين يشترط على الناظر أن لا يستبدل شيئا من الوقف حتى ولو بلغ الخراب، وإن فعل الناظر ذلك يكون معزولا هو أو غيره كما ذكرت بعض حجج الوقف.

ثالثا: أوقاف المرأة ودورها في رعاية الفقراء والأيتام والأرامل:

اهتمت المرأة في العصر المملوكي عامة وفي بلاد الحجاز خاصة بالرعاية الاجتماعية، وظهر ذلك جليا بين سطور المصادر وحجج الوقف، حيث أوقفت وتصدقت بصدقات كبيرة ساهمت في إطعام الجائعين، ورعاية الأيتام والفقراء والمعدمين، وخففت عنهم شظف العيش وقسوة الحياة، بل تعدت ذلك كله في إقامة منشآت اجتماعية لهم من: أربطة، ومدارس، وأسبلة، ومطاهر، كما عمرت بعض المنشآت التي أوقفت من قبل السلاطين والأمراء والموسرين، وساهمت بنصيب كبير في الرعاية الاجتماعية، وكانت جزءا أصيلا في رعاية المجتمع والاهتمام بشئونه.

ورغم القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد السائدة على المرأة في عصر سلاطين المماليك عامة وفي بلاد الحجاز خاصة إلا أنها ساهمت بنصيب ليس بالقليل في الحياة العامة، ولمعظمهنّ نصيب كبير في الحياة الاجتماعية(٧٠).

ويؤكد البحث أن رقي أية مجتمع يقاس دائما بمدى تقدير ذلك المجتمع للمرأة ومنحـها حقوقها؛ بوصفها شريكة الرجل إلى جانب كونها الخلية الأولى لبناء المجتمع، وهو ما تمتعت به المرأة في ذلك العصر، سواءًا أكان ذلك داخل الطبقة الحاكمة، أو عند سائر طبقات الشعب؛ فالمماليك نظروا إلى نسـائهم نظرة إجلال؛ لذلك منحوهم الألقاب العديـدة مثل: بركة الدولة، وبركة الملوك، وجلال النساء، والجهة الشريفة، وذات الحجاب المنيع، وخاتون، وخوند، والدرة، والستر الرفيع، والعفيفة، وقرة عين الملوك، وغصن الإسلام، وغيرها(٧١)، كما اهتموا بنسائهم ووفروا لهم الأموال الكثيرة والإقطاعيات الكبيرة، وهو ما جعل المرأة المملوكية تتصدق

بالصدقات الكبيرة وتوقف المنشآت الاجتماعية في مصر والشام والحجاز؛ طمعا فيما عند الله عز وجل من الثواب الجزيل.

ولم تتوقف الأوقاف والصدقات وإقامة المنشآت وعمارتها عند المرأة المملوكية وحسب، بل تعدته إلى زوجات ملوك الدول الإسلامية وبناتهم، وكذلك النساء الحجازيات أنفسهنّ ممن تمتعنّ بالثراء والجاه وهذا ما سيتعرض البحث له في صفحاته القادمة.

ولقد أوقفت المرأة الأوقاف؛ لعلها تخفف عن المحتاجين والفقراء قسوة الحياة؛ راجية من الله الثواب والعطاء الجزيل ومن ذلك: ما قامت به المصونة أردكين ابنة السيفي زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، من وقف أكثر من ثلاثين مكان بمصر مابين دور وفنادق وحمامات وأراض زراعية وغيرها بمصر بحجة وقفها المؤرخة سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م يؤول ريعها إلى الفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين بعد انقراض الذرية، يفرقه الناظر حسب ما يؤدي إليه اجتهاده من مساواة وتفضيل وزيادة أو نقصان إن شاء نقدا أو كسوة أو غير ذلك، فإن تعذر الصرف على المذكورين بوجه من الوجوه صرف الناظر ريع ذلك إلى الفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا[٧٢].

وتأتي حجة وقف خوند[٧٣] بركة أم السلطان الأشرف شعبان والمؤرخة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م لتذكر وقف جزء من الأعيان الموقوفة بدرب الأسواني بالقاهرة، وكذلك أجرة عقارين بالقاهرة، إلى جانب ريع قرية زراعية بحلب، يؤول هذا الجزء سنويا صحبة محمل الحج للنساء الفقيرات بالحرمين الشريفين[٧٤].

ومن أوقاف المرأة أيضا ما قامت به خوند شيرينزوجة السلطان الظاهر برقوق، من تخصيص ثلث ريع وقفها الموقوف بمصر والشام من أراض زراعية وعقارات في مصالح الحرمين الشريفين، من عمارة للكعبة والحجرة الشريفة، وكذا عمارة المسجد النبوي الشريف، كما أوصت في جانب آخر من الوثيقة المؤرخة سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م بالصرف على فقراء الحرمين وعلى المقيمين بها والواردين إليهما، وللخدام كذلك بينهم بالسوية، ولكل حرم وفقرائه سهمان كاملان وثلثا سهم من ذلك وللخدام سهمان كاملان، وللناظر النظر في ذلك ومراعاته(٧٥).

وتطلع البحث حجة وقف المصونة ابنة اسندمر الشامية(٧٦) والمؤرخة سنة٨٣٨هـ/١٤٣٤م على حصة قدرها النصف في ريع مكان مستأجر بباب الجامع الطولوني بالقاهرة، يؤول ريعها بعد انقضاء الذرية في الصرف على مصالح وفقراء الحرمين الشريفين(٧٧).

وتفيد حجة وقف الست(٧٨) بيرم(٧٩) ابنة السيفي قرقماش بن عبدالله والمؤرخة سنة ٨٦٤هـ/١٣٦٢م ما مفاده وقف الثلث من ريع دار وقاعة كبيرة وبناء طابقين بمنطقة دار الفتوح بالقاهرة، على أهالي الحرمين الشريفين بالسوية حسب ما يؤدي إليه اجتهاد الناظر(٨٠).

ولقد قامت عائشة ابنة برجك بن عبد الله الأقبغاوي(٨١)، من تخصيص مبلغ أربعمائة درهم سنوية بحجتها الموقوفة سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م؛ تصرف بعض انقضاء الذريةعلى الفقراء والمساكين المجاورين وغيرهم من المحتاجين بالحرم المدني وذلك حسب مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده، وكان الوقف أراض زراعية بمنطقة

الدقهلية، وحصة قدرها قيراط ونصف بالقليوبية، ونفس الحصة بالغربية، يؤول ريعها سنويا لفقراء الحرم المدني[٨٢].

وتأتي حجة وقف المصونة خديجة[٨٣] بنة أحمد بن أرغون شاه والمؤرخة سنة٨٦٦هـ/١٤٦١م لتبين وقف ريع ثلاث أراضي زراعية بمنطقة المطرية بالقاهرة بعد انقراض الذرية على مصالح وفقراء الحرمين الشريفين[٨٤]. وأوقفت المصونة بركة[٨٥] المدعوة آمنة ابنة شرف الدين ريع طاحونة وحصة في بناء من عدة طوابق، وحصة في شونة بالقاهرة على مصالح الحرمين الشريفين سنويا، وذلك من خلال حجة وقفها المؤرخة سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م[٨٦].

ونصت حجة وقف زينب بنت العلاء[٨٧] والمؤرخة سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م على أن يصرف من ريع الوقف الذي وقفته وهو أراض زراعية بمصر عشرة آلاف درهم في كل سنة صحبة الركب الشريف ثمن قمصان خام تفرق على الفقراء والمساكين القاطنين والواردين إلى حرم مكة المكرمة والمدينة المنورة من أي الجنسيات كانوا على أن يقسم المبلغ بينهم بالسوية[٨٨] .

كذلك أوصت الواقفة فاطمة زوجة الزيني شعبان[٨٩] في حجة وقفها المؤرخة سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م بصرف خمسة دنانير ونصف؛ لشراء قماش من الكتان وتفصيله قمصانا توزع على فقراء الحرمين الشريفين، وأن يتم صرفها دفعتين كل عام، الأولى في بداية المحرم، والثانية في رمضان من كل عام، كما قررت في القسم الأهلي من الوقف، أنه بعد انقراض الموقوف عليهم يكون مقدار الثلث من ريع الوقف المذكور وهو عبارة عن دار بمنطقة بولاق وثلاثون فدانا بالجيزة،

مصروفا على الفقراء والمساكين بالحرمين بالسوية على مايراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[٩٠].

وذكرت حجة وقف فاطمة بنت العيلمي[٩١]سليمان أمير آخور الاسطبلات[٩٢]،والمؤرخة سنة٨٧٣هـ/١٤٦٨م، أن يكون من أوجه صرف وقفها الذي وقفته في حجتها صرف شراء قمصان تحمل إلى بلاد الحرمين الشريفين سنويا صحبة محمل الحج، وتوزع على فقراء المدينتين المقدستين، وكذلك جزء من ريع الوقف الموقوف وهو حصة في ثلاثة أبنية مؤجرة بسويقة السباعين بالقاهرة سنويا على مصالح الحرم النبوي الشريف على مايراه الناظر في ذلك ويؤدي إليه اجتهاده[٩٣]، كما أوصت الواقفة فاطمة ابنة شهاب الدين أحمد والمؤرخة سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م بجزء من ريع وقفها والمقدر بحصة من بستان كبير بدمياط بمصر يصرف جزء من ريعه سنويا على فقراء ومصالح الحرم الشريف النبوي، حسب مايؤدي إليه اجتهاد الناظر[٩٤].

وتفيد البحث حجة وقف المصونة فاطمة والمدعوة ستيتة بنت تاج الدين أبو الإخلاص، والمؤرخة سنة٨٩٧هـ/١٤٩١م ما مؤداه ريع حصة في بناء ببولاق، وكذلك حصة في بناء بالقاهرة ثلاثة طوابق، يأول ريعها بعد انقضاء الذرية إلى فقراء الحرمين الشريفين[٩٥].

ومن الجدير بالذكر أن ابن فهد ذكر أن " بلقيس بنت نائب الشام (حاتم بن عبد الله) والتي توفيت سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، أنها أوقفت دورا لها وجهازها على سبعة أيتام بمكة[٩٦].

وتأتي حجة وقف المصونة جان سوار والمؤرخة سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م لتذكر لنا وقف ريع عقار بالقاهرة تصرف أجرته كاملة سنويا على فقراء المجاورين بالحرم النبوي الشريف[٩٧]. وأطلعت البحث حجة وقف ورد قان ابنة عبد الله عتيقة السيفي يشبك الدوادار والمؤرخة سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، بصرف جزء من ريع الأعيان الموقوفة وهي عبارة عن أراض زراعية بمنطقة الدقهلية بمصر بعد انقضاء الذرية على مصالح وفقراء الحرمين الشريفين[٩٨].

وحرصت الواقفة المصونة جان سوار ابنة عبدالله[٩٩]، في حجة وقفها على أن يكون من أوجه صرفها صرف ألف وخمسمائة درهم أو ما يقوم مقامهما من النقود على الفقراء والمساكين والمجاورين بالحرم النبوي، وعلى ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده[١٠٠].

كما أوصت زينب بنت شعبان مربية القاضي صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة قبل وفاتها عام ٩٢١هـ/١٥١٥م بعتق جارية، وأوصت لأقاربها الفقراء ببعض الأموال وقفا عليهم[١٠١]، كما أوصت فاطمة بنت الشريف ثقبة بن رميثة بن أبي نمي لإمائها وجواريها وفقراء مكة ومجاوريها بوقف ريع أراض تمتلكها بمكة عليهم[١٠٢].

مما سبق يتضح لنا الدور الذي قامت به الأوقاف في الرعاية الاجتماعية في الحجاز، حيث لعبت الأوقاف دورا كبيرا في رعاية الفقراء والمحتاجين والمجاورين والأيتام، ووفرت لهم الغذاء والكساء، وأن هذه الأوقاف تبارى في تقديمها سلاطين المماليك وأمرائهم ونسائهم، وكذلك ملوك وأثرياء الدول الإسلامية المعاصرة لهم، فضلا عن أشراف الحجاز وتجارها ونساءها؛ طلبا للمثوبة من الله(سبحانه وتعالى).

الهوامش:

(١) الوقف لغة: مصدر يطلق على اسم المفعول، فيقال هذا بيت وقف أي موقوف ويجمع على أوقاف وهو الشائع في الاستعمال، والوقف في اللغة معناه الحبس والمنع، ووقف الأرض على المساكين: حبسها، وتقول: وقفت الشيء أقفه وقفا،والحبسُ بالضم: ما وُقّف، والوقف يعني الحبس عن التصرف مطلقا، فيقال: وقفت الدابة بمعنى حبستها، فهو مصدر وقفت أقف، وحبس الشيء: وقفه، فلا يباع ولا يورث وإنما تملك غلته ومنفعته، والواقف: الحابس لعينه، إما على ملكه، وإما على ملك الله تعالى، والوقف: حبس العين على ملك الواقف أو على ملك الله تعالى، ويطلق الوقف ويراد به الموقوف، فقد اشتهر إطلاق المصدر على الشيء الموقوف نفسه من قبيل إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، ولذا جاز جمع الوقف على أوقاف ووقوف، ويعــبر عنه بالحبس تارة، وبالتسبيل تارة أخرى. ابن منظور(جمال الدين محمد، ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي ومحمد أحمد، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، (د.ت) مادة وقف، ج٩، ص٣٥٩-٣٦١.

واصطلاحا: يعني التصرف في ريع العين وما تدره من مال، مع بقاء العين في ذاتها وجعل منفعتها لجهة من جهات البر، وهي بهذا تخرج من ملك صاحبها، وتسبل منفعتها بجعلها مبذولة على وجه القربة لله سبحانه، والأصل في نظام الوقف الإسلامي هو حبس العين من أن تملّك لأحد من العباد، والتصدق بمنفعتها ابتداء على جهة من جهات البر التي لا تنقطع كالفقراء والمساكين، أو المنشآت الخيرية، كالأربطة والمساجد وغيرها، وهذا يسمى الوقف الخيري، فالوقف إذا هو حبس العين عن ملك الواقف أو على ملك الله تعالى، وهذا يعني أن يحبس شخصا ما بعض أمواله أو كلها عن التداول، بأن يوقفها فلا يمتلكها أحد بأي سبب من الأسباب الناقلة للملك، وإنما ينتفع بريعها وما تدره من أموال فقط على الوجه الذي حدده الواقف دون امتلاك للعين ذاتها، وهو ما يوجز عند الفقهاء قولهم: " تحبيس العين وتسبيل المنفعة "، وذلك لتحقيق وجه من وجوه البر والخير، التي رآها الواقف وأراد لها الاستمرار في حياته، ثم من بعد مماته ابتغاء رضا الله. محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٨٠م، ص٢٢؛ راشد القحطاني: راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٤م، ص١٩.

(٢) **lapidus; Maslim cities in the later middle ages"Harvard 1967"p.74.**

(٣) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٧٠.

(٤) السيوطي: الإنصاف في تمييز الأوقاف، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم (٢٢٠)، ميكروفيلم رقم(٢٢٥٣٠)، ص ١-٢؛ محمد بن أحمد بن صالح: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠١م، ص ٥٤.

(٥) ومن الوظائف التابعة لناظر الوقف: مباشر أوقاف الحرمين، وهو الموظف المكلف بإدارة العمل والإشراف عليه، وكان يعين للأوقاف مباشرون يقيدون المتحصل من ريعها والمنصرف على مرافقها ويشترط في مباشر الوقف، الأمانة ومعرفة الكتابة والحساب . حسن الباشا: احسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، الطبعة الأولى، دار النهضة، القاهرة، (د.ت)، ج٣، ص ٩٨٤.

(٦) المقريزي(تقي الدين أحمد، ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٩م، ج٢، ص ٢٩٥؛ السيوطي: الإنصاف في تمييز الأوقاف، ص ١-٢.

(٧) السيوطي: الإنصاف، ص ٣-٤؛ محمد بن أحمد بن صالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص ٥٤ .

(٨) السيوطي: الإنصاف، ص ٤؛ محمد بن أحمد بن صالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص ٥٥ .

(٩) هو ديوان الأوقاف، ولفظة ديوان عرفت اولًا في الدولة الإسلامية بمعنى السجل، وأول من دون الدواوين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وأول من رتب الدواوين عبدالملك بن مروان. حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٥٤١.

(١٠) الدوادار: كلمة تتآلف من كلمتين (دواة) العربية وهي ما يكتب منه، و(دار) الفارسية بمعنى ممسك،والمعنى يكون (ممسك الدواة) أو الموكل بالدواة، ويقصد بذلك الموكل بدواة السلطان، وقد عرفت هذه الوظيفة في العصر العباسي، ثم ازدهرت في العصر المملوكي، وشغلها أمراء وعسكريون ومقربون للسلطان . القلقشندى(شهاب الدين أبو العباس أحمد، ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٦م، ج٤، ص ١٩؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٥١٩ .

(١١) ناظر الأحباس: هو ناظر الوقف، وهو اسم وظيفة مكون من لفظة (ناظر)، والناظر في العصر المملوكي كان موظفا من كتاب الأموال والأحباس، والأوقاف: جمع وقف، ويقع على شيء وقفه صاحبه لا يورث ولا يباع . حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٣، ص ١١٩٨ .

(١٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص ٧٥ .

(١٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٩٦ .

(١٤) حياة الحجي: السلطان الناصر محمد بن قلاوون والوقف في عهده ، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح،الكويت، ١٩٨٣م، ص ٦١.

(١٥) حياة الحجي: السلطان الناصر والوقف في عهده ، ص ٤٥ .

(١٦) بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيقدونالد س . ريتشاردز، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨م ، ص ١١٩ .

(١٧) حجة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار، المؤرخة سنة٧٠٧هـ/١٣٠٧م، رقم الوثيقة(٢٠)، محفظة(٤)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ١٢٣ – ١٢٤.

(١٨) أرغون الدوادار: أرغون شاه بن عبد الله الدوادار الناصري، الأمير سيف الدين، أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، الذي اشتراه وأدبه ورقاه حتى صار دوادارا، ثم ولاه نيابة السلطنة بمصر حوالي ست عشرة سنة، ثم ولي نيابة حلب فترة، وتوفي عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م.ابن تغري بردي(أبو المحاسن جمال الدين يوسف، ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين وسعيد عاشور، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٢، ص ٣٠٦–٣٠٧.

(١٩) الفاسي(تقي الدين محمد بن أحمد، ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٢٤٣؛ ابن فهد(نجم الدين عمر، ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت وعبد الكريم بن باز، الطبعة الأولى، السعودية، ١٩٨٨م، ج٣، ص ١٥٦ .

(٢٠) حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، المؤرخة في عام ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، رقم الوثيقة (٤٢)، محفظة رقم (٦)، دار الوثائق، القاهرة، نشر محمد محمد أمين، تذكرة النبيه، ج٣، ص٤٤٢.

(٢١) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١٠٧– ١٠٨ .

(٢٢) لم توجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

(٢٣) حجة وقف أحمد بن محمد النحاس، المؤرخة عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، وثيقة رقم (٧١٣ج)، وزارة الأوقاف سطر ٨–٩.

(٢٤) بهادر المنجكي: بهادر بن عبد الله المنجكي الاستادار، الأمير سيف الدين، سمي بالمنجكي نسبة إلىمعتقه الأمير منجك اليوسفي، وكان بهادر هذا خصيصا عند الظاهر برقوق، وصار له ثروة وشأن، وكان عنده معرفة وسياسة بالأمور، وله صدقات كثيرة، وتوفي عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م. ابن تغري: المنهل الصافي،ج٣، ص ٤٣٥.

(٢٥) حجة وقف السيفي بهادر المنجكي، المؤرخة عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، وثيقة رقم (٥٢)، محفظة (٩)، دار الوثائق، سطر ٢٩ – ٣٠ .

(٢٦) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق المؤرخة عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م، رقم الوثيقة (٦٦)، محفظة (١١)، دارالوثائق، القاهرة ، سطر ٥٠١ – ٥١٤ .

(٢٧) حجة وقف السلطان برسباي المؤرخة عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، رقم الوثيقة (٨٨٠ق)، أوقاف القاهرة، سطر ١٧٦ – ١٧٧

(٢٨) هو خشقدم الظاهري برقوق الخصي، تنقل إلى أن صار خازندارا في الأيام الأشرفية، ثمصرف عنها،واستقر زماما حتى توفي عام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م. السخاوي(شمس الدين محمد، ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص ١٧٥.

(٢٩) هو لقب للقائد العسكري، يقال زمام عسكري أي قائد عسكري. ممحمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، بيروت،١٩٩٠م، ص٨٧.

(٣٠) حجة وقف الزيني خشقدم المؤرخة عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، وثيقة رقم (٩٠)، محفظة رقم (١٥أ)، سطر ٤٠، دار الوثائق، القاهرة.

(٣١) حجة وقف الجمالي أبو المحاسن يوسف والمؤرخة عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م، رقم الوثيقة (١٠٥)، محفظة (١٦)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ٣٦٠ – ٣٦٢.

(٣٢) حجة وقف يشبك من عبد الله الدوادار، المؤرخة سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م، رقم الوثيقة(١٢١)، رقمالمحفظة(٢٠)، دار الوثائق، القاهرة.

(٣٣) حجة وقف السيفي دولات باي المؤيدي، المؤرخة عام ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، رقم الوثيقة (١٢٩)، محفظة(٠)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ١١، ١٢، ٣٤.

(٣٤) تمرباي بن عبد الله المحمدي: الدوادار الثاني للأشرف برسباي، وقد تولى منصب رأس نوبة النوب فيدولة الظاهر جقمق، وتوفي عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م. ابن تغري: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم شلتوت، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص ٢٢٢ .

(٣٥) حجة وقف تمرباي بن عبد الله المحمدي، المؤرخة عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وثيقة رقم (١٠١٨ج أوقاف)، سطر ١٦ : ١٩ .

(٣٦) حجة وقف السيفي طوغان بن عبدالله السيفي ادوم بغا، المؤرخة سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وثيقة رقم (١٥٥)، محفظة رقم (٢١)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ٢٧، ٣١، ٣٧.

(٣٧) حجة وقف شمس الدين محمد بن الشهاب العجمي، المؤرخة سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، وثيقة رقم (١٦٠)، محفظة رقم(٢٤ب)، دار الوثائق القومية، القاهرة، سطر ١٨، ٢٢، ٢٨، ٣١.

(٣٨) الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين علي الخزعلي، ولي قوص عام ٧٩٩هـ/١٣٩٦م، وفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، استقر في ولاية الصناعة، ثم عزل منها في نفس العام. المقريزي: السلوك، ج٣،ص ٨٨.

(٣٩) حجة وقف الأمير صارم الدين إبراهيم والمؤرخة عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، رقم (١٢٧)، محفظة (٢٧)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ٨ : ١٠.

(٤٠) هو السيفي جاني بك بن عبد الله الظاهري، رأس نوبة النوب في دولة جقمق، ثم عمل أمير طبلخانة، وتوفي عام٨٧١هـ/١٤٦٦م. ابن تغري: الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٣٩) .

(٤١) حجة وقف السيفي جاني بك بن عبد الله الظاهري، المؤرخة في عام ٨٨١هـ/١٤٧٦م، رقم الوثيقة (١٨٢)، محفظة (٢٨)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ٤٤ : ٥٥.

(٤٢) الأمير قجماس الإسحاقي، نشأ في خدمة سيده جقمق ثم ارتقى لوظيفة خازندار ثم أمير عشرة ثم عين نائبا لثغر الإسكندرية عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، كما عين نائبا للشام عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، وظل بها حتى توفي سنة٨٩٢ هـ/١٤٨٦م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٢١٣ .

(٤٣) حجة وقف السيفي قجماس الإسحاقي المؤرخة عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م، رقـــم الوثيقة (٦٨٩ج) أوقاف القاهرة، سطر ١٢ – ١٣ .

(٤٤) هو القاضي محمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري الإخميمي، ولد عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، كما تولى قضاء الحنفية عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م، وتوفي أوائل القرن العاشر. السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص ٥١ – ٥٢)

(٤٥) حجة وقف محمد الإخميمي المؤرخة عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م، رقم الوثيقة (١٢٣)، محفظة رقم (٢٣)، دار الوثائق، سطر ١٤ : ١٧.

(٤٦) لم توجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها .

(٤٧) حجة وقف شمس الدين محمد الأكيادي، المؤرخة عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، وثيقة رقم (٢٤٢)، محفظة (٣٩)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ١٢٤ –١٢٥.

(٤٨) حجة وقف السلطان طومان باي الأشرف المؤرخة عام ٩١٩هـ/١٥١٣م، رقم الوثيقة (٨٨٢)، محفظة (١٨)، دار الوثائق، سطر ١٦ – ١٧.

(٤٩) حجة وقف بكتمر الجوكندار، سطر ١٢٤ .

(٥٠) حجة وقف السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، القاهرة، نشر محمد محمد أمين، تذكرة النبيه، ج٣، ص٤٤٢.

(٥١) هو مثقال بن عبد الله الأنوكي الطواشي، مقدم المماليك السلطانية، أصله من خدام آنوك بن الناصر محمد بن قلاوون، وتوفي عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م. ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد، ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص ٣٦٣.

(٥٢) مقدم المماليك: هي الوظيفة الخامسة عشرة من بين الوظائف التي يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكي، ولا يكون مقدم المماليك إلا من الخدم الخصيان، ومقامه في الوظيفة مقام أمير النوبة، ومن مهامه توزيع الصدقات السلطانيةوالكسوة على المماليك، كما ينظر في أمر المماليك صغارا وكبارا . القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ٢٩؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٤٢.

(٥٣) حجة وقف الأمير مثقال المؤرخة عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، رقم الوثيقة (٤٤)، محفظة (٧)، دار الوثائق، سطر ٧٩ : ٨٥.

(٥٤) السحابة: يراد بها هنا طائفة ممن يرافقون الحاج للمحافظة عليه وحمايته. حسن أحمد: المدينة المنورة عصر المماليك الجراكسة، تقديم د/حامد زيان، الطبعة الأولى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، هامش ص١٠٨.

(٥٥) ابن تغري: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٢م، ج١٢، ص ١٠٨.

(٥٦) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٠٩.

(٥٧) حسن أحمد: المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك الجراكسة، ص ١٠٩.

(٥٨) اللالا: لفظة فارسية تعني مربي الأطفال، كما تطلق على مربي أولاد الملوك والسلاطين والأعيان، وجوهر اسمه عتيق أحمد بن جلبان، تقلد مناصب في عهد السلطنة المملوكية وصار له شأن، وتوفيسنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م==السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ٨٤؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٣٣.

(٥٩) حجة وقف جوهر اللالا المؤرخة عام ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، رقم الوثيقة (٨٥)، محفظة (١٤)، دار الوثائق، سطر ٨٢ : ٨٦ .

(٦٠) حجة وقف الجمالي أبو المحاسن، سطر ٣٦٤ .

(٦١) حجة وقف السيفي الجكمي المؤرخة عام ٨٦٢هـ/١٤٥٧م، رقم الوثيقة (١١٧)، محفظة رقم (١٨)، دار الوثائق، سطر ٥٣ : ٥٥ .

(٦٢) حجة وقف عمر بن الغرس خليل الحسامي المنصوري، المؤرخة سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، رقم الوثيقة(١٤٣)، محفظة رقم (٢٢)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ٢٧:٩.

(٦٣) هو الأمير يشبك من مهدي الدوادار الظاهري جقمق نسبة إلى من جلبه وهو أستاذه عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م،وقد عينه خاصكيا، ثم تنقل في الوظائف الإدارية إلى منصب الدوادارية، وأسند لهقايتباي منصب الوزارةوالاستادارية وأمير هوارة عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، كما عينه نائبا عنه أثناء ذهابه لتأدية الحج، وقتل سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٧٢ : ٢٧٤ .

(٦٤) حجة وقف الأمير يشبك من مهدي المؤرخة عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، رقم الوثيقة (٦٦ج)، أوقاف القاهرة، سطر ٩ – ١٠ .

(٦٥) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٣٨٢؛ عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المدينة، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٣١١؛ محمود رزق: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، الطبعة الأولى، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٦٥م ج١، ق٢، ص ٢٦٥ .

(٦٦) عندما حج السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م رأى أهل المدينة في فاقة زائدة من عدم الأقوات فنذر أن يفعل بالمدينة خيرا مستمرا بعد وفاته فأخرج من ماله الخاص ليشتري به ما يوقفه على هذه المدينة من ضياع وأماكن وربوع وغير ذلك ما يصنع به بالمدينة في كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك، ثم شرع السلطان في بناء وكالة على تلك الربوع التي أنشأها في باب النصر وفي غيرها من الأماكن. ابن إياسابن إياس(أبو البركات محمد بن أحمد، ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٥م، ج٣، ص ١٦٥؛ ،السمهودي(نور الدين علي بن أحمد، ت٩١١هـ/١٥٠٥م): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق خالد عبد الغني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج٢، ص ٦٤٤.

(٦٧) حجة وقف السلطان قايتباي المؤرخة سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، رقم الوثيقة(٨٩٠ج)، أوقاف القاهرة،سطر ١٦ – ١٧.

(٦٨) علي بن حسين السليمان: علاقة مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك، رسالة ماجستير منشورة، أداب القاهرة، ١٩٧٠م ص ١٨٢.

(٦٩) أحمد هاشم بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ٢٠٠١م، ص ٢٥٧.

(٧٠) أحمد عبدالرازق: المرأة في مصر المملوكية، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،١٩٩٩م، ص ٢٧.

(٧١) القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٧، ص ١٦٦.

(٧٢) حجة وقف أدركين ابنة السيفي، المؤرخة في ١٨ ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ/١٣١٧مـ، رقم الوثيقة ٢٦ محفظة (٥)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ٨، ٩، ١٣، ١٤، ٢٧.

(٧٣) هو لفظ فارسي معناه السيد أو الأمير ويخاطب به الذكور والإناث، وغلب استعماله في العالم الإسلامي كلقب عام بمعنى السيدة أو الأميرة. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٦، ص ٧٨.

(٧٤) حجة وقف خوند بركة، المؤرخة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، رقم الوثيقة (٤٧)، محفظة(٨)، دار الوثائق، القاهرة،سطر ٩، ١٦، ١٩،٢٣، ٨٥، ٨٧.

(٧٥) حجة وقف خوند شيرين، المؤرخة سنة٨٠٢هـ/١٣٩٩م، وثيقة(٧١ج)، أوقاف القاهرة، سطر٥٨:٦٩.

(٧٦) لم يوجد لها ترجمة في المصادر التي أمكن للبحث الاطلاع عليها.

(٧٧) حجة وقف كزل ابنة اسندمر، المؤرخة سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، رقم الوثيقة (٥٦٠ج)، أوقاف القاهرة، سطر١٢٣–١٢٩.

(٧٨) الست لقب عام يطلق على المرأة مثل السيدة. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الطبعة الأولى، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣١٧.

(٧٩) لم يوجد لها ترجمة في المصادر التي أمكن للبحث الاطلاع عليها.

(٨٠) حجة وقف الست بيرم ابنة السيفي قرقماش، والمؤرخة سنة ٨٦٤هـ/١٣٦٢م، رقم الوثيقة (١٢٤)، محفظة (٢٠)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ١٣–١٤.

(٨١) ليس لها ترجمة في المصادر التي أمكن للبحث الاطلاع عليها .

(٨٢) حجة وقف عائشة ابنة برجك، المؤرخة في ١٢ جماد الآخر سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠مـ، رقم الوثيقة (١٢٣) محفظة (٢٠)، دار الوثائق القومية، القاهرة، سطر ١٤–١٥.

(٨٣) لم يوجد لها ترجمة في المصادر التي أمكن للبحث الاطلاع عليها.

(٨٤) حجة وقف خديجة ابنة أحمد بن أرغون، المؤرخة سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م، رقم الوثيقة (١٣٣)، محفظة(٢١)،دار الوثائق، القاهرة، سطر ٥٦–٥٧.

(٨٥) لم يوجد لها ترجمة في المصادر التي أمكن للبحث الاطلاع عليها.

(٨٦) حجة وقف المصونة بركة ابنة شرف الدين، المؤرخة سنة٨٦٨هـ/١٤٦٣م، رقم الوثيقة (١٤٠)، محفظة(٢١)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ١٢٢-١٢٤.

(٨٧) زينب بنت العلاء علي بن الجمال عبدالله، وتعرف بابنة خاص بك، تزوجها إينال الأجرود سنة ٨٢٥ هـ/١٤٢١م، وقد حجت أكثر من مرة وأقامت الكثير من الصدقة، وماتت في الثمانين من عمرها. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص ٤٤-٤٥ .

(٨٨) حجة وقف زينب بنت العلاء، المؤرخة في ٢٨ من محرم عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م، رقم الوثيقة (٥٩٥ج)، سطر ١٣ – ١٤ – ١٥، أوقاف القاهرة.

(٨٩) لم توجد لها ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها .

(٩٠) حجة وقف فاطمة زوجة الزيني شعبان، المؤرخة في ١٩ من ذي القعدة، سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م، رقم الوثيقة (١٥٠)، محفظة (٢٣)، دار الوثائق – القاهرة، سطر ٣٠-٥٠.

(٩١) لم يوجد لها ترجمة في المصادر التي أمكن للبحث الاطلاع عليها.

(٩٢) لم توجد لها ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها .

(٩٣) حجة وقف فاطمة بنت العليمي، المؤرخة في ١٢ من شوال، عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، رقم الوثيقة (١٦٤)، محفظة (٢٥)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ١٢-١٣.

(٩٤) حجة وقف فاطمة بنة شهاب الدين أحمد، والمؤرخة سنة٨٧٤هـ/١٤٦٩م، رقم الوثيقة(١٦٥)، محفظة رقم (٢٥)، دار الوثائق، القاهرة، سطر ٢٣-٢٥.

(٩٥) حجة وقف فاطمة بنت تاج الدين، المؤرخة سنة٨٩٧هـ/١٤٩١م، رقم الوثيقة(٢٧٠)، محفظة(٤٤)، دارالوثائق، القاهرة، سطر ٢٢٢-٢٢٨.

(٩٦) ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ٩٨٤.

(٩٧) حجة وقف جان سوار، المؤرخة سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، رقم الوثيقة(٢٦٢)، محفظة(٤٤)، دار الوثائق، القاهرة سطر ١٨-١٩-٢٠.

(٩٨) حجة وقف ورد خان بنت عبد الله، المؤرخة سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، رقم الوثيقة (٢٨٣)، محفظة (٤٥)، دار الوثائق، القاهرة.

(٩٩) لم يوجد لها ترجمة في المصادر .

(١٠٠) حجة وقف المصونة جان سوار، سطر ١١-١٢-١٣.

(١٠١) ابن فهد(عبد العزيز بن عمر، ت٩٢٢هـ/١٥١٦م): بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق صلاح خليل وآخرون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦١م، ج٣، ص ٢٠٠٦.

(١٠٢) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد الفقي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ج٦، ص ٣٣١.

الخريطة المورفولوجية لمنطقة حلايب كأداة أساسية للتنمية

في جنوب شرق لمصر.

د.ناصر عبد الستار عبد الهادي نوح
مدرس الجغرافية الطبيعية
معهد البحوث والدراسات الاستراتيجية لدول حوض النيل
جامعة الفيوم

يونيو ٢٠١٥

مقدمة.

تقع منطقة حلايب [1]بين دائرتي عرض ٢٢َ ٢٣ْ شمالاً ، وخطي طول ٣٤َ٣٧ْ شرقاً، وتشغل الجزء الجنوبي الشرقي من الهضبة الجنوبية، وتمثل أعلى جهاتها ارتفاعاً في سلسلة جبال البحر الأحمر، و تشغل رقعة جغرافية واسعة تبلغ مساحتها نحو ١٨.٠٠٠ كم ٢ ، ويحدها من الجنوب خط عرض ٢٢ْ (الحدود المصرية السودانية) ، ومن الشمال وادي حوضين ومن الجهة الشرقية ساحل البحر الأحمر ، أما الجهة الغربية فتتمثل في خط تقسيم المياه بالصحراء الشرقية والذي يفصل بين شبكات التصريف المائي التي تتجه صوب منطقة الدراسة وشبكات التصريف المائي المتجهة صوب نهر النيل، وهذا الخط أكثر اقتراباًَ من البحر الأحمر ولهذا فإن الأودية المتجهة صوب البحر الأحمر أقل طولاً وأكثر انحداراً وسرعة في تدفق المياه ، ويتكون خط تقسيم المياه في منطقة المثلث من مجموعة كتل جبلية أهمها جبل علبة وجبل ايس وجبل سواريب وجبل اتويب وجبل الناقة وجبل شياتيت وجبل أم حطة وجبل عقاب النجوم وجبل صول حامد، وتفصل بينها أودية سريعة الجريان أهمها أودية سفيرة وشاب وشبيب وميسبة وكراف والدريرة ودعيب وسرمتاي وشلال وأي –كوان وحدربة.

وتنقسم المنطقة على أساس اختلاف المظهر الجيومورفولوجي العام والارتفاع النسبي واختلاف التكوينات الجيولوجية إلى ثلاثة أقسام رئيسية؛

---

[1] تشكل منطقة الدراسة ما يشبه بمثلث متساوي الساقين ، تتمشى قاعدته بطول ٣٠٠ كم مع خط عرض ٢٢ْ شمالاً ، وطول كل من ضلعيه الشرقي المطل على البحر الأحمر ، والغربي الذي يمثل خط متعرج عبر نطاق جبال البحر الأحمر نحو ٢٠٠ كم ، وتقع مدينة الشلاتين على رأس المثلث وإلى الجنوب منها بحوالي ١٣٥ كم تقع مدينة أبو رماد ، ثم مدينة حلايب التي تقع إلى الجنوب من أبو رماد بحوالي ٧٥ كم والتي تمثل قاعدة المثلث في الجنوب عند خط الحدود المصرية السودانية.

الأول منها يتمثل في خط الساحل حيث التكوينات المرجانية بصورة متصلة فيما عدا مصبات الأودية الكبرى ، حيث تظهر كثير من الخلجان والمراسيمثل خليج أبوفسى ومرسى أبوتوينة ومرسى أبو سومة ومرسى شعب ومرسى حلايب ، أما القسم الثاني فيتمثل في السهل الساحلي والذي تغطيه الرواسب الرملية ويظهر في بعض أجزائه تقاطعات من الجبس ويتميز عامة بتضاريس غير منتظمة متمثلةفي مصاطب الشعاب المرجانية المتتابعة والتي تمتد طولياً على اليابس بموازاة خط الشاطىء وتحاط من الخارج بحزام من السبخات يسير بمحاذاة الساحل كله، و يقطعها عدد من الأودية المتسعة أو المراوح الفيضية ويتميز السهل الساحلي بصفة عامة بالضيق ويتسع بالاتجاه ناحية الشمال الغربي ويصل أقصى اتساع له حوالي ٢٥.٥ كم وأقل اتساع حوالي ١١كم في أقصى الجنوب الشرقي للمنطقة ، في حين يتكون القسم الثالث من مجموعة من السلاسل الجبلية المرتفعة وهي عبارة عن سلاسل جبلية وعرة شديدة التعقيد بها كثير من الشقوق الطولية والعرضية وقد لعبت الصدوع الثانوية دورها في تقطعها ومساعدة الأودية في شق مجاريها بين الكتل الجبلية وبها قمم مرتفعة أهمها جبل علبة ١٤٣٥ متراً ، وجبل شنديب ١٩٢١ متراً وجبل ابرق .

أهداف الدراسة.

١-التعرف على الأشكال الأرضية بالمنطقة بشكل تفصيليومحاولة تقسيمها إلى مجموعة من الوحدات الأرضية المتجانسة ،مع دراسة توزيعها الجغرافي وخصائصها المورفولوجية وعمليات تشكيلها والذي يساهم بدوره في تحديد أفضل المواضع اللازمة لمجالات التنمية المختلفة خاصة الزراعية والصناعية والعمرانية والسياحية في تلك المواضع.

٢-محاولة الربط بين السمات المورفولوجية لمنطقة الدراسة وبعض مجالات التنمية خاصة الزراعية والعمرانية والسياحية وتنمية الثروة السمكية.

٣-تحديد أهمالثروات الطبيعية التييمكن أن توفرهاالأشكال الجيومورولوجية بالمنطقة ، وإبراز أفضل السبل للاستفادة من تلك الثروات.

مناهج وأساليب الدراسة :

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الإقليمي لدراسة ظاهرات عديدة في منطقة الدراسة ، ويهدف هذا المنهج إلى تمييز الظاهرات الموجودة بمنطقة الدراسة من حيث توزيعها وخصائصها المختلفة مع ألقاء الضوء على تطورها وظروف نشأتها إذا كانت للظاهرة مراحل جيومورفوجية تطورية تخضع لها أو يمكن تمييزها .

كما أستخدم الباحث عدة أساليب من أهمها.

١-**الأسلوب الوصفي:**استخدمه الباحث في أثناء الميدان في وصف الظاهرات من حيث أحجامها وأشكالها ، عند تعذر قياسها ميدانياً وعم وضوحها على الخرائط والصور الجوية والفضائية.

٢-**الأسلوب الكمي والكارتوجرافي:**استخدم الباحث الأساليب الكمية والإحصائية في التحليل والاستنتاج حيث قام باستخدام برامج 9.1Arc ، Spss15, Corel draw11،Excel.2007 في تحليل البيانات ورسم الأشكال سواء على شكل منحنيات أو أعمدة بالإضافة إلى تطبيق المعادلات المختلفة مثل معادلة الانحراف المعياري ومعامل الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف ومعامل الارتباط.

طرق وأساليب البحث ووسائله.

اعتمدت الدراسة على طرق وأساليب البحث التالية:-

١-فحص وتحليل الخرائط الطبوغرافية ١/١٠٠.٠٠٠والتي تضمنت عشر لوحات وهي حلايب، وجبل علبة، وجبل سروك، وجبل ايس،وجبل أم الطيور الفوقاني،وجزائر سيال،ومرسى شعب،وجبل جرف،وجبل مشبح،وجبل سيجع، والخرائط الطبوغرافية ١/٥٠.٠٠٠ وهي عبارة عن ١٥ لوحة بالإضافة إلى خرائط مقياس ١/٢٥٠.٠٠٠ وهي عبارة عن لوحتين لجبل علبة ومرسى شعب وذلك للتعرف على توزيع أشكال السطح في المنطقة ، والتعرف على العلاقات المكانية بينها.

٢-رسم الخريطة الجيولوجية لمنطقة الدراسة بالإضافة إلي الحصول علي بعض المعلومات الخاصة بالتكوينات الجيولوجية وتوزيعها اعتماداً على خريطة مصر الجيولوجية(لوحة رأس بناس) مقياس ١/٥٠٠.٠٠٠، (كونكو ١٩٨٧) وتم الاستفادة من هذه الخريطة في التعرف على التكوينات الجيولوجية السطحية والبنية الجيولوجية والأشكال الخطية.

٣-إجراء الدراسة الميدانية لرسم الخريطة المورفولوجية لمنطقة الدراسة من خلال مسح للأشكال الجيومورفولوجية بمنطقة الدراسة وتوقيعها على الخرائط المرفقة مع التركيز على الأشكال التي يصعب توضيحها على الخرائط من حيث إجراء القياسات المورفومترية وتحديد الاتجاهات وخصائصها وربطها بالأشكال الجيومورفولوجية المجاورة.

٤-التقاط الصورالفوتوغرافية اللازمة للتدليل على كافة الظاهرات المورفولوجية التي تضمنتها منطقة الدراسة.

تساؤلات الدراسة:

١- ما هي الظاهرات الجيومورفولوجية التي تميز منطقة الدراسة ؟ وما هي خصائص كل ظاهرة وسماتها المورفولوجية ؟

٢- ما هي الظاهرات والعمليات الجيومورفولوجية المؤثرة على تنمية النشاط الزراعيوالسياحيوالتعديني والعمراني ؟ وإلى أي مدى كان هذا التأثير؟
٣- إلى أي مدى يمكن الاستفادة من الظاهرات والعمليات الجيومورفولوجية في مجالات التنمية المختلفة بمنطقة الدراسة؟

أولاً:-الملامح الطبيعية العامة لمنطقة الدراسة.

١-الخصائص التضاريسية.

تتميز الخصائص التضاريسية بمنطقة الدراسة بالتنوع في الارتفاع والانحدار بين أجزاء المنطقة المختلفة ، حيث تنحدر المنطقة بصفة عامة من الغرب إلى الشرق نتيجة لحركة الرفع والتصدع التي أصابتها خلال العصور الجيولوجية السابقة ،وبالتالي تنخفض زوايا الانحدار كلما اتجهنا من المناطق الجبلية في الغرب صوب السهل الساحلي وخط الساحل في الشرق ، ويؤثر هذا بدوره في تحديد طبيعة ونوعية العمليات الجيومورفولوجية كالنحت والإرساب ومن ثم الظاهرات الجيومورفولوجية المختلفة الناتجة عن تلك العمليتين ، ومن خلال الدراسات الميدانية، وتحليل الخرائط الطبوغرافية والخريطة الجيومورفولوجية وصور الأقمار الصناعية وبعض الصور الجوية أمكن تقسيم منطقة الدراسة من الناحية المورفولوجية إلى ثلاث وحدات تضاريسية وهي:-

أ-وحدة السهل الساحلي: وهي عبارة عن شريط يمتد على طول الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر تقطعه بمجموعة من الأودية أهمها سفيرة وشاب والدريرة وميسبة وكراف واوليا ومريكوان .

ب-وحدة البهادا: تشغل هذه الوحدة النطاق المحصور بين السهل الساحلي في الشرق وإقدام الحافة الجبلية في الغرب بين خطي كنتور(٢٠٠-

٤٠٠م),ويمكن اعتبارها منطقة الإرساب الرئيسية أو مستوى الأساس المحلي لأودية منحدرات الجبال والتلال.

جـ – وحدة الجبل: تتميز هذه الوحدة بشدة انحدارها مقارنة بالوحدتين السابقتين حيث تنحدر من الغرب إلى الشرق وإن كانت تميل إلى شرق الشمال الشرقي ويرجع ذلك إلى طبيعة تكوين المنطقة خلال العصور الجيولوجية القديمة حيث إصابتها حركات الرفع والتصدع والتي أدت بدورها إلى ارتفاع جبال البحر الأحمر بالجزء الغربي منها وظهور العديد من القمم الجبلية المرتفعة والتلال.

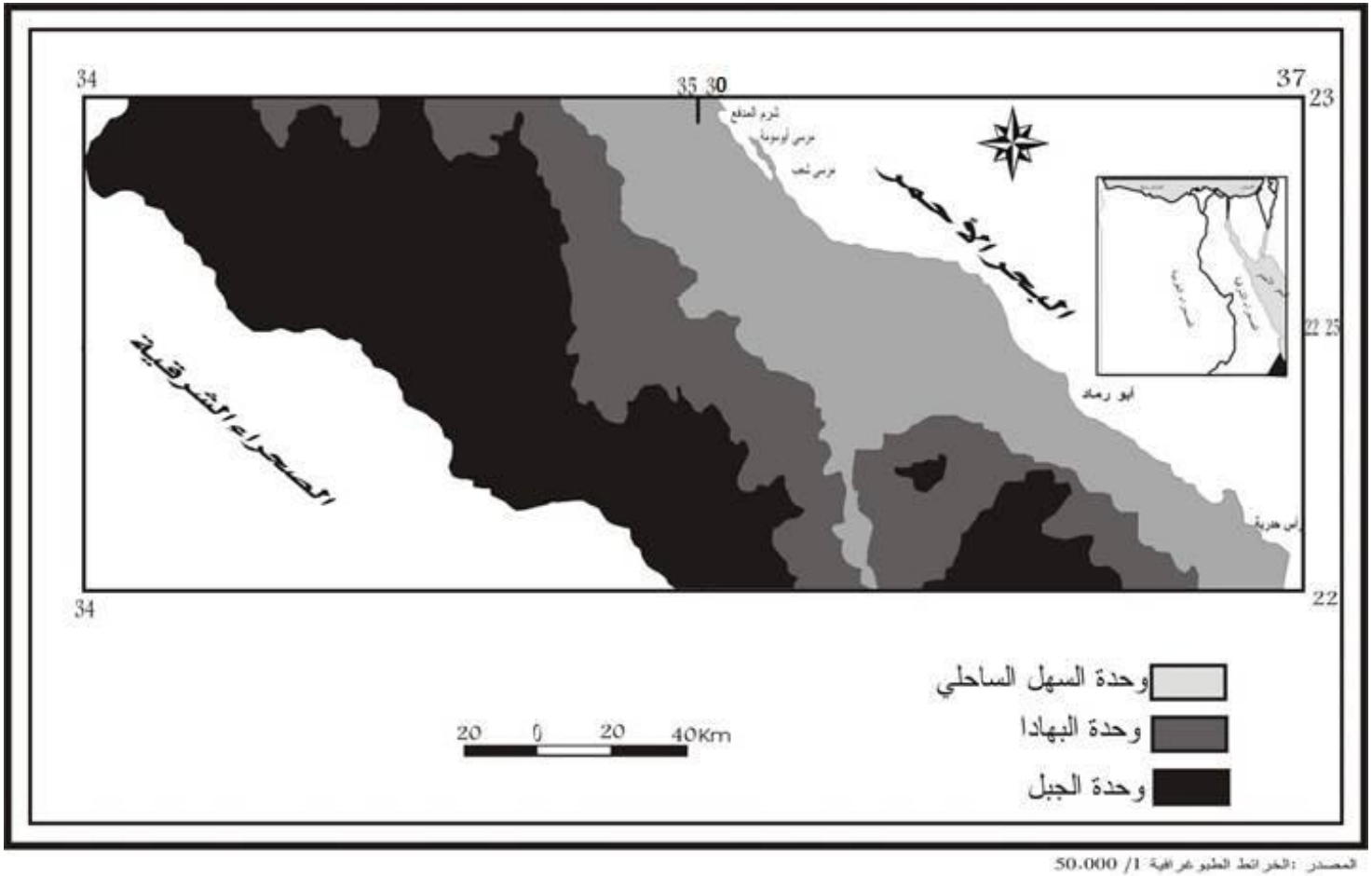

شكل (١) الوحدات التضاريسية الرئيسية بمنطقة الدراسة

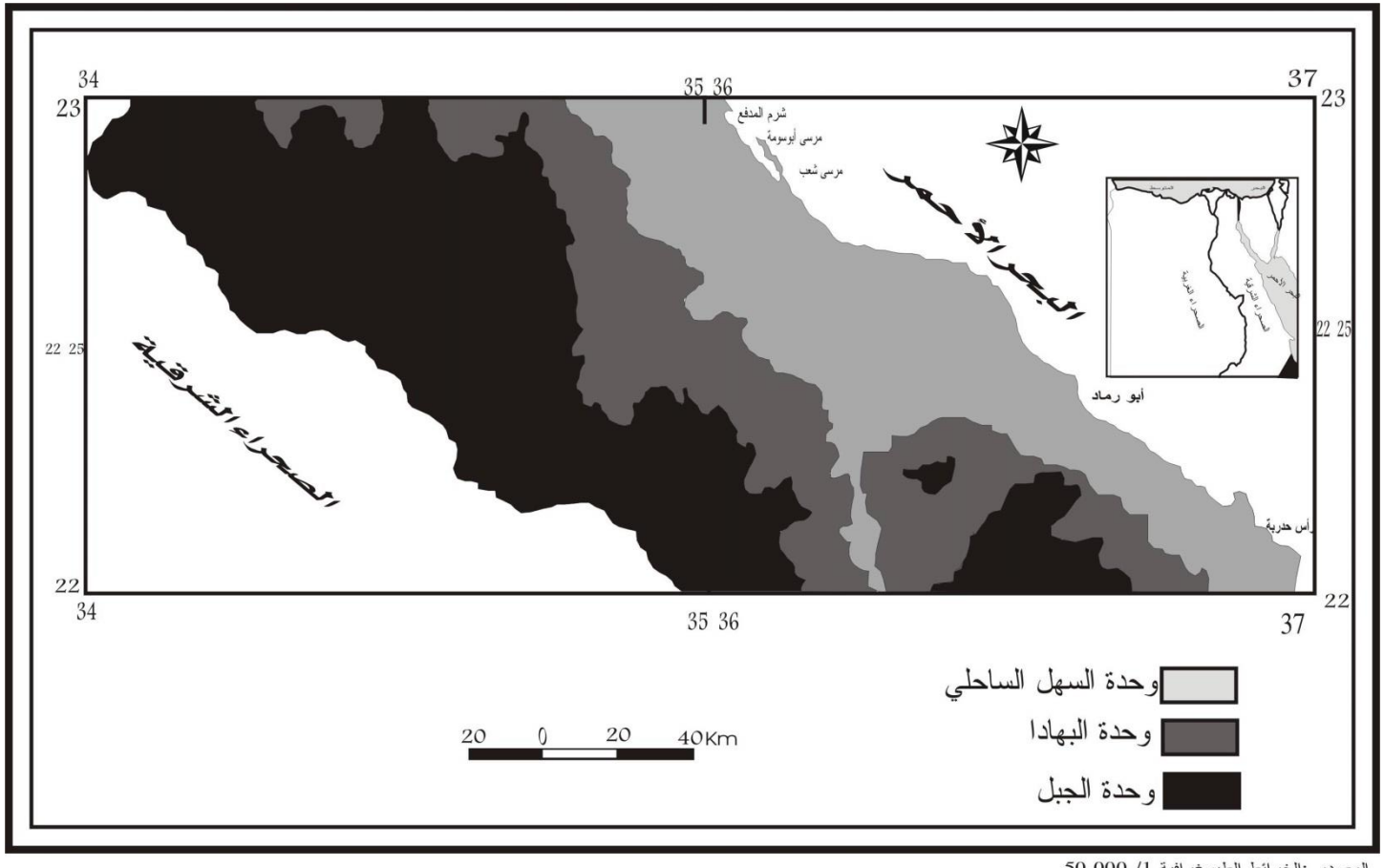

المصدر :الخرائط الطبوغرافية 1/ 50.000

٢-جيولوجية المنطقة:

تتميز منطقة الدراسة جيولوجياً بالتنوع الشديد في محتواها الصخري وتراكيبها الجيولوجية من طيات وصدوع وفواصل أثرت على تضاريس المنطقة وعلى شكل الأودية واتجاهاتها، بالإضافة إلى تأثيرها المباشر وغير المباشر على ساحل البحر الأحمر من حيث الاتساع والانحدار والاتجاه والشكل،ويمكن تتبع التكوينات المختلفة بمنطقة الدراسة من الأقدم إلى الأحدث فيما يلي:-

أ-صخور القاعدة: هي أقدم الصخور المكشوفة وأكثرها ارتفاعاً وتضرساً وهي الأساس الصخري التي ترسبت فوقه الصخور الرسوبية خلال العصور الجيولوجية المختلفة، وتظهر مساحات محدودة منها بمنطقة الدراسة خاصة الصخور البركانية والتي تظهر في غرب وجنوب غرب جبل علبة ، أما الصخور الجرانيتية وصخور الأفوليت وصخور السربنتين والجابروديوريت فتظهر في مناطق جبل ايس ، وجبل سواريب.

ب-الصخور الرسوبية:تغطي مساحة كبيرة من منطقة الدراسة ، ومن خلال دراسة خصائصها الجيولوجية المختلفة وانحدار سطحها صوب البحر واحتوائها على العديد من الحفريات المتنوعة ، فإنها تبدو في معظمها تكوينات ساحلية، وترتكز بعد توافق مع مركب صخور القاعدة ، وتنقسم إلى التكوينات التالية كما في شكل (٢) وذلك على النحو التالي:-

-تكوين الحجر الرملي النوبي(كريتاسي أدنى):يستقر هذا التكوين فوق صخور القاعدة وهو عبارة عن تتابع صخري يحتوي على طبقات متبادلة من الحجر الرملي وطبقات من الطفلة يتراوح ألوانها ما بين الأبيض والبني المائل إلى السواد أو الضارب للحمرة(الألفي،١٩٩٨،ص ١٢)،ويتعاقب مع

هذه الطبقات طبقات من الصلصال يسودها اللون الرمادي مختلطة ببعض رقائق من الطفل المفككة ضعيفة التماسك،و لهذه التكوينات أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية،فهي بمثابة خزانات للري والسقاية والحيوان وقد ساعد على حفظ هذه المياه بهذه الخزانات ارتكازها على صخور القاعدة الأركية.

-**تكوين طارف(كريتاسي أعلى):** ويعلو تكوين الحجر الرملي النوبي ويتألف من حجر رملي ذو طبقات متوسطة السمك تمتاز بألوانها الداكنة والبنية البيضاء، وتظهر هذه التكوينات على شكل بقع صغيرة بجوار خط الساحل

-تكوين الرنجا (ميوسين أسفل):يتألف تكوين الرنجا في معظمه من تتابعات من الكونجلوميرات والأحجار الرملية الخشنة التي تتميز بألوانها الحمراء والتي ترجع إلى احتوائها على أكاسيد الحديد مع السلت ويبلغ متوسط سمكه نحو خمسة أمتار(جمال ،٢٠٠٠، ص ٣٥).

شكل(٢) يوضح التتابع الطباقي للصخور الرسوبية بمنطقة الدراسة.

الأزمنة الجيولوجية	العصور		الوصف الليثولوجي	وحدة الصخر	السمك(بالمتر)
الزمن الرابع	البلايستوسين والهولوسين		شعاب مرجانية ورواسب حصوية ورملية ورواسب الأودية		١٠-٢٠
الزمن الثالث	البلايوسين	أعلى	تكوين شجرة		١٢٠-١٦٠
		أسفل	تكوين جابر		١٢٤
	الميوسين	أوسط	تكوين أبود باب		٢٥-٥٠
		أوسط	تكوين جبل الرصاص		٨٠
		أسفل	تكوين الرنجا		٥
الزمن الثاني	الكريتاسى	الأعلى	تكوين طارف		٦٠-٧٠
		أسفل	الحجر الرملي النوبي		١٠٠-١٥٠

المصدر: -الخريطة الجيولوجية مقياس ١/ ٥٠٠.٠٠٠ لوحة برنيس -الهيئة المصرية العامة للبترول.

-**تكوين جبل الرصاص(ميوسين أوسط):** تتألف صخوره من الحجر الرملي الخشن والطفلة وتتداخل معها أشرطة من الحجر الجيري الرملي الغنية بالحفريات والشعاب المرجانية كما في لوحة (١) ، ويصل متوسط سمكها

نحو ٨٠ متراً، وتكمن الأهمية الاقتصادية لهذا التكوين في احتوائه على خام النحاس وذلك في هيئة جيوب كبيرة في قاعدته ، وعلى السطح الفاصل بينه وبين تكوين الرنجا ، بالإضافة إلى احتوائه على الرمال السوداء بين حبيبات الأحجار الرملية ذات اللون الأصفر (جمال،٢٠٠٠، ص ٣٦).

-**تكوين أبودباب(ميوسين أوسط):**يتوزع هذا التكوين على الشريط الساحلي للبحر الأحمر حتى الحدود الجنوبية مكوناً تلالاً عالية قبابية الشكل نتيجة انتفاخ هذه الرواسب عند قمتها وانزلاقها نتيجة تشبعها بالماء في مواسم الأمطار الشديدة، ويتألف من الجبس الأبيض الصلب عليه قشرة بنية اللون المتدرج ما بين الفاتح الضارب للصفرة إلى الداكن وتبدو هذه الرواسب متوافقة مع ما يعلوها من رواسب المارل الرملي والطفل وطبقات الدولوميت شديدة الصلابة(آدم ،٢٠٠٣، ص ٩).

لوحة (١) توضح تكوين جبل الرصاص (ميوسين أوسط) بمنطقة الدراسة

-**تكوين جابر(بليوسين أوسط):** يتكون من الحجر الجيري البطروخي والذي تتخلله طبقات من المارل والحجر الرملي والحجر الرملي المرجاني،يبلغ سمك هذا التكوين نحو ١٢٤ م، ويشكل قطاعاً يبدأ من أسفل بسمك ٤٤ م متكوناً من الحجر الرملي يعلوها طبقة من الحجر الرملي الدولوميتي وطبقة من المارل والحجر الرملي المرجاني بسمك ٨٠ م(Said,R,1990,p.356).

-**تكوين شجرة(بليوسين أعلى):** يتألف من طبقات من الأحجار الجيرية والكونجلوميرات والتي ترسبت في ظروف بيئية نشطة ، ويتراوح سمكه ما بين ١٢٠-١٦٠ متراً ، وتظهر أهمية هذا التكوين من الناحية الجيومورفولوجية حيث ترتبط به العديد من الأشكال التحاتية مثل الرؤوس والشروم البحرية والأشكال الارسابية مثل الدلتاوات والمصاطب البحرية.

-**رواسب بحرية ساحلية (بلايوستوسين):**تتمثل في الشعاب لمرجانية والشواطئ المرتفعة على ساحل البحر الأحمر، وتتألف من الحجر الجيري شديد المسامية ، وتكون الشعاب المرجانية القديمة منها بعض الجزر داخل البحر مثل جزر الزبرجد والكوع والمريد والسيال وحلايب ، ويمتد جنوب اليابس مكونة شواطئ مرتفعة وبارزة تطل على البحر وتختفي تحت رواسب الرمال والسبخات في مناطق عديدة على الساحل خاصة عند مصبات الأودية الرئيسية .

رواسب فيضية(بلايوستوسين): وتتألف هذه الرواسب من الزلط و الحصى والحصباء المستدير وشبه المستدير والرمال بأحجامها المختلفة ، وتتباين الحبيبات بها حسب نوعية صخور المصدر ، وتركيبها عادة من الكوارتز والفلسبار والرمال السوداء،وهذه الرواسب توجد على هيئة طبقات معقدة التكوين توجد بها تشققات طينية وتحتوي على بقايا نباتية متحجرة ، وتشكل هذه الرواسب مساحات كبيرة من منطقة الدراسة وتكون العديد من الظاهرات الجيومورفولوجية مثل مصاطب الأودية والمراوح الفيضية على طول ساحل البحر الأحمر، وتكمن الأهمية الاقتصادية لهذه الرواسب في احتوائها على كميات من المياه الجوفية التي تصلح للشرب حيث تم حفر مجموعة من الآبار أهمها حلايب وأم ستيت وماضي ورحبة.

رواسب المنحدرات والأودية(هولوسين):تتألف هذه الرواسب من حبيبات من الرمل والزلط والتي يزداد حجمها بالاتجاه لأعالي الأودية بجانب الطمي والسلت، وتتمثل الأهمية الاقتصادية لهذه الرواسب في احتوائها على أغلب خزنات المياه الجوفية بالإضافة إلى نمو النباتات والأعشاب الطبية نتيجة لقدرتها على امتصاص مياه الأمطار وحفظها من التبخر ومن ثم فأن معظم الآبار ذات القدرة الإنتاجية العالية تنبع من هذه الرواسب مثل آبار منيحة وابرق وأبي سعفة وغيرها من آبار الأودية التي يتخذها العبابدة والبشارية كمحطات تموين إثناء ترحالهم بين ساحل البحر الأحمر ومدن وادي النيل.

التركيب الجيولوجي: تتمثل البنية الجيولوجية والتراكيب الجيولوجية في الصدوع والفواصل والتي تهدف دراستها إلى معرفة خصائصها واتجاهاتها ودورها في إبراز أشكال السطح بمنطقة الدراسة ، فقد أوضحت التحاليل التركيبية المستنتجة بأن الصدوع هي العناصر التركيبية الأساسية بالمنطقة حيث ترتبط بها بعض الظاهرات الجيومورفولوجية مثل الحافات الصدعية Faults scarps والأودية الصدعية Fault-line وظاهرة الهبوط أو الأخدود كما أنها تتحكم في خطوط التصريف(مجاري الأودية) لأنها منطقة ضعف صخري تسلكها المياه الجارية وتتعمق فيها الأودية وأفضل الأمثلة على ذلك أودية

لوحة (٢) توضح بعض الفواصل والشقوق بمنطقة الدراسة

(دعيب وابب و سرمتاي) كذلك تأثر خط الساحل بالصدوع والطيات؛ حيث يتسم في كثير من المناطق بالاستقامة الواضحة نتيجة للنشأة الصدعية ،أما الفواصل والشقوق فقد ساهمت بشكل كبير في تكوين العديد من الظاهرات بمنطقة الدراسة كما في لوحة(٢) ومعظم هذه الفواصل تأخذ اتجاهات الصدوع الرئيسية ، الشمال الغربي/الجنوب الشرقي ، والشمال الشرقي /الجنوب الغربي مما يدل على ارتباطها الوثيق بها كما في شكل (٣).

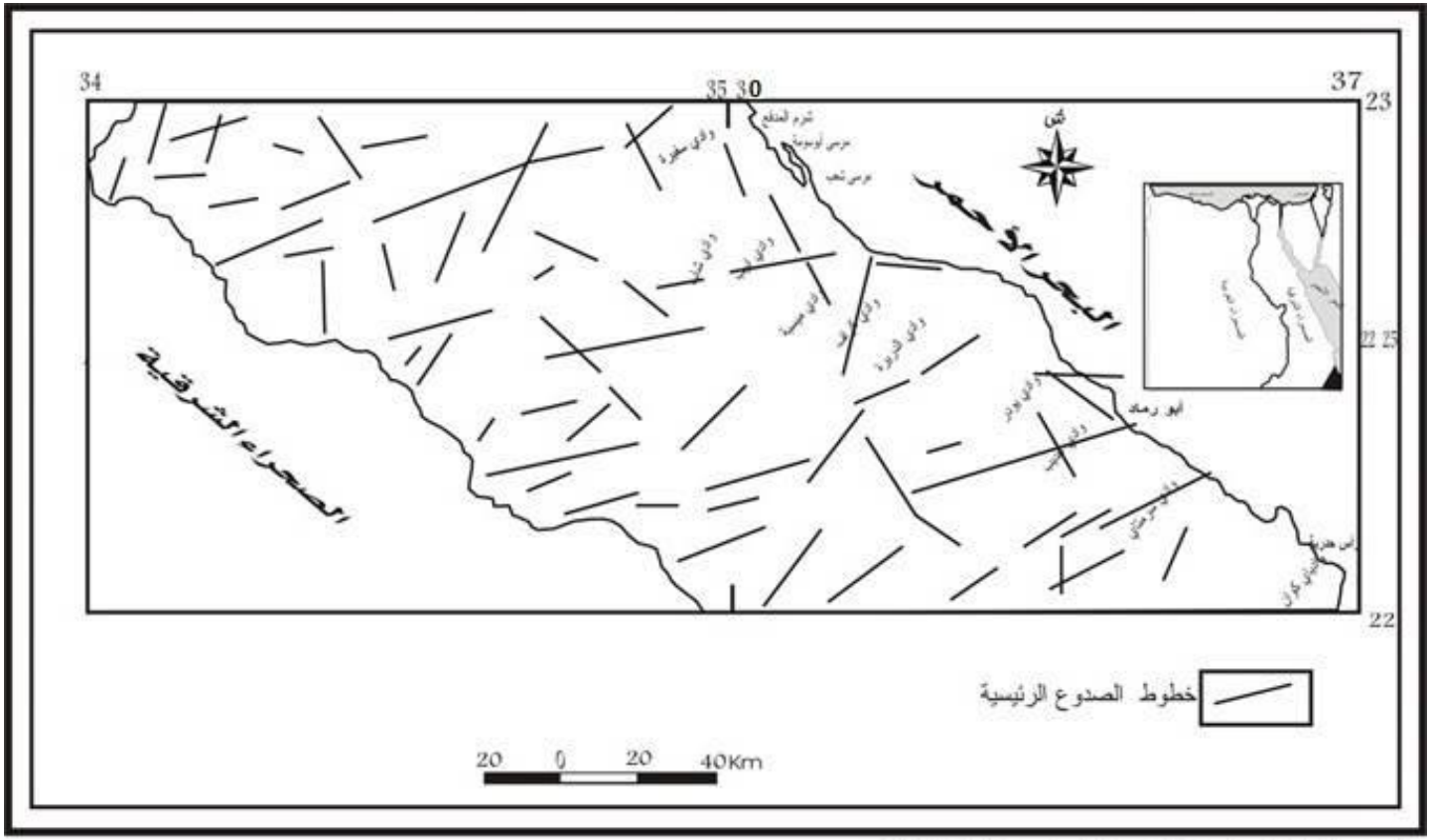

المصدر :الخرائط الجيولوجية كونكو كورال (لوحة برنيس) 1/ 500.000

شكل (٣) المظاهر الخطية الرئيسية بمنطقة الدراسة

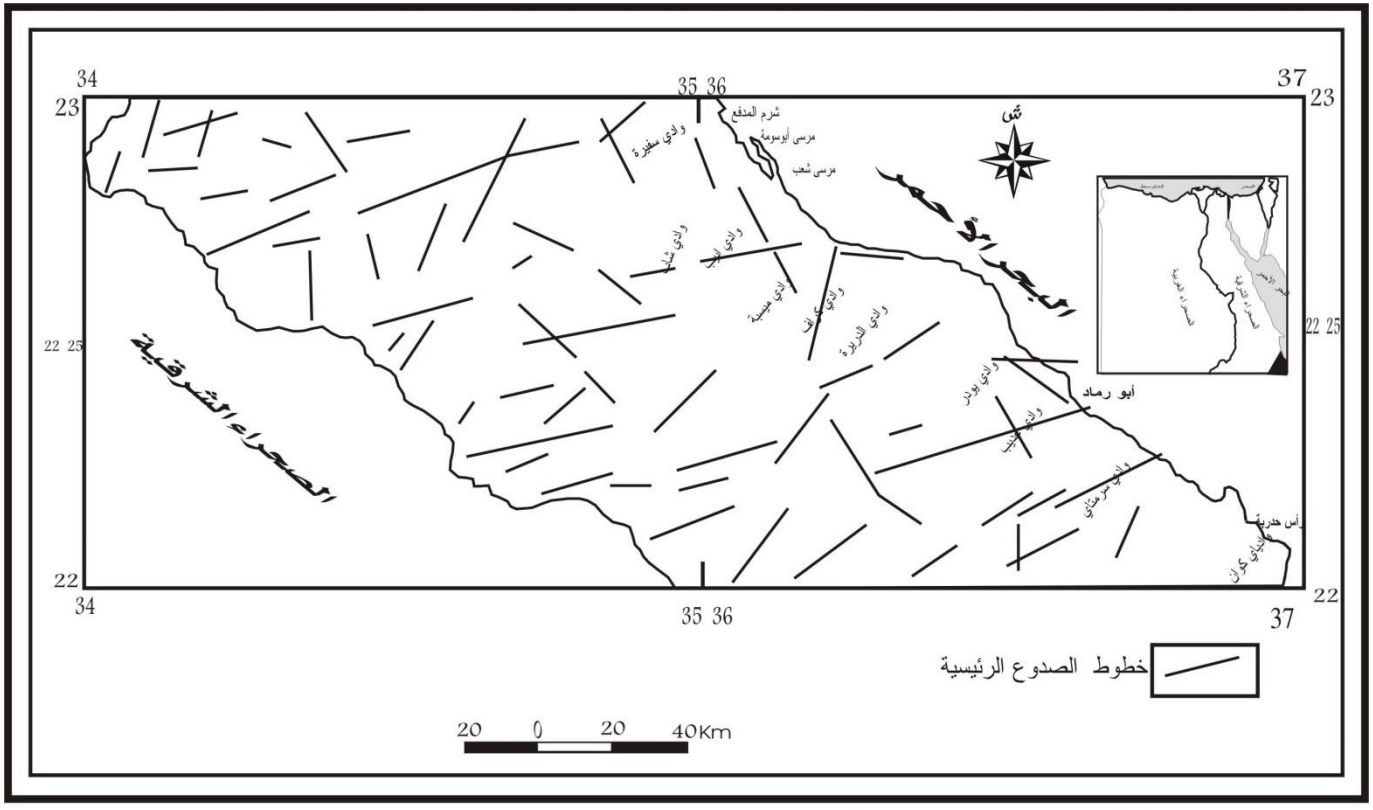

المصدر :الخرائط الجيولوجية كونكو كورال (لوحة برنيس) 1/ 500.000

التطور الجيولوجي:-يبدو التطور الجيولوجي لمنطقة الدراسة في إطار علاقة اليابس بالماء ، ففي بداية عصر الكريتاسي الأسفل طغى البحر على المنطقة على هيئة خليج بحري بعد أن أصابتها حركة الهبوط وارسب فيه تكوين الحجر الرملي واستمرت حركة الهبوط حتى بداية الكريتاسي الأعلى والذي ارسب فيه تكوين طارف وفي نهاية الكريتاسي الأعلى حدثت حركة رفع أدت إلى انحسار المياه عن المنطقة وتراجع البحر ناحية الشمال حيث نشطت عوامل التعرية مما أدى إلى غياب تكوينات عصور الأيوسين الباليوسين والأليجوسين .

-وفي عصري **الإيوسين والاوليجوسين** حدثت حركة رفع قوية للجزء الشرقي من الأراضي المصرية كانت حركة عنيفة صاحبها طيات وصدوع ونتج عنها تكون منخفض البحر الأحمر والسلاسل الجبلية على جانبيه بما فيها منطقة جبل علبة وربما يؤكد ذلك وجود العديد من الطيات والصدوع التي تمتد على طول ساحل البحر الأحمر، والتي ترجع تكويناتها إلى عصور ما قبل الميوسين(Said, R., 1962, P. 118)، وبدأت الأودية تشق مجاريها في مناطق الضعف الجيولوجي وخاصة على طول مضرب الطبقات والشقوق العمودية على اتجاه ميل الطبقات نحو غور البحر الأحمر الوليد وحولته إلى بحيرة داخلية ونتيجة لذلك تعرض لحالة من الترسيب حتى عصر الميوسين وعملت هذه الأودية على تقسيم الحافة الرأسية الواحدة المتكونة في صخر بذاته إلى عدة حافات متجاورة تبعاً لامتداد هذه الأودية عمودياً على اتجاه واجهات الحافات الرأسية.

- في بداية عصر الميوسين نشطت عوامل التعرية وقامت بنقل نواتج عمليات النحت التي تعرضت لها جبال البحر الأحمر بعد ارتفاعها وألقت

بهذه المواد التي كان أغلبها رواسب رملية وكنجلوميراتية في البحر الميوسيني(تكوين الرنجا وتكوين جبل الرصاص) .

-مع بداية عصر البلايوسين تراجع البحر المتوسط ناحية الشمال وبلغت جبال البحر الأحمر أقصى ارتفاع لها حيث استطاعت عوامل التعرية المختلفة إزالة جميع الرواسب الكريتاسية(الحجر الرملي النوبي وتكوين طارف) من فوق القمم الجبلية النارية.

-مع نهاية عصر البلايوسين وبداية عصر البلايوستوسين حدث تذبذب في مستوى سطح البحر ظهرت على أثره مجموعة من الشواطئ القديمة والشعاب المرجانية فوق سطح البحر، كما انعكست هذه التذبذبات في نوع وطبيعة رواسب البليوستوسين ومن ثم تعدد أشكال السطح المرتبطة بها.

-خلال عصر الهولوسين سادت ظروف الجفاف واستقرت معظم الأشكال الجيومورفولوجية حيث أرسبت الإرسابات الرملية التي تملأ بطون الأودية بالإضافة إلى مخلفات عمليات التجوية ونواتج السيول وبسيادة عمليات التعرية أخذت المنطقة شكلها الحالي.

٣-الأحوال المناخية الراهنة ودورها في تشكيل المنطقة.

-من خلال البيانات والتسجيلات المناخية الواردة في محطتي"**القصير** "**ورأس بناس**" في الفترة ما بين (١٩٧٠-٢٠٠٠)،والتي يوضحها جدول (١) وشكلي (٤) ، (٥) يتضح لنا ما يلي:-

-يبلغ متوسط الحرارة العظمى ٢٨.١ ْم في محطة القصير ،٣١.٥ ْم في محطة رأس بناس ، ويلاحظ أن أعلى درجة حرارة عظمى سجلت خلال أشهر يونيو ويوليو وأغسطس ، أما أدنى درجة حرارة فيبلغ متوسطها ٢٠.٦ ْم في محطة القصير ، ١٩.١ ْم في محطة رأس بناس.

جدول(١) ملخص الأحوال المناخية في منطقة الدراسة خلال الفترة من (١٩٧٠-٢٠٠٠).

البيانات المناخية	درجة الحرارة	المطر	متوسط	المتوسط

المحطة	متوسط سنوي	متوسط درجة الحرارة العظمى	متوسط درجة الحرارة الدنيا	المدى الحراري	متوسط سنوي	أكبر كمية مطر سقطت في يوم واحد		الرطوبة النسبية	اليومي لمعدل التبخر
						التاريخ	الكمية بالمليمتر		
القصير	٢٤.٤	٢٨.١	٢٠.٦	٧.٣	٠.٧	٦٧/٢/١٦	٠.٨	٤٩	١٢.٩
رأس بناس	٢٥.٨	٣١.٥	١٩.١	١٢.٤	١.٦	٦٦/١١/٢٤	٦٤	٤٣.١	١٦.٧

ملخص عن بيانات هيئة الأرصاد الجوية

-تكمن أهمية عنصر الحرارة فيما يعرف بالمدى الحراري حيث بلغ المدى الحراري السنوي ٧.٣ ْم في محطة القصير ، و١٢.٤ ْم في محطة رأس بناس وقد سجل شهري يناير وفبراير أعلى مدى حراري بمتوسط ٨.٦ درجة مئوية في محطة القصير ، أما محطة رأس بناس فقد سجل شهر يونيو أكبر مدى حراري بالمحطة وبلغ ١٤.٣ درجة مئوية مما يدل على مدى حراري كبير ينعكس بصورة مباشرة على عمليات التفكك الميكانيكي والانشطار الصخري نتيجة لحدوث عمليات التجوية وخاصة التجوية الفيزيائية، والتي تنشط خلال فصل الصيف وتؤثر بدورها على نشأة الأشكال الجيومورفولوجية بمنطقة الدراسة.

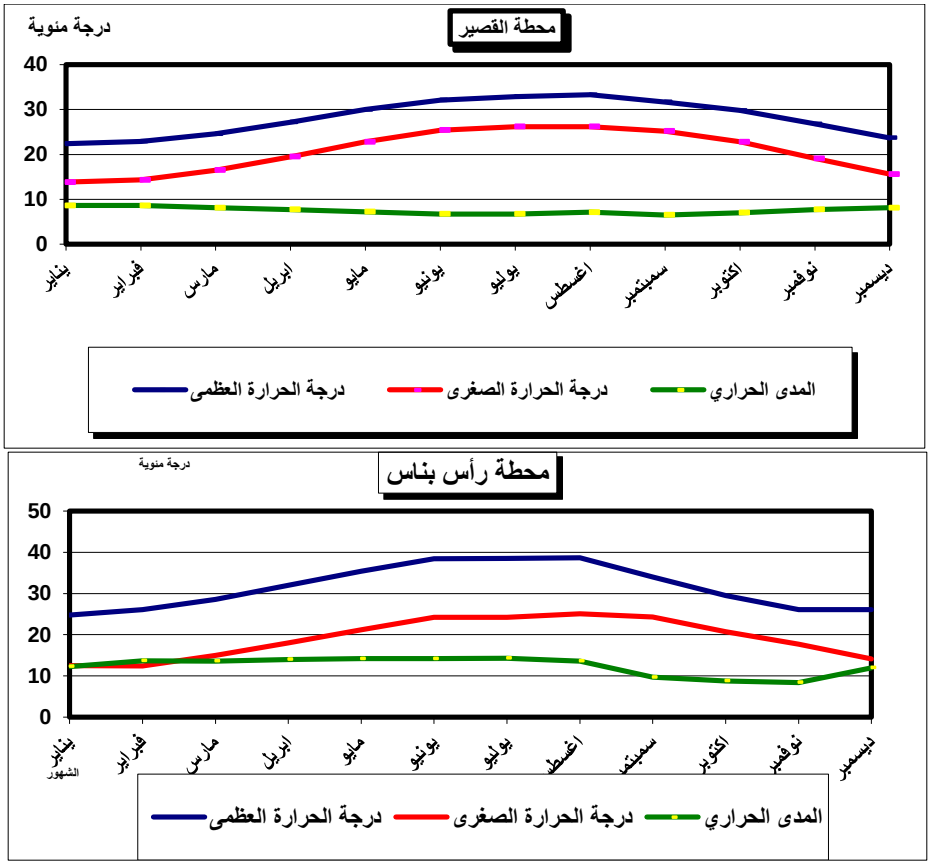

شكل (٤) المتوسط الشهري للحرارة العظمى والصغرى والمدى الحرارى بمحطتي منطقة الدراسة

-يبلغ متوسط المطر السنوي(١.٢ مم) وهو متوسط منخفض للغاية ويشير ذلك إلى ما تعانيه منطقة الدراسة من جفاف شديد باستثناء منطقتي جبل علبة وشنديب والتي لا تخلو من ظاهرة السحب إلا فيما ندر وهي تعد بلا جدال أغزر جهات الصحراء الشرقية أمطاراً (أبو العز،١٩٦٦، ص ٤٥٣).

-يسقط المطر خلال الفترة من شهر أكتوبر حتى شهر ديسمبر و يعتبر شهر نوفمبر أكثر شهور السنة في متوسط كمية المطر المتساقطة، فقد سجلت محطتي القصير ورأس بناس ٢.٥ مم ، ١٣.١ مم على الترتيب.

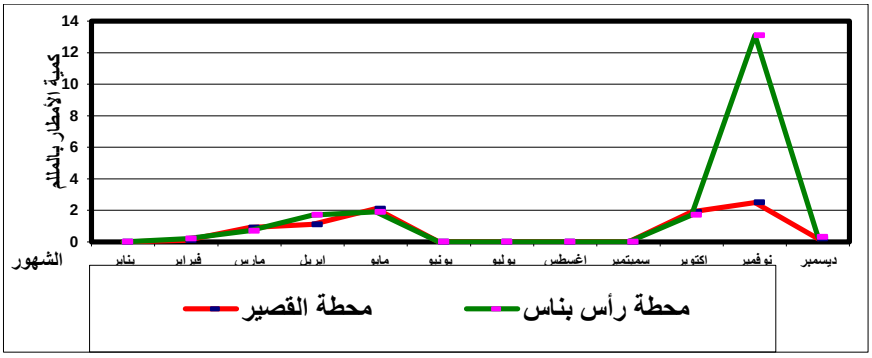

شكل (٥) يوضح كمية الأمطار الساقطة بمنطقة الدراسة.

-تتميز الأمطار الساقطة بعدم انتظامها وتغايرها زمانياً ومكانياً حيث تختلف في سقوطها بصورة كبيرة في توزيعها اليومي أو الفصلي والسنوي مما يزيد من فرص حدوث السيول نتيجة لتفوق قدرة المفتتات على التسرب والتبخر وتساهم هذه السيول بشكل واضح في تعديل ملامح السطح عن طريق عمليتي النحت والإرساب ، كما تساهم الأمطار الساقطة على التجمعات الرملية في نمو بعض الأعشاب الصحراوية لا سيما على الأجزاء السفلية من جوانب الكثبان حيث تزيد كمية المياه بسبب تسربها من رمال الكثبان ، وبالتالي تؤدي هذه الأعشاب إلى زيادة عرض الكثبان الرملية نتيجة تراكم الرمال حولها ، كما تؤدي أيضا إلى بطأ معدل حركتها بسبب تماسك حبيباتها(دسوقي ، ١٩٩٩، ص ص ٢٤٦-٢٤٨).

-تعد الرياح من العناصر المهمة الأكثر تأثيراً في تشكيل مظاهر سطح الأرض ونحت التكوينات الصخرية الضعيفة ، كما تقوم الرياح بتوسيع المسافات البينية بين الفواصل والشقوق وبالتالي تمهد البيئة المناسبة لتقوم المياه الجارية بدورها كعامل تعرية ومن دراسة المعدلات الشهرية لتوزيع النسب المئوية لاتجاهات الرياح في محطتي منطقة الدراسة يلاحظ أن الرياح السائدة طول العام هي الرياح الشمالية والشمالية الغربية،كما أن سرعة الرياح تزيد خلال شهري نوفمبر وديسمبر بمحطة القصير ، في حين يعد شهر

يونيو هو أكثر الشهور سرعة للرياح في محطة رأس بناس، حيث وصلت سرعة الرياح إلى ، ٢٥.٥ كم/ساعة كما في شكل (٦).

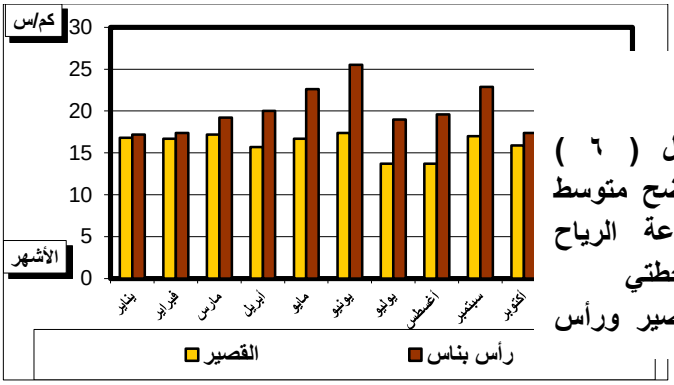

شكل (٦) يوضح متوسط سرعة الرياح بمحطتي القصير ورأس

–والرياح بمنطقة الدراسة ليست لها السيادة وإنما قد تكون أحد العوامل المشكلة لسطح الأرض مع بعض العوامل البحرية القارية الأخرى والتي لها السيادة في منطقة الدراسة ولهذا قامت بدور محدود في عمليات النقل والترسيب وكذلك تكوين النبكات والفرشات الرملية .

–ومن دراسة معدلات الرطوبة النسبية بمنطقة الدراسة يلاحظ أن موسم ارتفاع الرطوبة النسبية يتفق مع سقوط المطر بمحطتي منطقة الدراسة حيث يقترن بانخفاض درجة الحرارة،فالعملياتالجيومورفولوجيةالمتعلقةبالرطوبةكالتجويةالكيميائيةتنشطفيفصل الشتاءحيثأنانخفاضدرجةالحرارةليلاًيساعدعلىتركيز بخار الماء ،وتشبعالهواءببخارالماءوالذييتفاعلبدورهمعمكوناتالصخروثانيأكسيدالكربونمكوناً ناصرجديدةكمايحدثللصخورالجيرية،والتي تعتبر من أكثر أنواع الصخور قابلية للذوبان في المحاليل الكيميائية حيث تحتويعلىكربوناتالكالسيوموالتيتتحولنتيجةلهذهالعمليةإلىبيكربوناتالكالسيومالهشةوتكون قابلةللذوبانفيالماء، وللتذريةبفعلالرياح، فتنشأنتيجةلذلكالعديدمنالملامحالجيومورفولوجية بمنطقة الدراسة،ولا شك أن

شيوع الصخور الجيرية أيضاً في منطقة الدراسة وانكشافها أمام عمليات التجوية المختلفة يجعل منها فريسة سهلة لعمليات التكربن والإذابة و غيرها من عمليات التجوية الكيميائية.

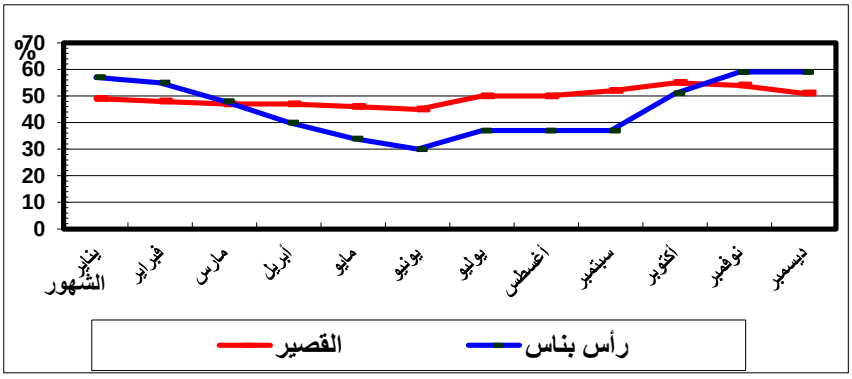

شكل (٧)معدل الرطوبة النسبية بمنطقة الدراسة في الفترة (١٩٧٠-٢٠٠٠).

-كما تشير دراسة معدل التبخر إلى ارتفاع قيمتها في محطتي القصير ورأس بناس خلال شهور يونيو ويوليو وأغسطس شكل(٧)،ويرجع ذلك إلى جفاف الهواء وارتفاع درجة حرارته وانكشاف السطح وخلوه من النبات الطبيعي.

-

وجدأنهناكعلاقةعكسيةبينمعدلاتالتبخروالرطوبةالنسبيةفانخفاضقيمةالرطوبةالنسبيةفيالهواءتؤديإلىارتفاعمعدلاتالتبخروبالتالي زيادة معدل الجفاف ،مما يعمل على تدهور التربة وتعرضها لعمليات التعرية لاسيما التعرية الهوائية والتي يزيد نشاطها عندما يحل الجفاف وبالتالي تكوين العديد من الظاهرات الجيومورفولوجية(محسوب،١٩٩٨،ص ١٠٨).

ثانياً : أشكال السطح الرئيسية بمنطقة الدراسة.

١-الأشكال البنيوية.

أ)-**الكويستا:**-يتألف الشكل العام لهذه الظاهرة من انحدارين أحدهما شديد في اتجاه مضاد أوعكس ميل الطبقات ويسمى باسم الحافة ويتراوح درجة

انحداره مابين ٢٥ ْ-٤٥ْ درجة ،أما الآخر فينحدر انحداراً تدريجياً في اتجاه ميل الطبقات ويتميز بطوله عن الجانب الأول والذي يظاهره ويطلق عليه انحدار ظهر الكويستا(Abu-EL-Einin,H,1966,PP:197:180).

وتتوزع الكويستات في الأجزاء الشرقية لمنطقة الدراسة في نطاق البهادا عند مخارج الأودية؛ خاصة عند مخرج وادي سرمتاي من الحافة الرئيسية ، كما توجد في بعض القطاعات الدنيا للأودية التي تنبع من جبال البحر الأحمر ؛حيث تشكل جوانب أودية عديب وسفيرة وكراف ، ويبلغ سمك الطبقات من متر إلى ٢.٥ متر ويزيد متوسط انحدار الواجهة عن ٢٣ْ درجة ، في حين يبلغ متوسط انحدار ظهر الكويستا ٨.٥ْ لذا فهو انحدار متوسط طبقاً لتصنيف يانج لدرجات الانحدار (Young,1972, p.173).

ويمكن القول بأن الكويستات في منطقة الدراسة نشأت وتطورت نتيجة للحركات التكتونية التي انتابت المنطقة خلال العصور الجيولوجية المختلفة التي مرت بها وبصفة خاصة الأجزاء الشرقية من منطقة الدراسة نظراً لقربها من البحر الأحمر متأثرة بالحركات الأرضية ، بالإضافة إلى عمليات التعرية والتجوية في طبقات صخرية متعاقبة ومتفاوتة الصلابة والمقاومة ، والتي تباينت بين الصلبة واللينة مما عمل على تأكل الطبقات اللينة على منحدر الميل الرواسب ، أما الطبقات الصلبة شكلت واجهات لبعض الكويستات.

ب)-<u>الحافات الصدعية:</u> تتكون نتيجة لرمية الصدع إلى أسفل وإلى أعلى،والذي يؤدي بدوره إلى ظهور القسم الأعلى من سطحه بشكل حافة يختلف ارتفاعها حسب شدة رمية الصدع ويتوقف شدة انحدارها على مقدار زاوية ميل الصدع .

ترجع نشأت الحافات الصدعية بمنطقة الدراسة للحركات الصدعية التي عاصرت تكوين أخدود البحر الأحمر إلى جانب الصدوع التي صاحبت

تداخل صخور الجرانيت الحديث بالمنطقة ، وتتميز هذه الحافات بالاستقامة، وتبدو شديدة الانحدار شبه راسية شديدة التقطع بفعل المجاري المائية كما يتضح من لوحة(٣) ،وتتمثل هذه الظاهرة بوضوح في الحافة الرئيسية شرق منطقة الدراسة والتي تمتد بصفة عامة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي حيث تمثل نطاق مخارج الأودية و قمم المراوح الفيضية .

لوحة(٣)الامتداد الخطى للحافة الصدعية ويلاحظ تقطعها إلى واجهات مثلثيه بفعل التعرية المائية

وتظهر كذلك حافات صدعيه في المناطق العليا لأودية سرمتاي وأوليا وشلال عاصرت تداخل كتلة جرانيت جبل علبة مشكلة فيما بينها مستوى منخفض عملت الأودية على ملئه بالرواسب التي جلبتها من منابعها العليا ، كما تظهر على جوانب الأودية على هيئة حروف كما في أودية كراف والدريرة وباشويا يودر وعديب و اوتمتاب وميركوان .

وتعرضت الحافات الصدعية بمنطقة الدراسة لعمليات التجوية وعوامل التعرية المختلفة وقد ساعد على ذلك ظروف المناخ الجاف الحالى بالإضافة إلى أضعافها بالفواصل والشقوق الموجودة بها إلى جانب نشاط التعرية المائية فتآكلت بعض أجزاءها وتراجعت هذه الحواف ومع استمرار

ونشاط هذه العمليات تراكمت الرواسب عند قاعدتها مكونة بعض الظاهرات أهمها مخاريط الهاشيم والمراوح الفيضية.

٢-أشكال النحت.

أ)- الأودية الجافة:تصب في هذه المنطقة مجموعة من الأودية تنحدر في معظمها من الغرب والجنوب الغربي إلى الشرق والشمال الشرقي ، حيث تبدأ منابعها من الكتلة الجبلية في الغرب باتجاه السهل الساحلى لتصب في البحر الأحمر ، ويبلغ عددها ثمانية عشر وادياً تختلف فيما بينها من حيث الخصائص المورفومترية و المورفولوجية بسبب التباين في الانحدار والخصائص الليثولوجية للصخور ،ولكنها تتفق فيما بينها من حيث صفة جريانها ، وتفيد دراسة أحواض التصريف وشبكاتها في معرفة خصائصها المساحية والشكلية التضاريسية ، كما يمكن من خلالها تحديد أماكن الأخطار الجيومورفولوجية وأنسب الطرق في تنمية منطقة الدراسة.

وقد تم دراسة مساحة هذه الأحواض وأبعادها بالإضافة إلى خصائصها الشكلية والتضاريسية والخصائص المورفولوجية لشبكاتها، فبالنسبة لمساحة الأحواض المختارة فقد بلغت جملة مساحتها ١٠٩٣٦كم٢ وبمتوسط ٦٠٧.٥كم٢ للحوض الواحد ، وبانحراف معياري قدره ٧٣١.١كم، ولذا بلغ معامل التباين١٢٠.٤%، ممايدل على أن هناك تفاوتاً كبيراً للغاية بين هذه الأحواض من حيث النشأة والتشكيل وعمليات النحت المختلفة بها ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل أهمها قلة الانحدارات في الأحواض الكبيرة المساحة والتي ساعدت بدورها على سيطرة النحت الجانبي؛ مما أدى إلى اتساع تلك الأحواض والتي تغذيها المياه ، بالإضافة إلى تباين المرحلة العمرية وتاريخ شبكة التصريف ؛وكذلك الاختلافات الكبيرة بين الأحواض من حيث التكوينات الصخرية المختلفة، أما بالنسبة لأبعاد الأحواض فقد بلغ

متوسط طولها نحو٤٢.٥٥كم،وبلغ متوسط اتساعها نحو١٢.٩كم ،في حين بلغ متوسط محيطها نحو١٢٨.٩كم ، ويتضح من الشكل(٨) أن هناك علاقة طردية بين المساحة ومتوسط عرض الأحواض حيث بلغ معامل الارتباط (+٠.٦٥٥) مما يعني أن زيادة العرض يرافقها زيادة في المساحة ، أما مع الطول فكانت العلاقة الارتباطيةقويةحيثبلغ معامل الارتباط حوالي (+٠.٨٩٠)فالأحواض القصيرة الطول تكون صغيرة المساحة ، وأن الأحواض كبيرة المساحة تكون كبيرة الطول وهذاله علاقة قوية بعمليات الجريان السطحي فالأحواض القصيرة الطول تساعد على حدوث جريان سطحي ووصوله إلى مخارج الأحواض في فترة زمنية قصيرة فقصر المسافة مما يؤدي إلى قلة التبخر والتسرب وعلى العكس من الأحواض الكبيرة الطول(خضر،١٩٩٧، ص٣٢٧).

أما أشكال الأحواض المائية فتقارن بأشكال هندسية تتراوح ما بين الشكل المستدير والمستطيل والمثلث ، ويمكن الاستفادة من دراستها في تفسير وتوضيح التطور الجيومورفولوجي لأحواض التصريف وأثر جميع المتغيرات الجيومورفولوجية والبيئية في تحديد اتجاه تطور هذه الأحواض(سلامة، ١٩٨٢، ص٥) .

ويشير معدل الاستدارة [١]إلى نسبة تقارب أو تباعد شكل الحوض من الشكل الدائري المنتظم(Huggett,H,J,2003,P.32)،وأن القيم المرتفعة تعني وجود أحواض مائية مستديرة الشكل،في حين تعني القيم المنخفضة عدم الانتظام وميل الحوض إلى تعرج خطوط تقسيم المياه المحيطة به

---

[١]حيث تتخذ المعادلة الشكل التالي:- **C=4JIA/P2**

حيث C:معامل الاستدارة **4ЛA : ٤ ط × مساحة الحوض**

P2:مربع محيط الحوض(كم) **(Gregory,K&Walling,D;1976,P.51)**

والمحددة لـه مما يؤثر على طول المجاري المائية وقد بلغ المتوسط العام لمعدل الاستدارة في أحواض التصريف بالمنطقة فيصل إلى٠.٤١٩،كما تدل قيم الانحراف المعياري٠.١٦٩،ومعامل الاختلاف٤٠.٣%على وجود اختلافات قليلة بين الأحواض نتيجة لاختلاف خصائص الصخور الليثولوجية،ويلاحظ وجود علاقة عكسية ضعيفة بين معدل استدارة الأحواض ومساحتها بلغت قيمتها (-٠.٣٣٠).

أما استطالة الأحواض[٢] فتصف امتداد مساحة الأحواض مقارنة إياها بالشكل المستطيل فترتفع هذه النسبة في الأحواض الطويلة،بينما تقل في الأحواض التي يبتعد شكلها عن الشكل المستطيل، ويختلف فيها عرضها مع امتدادها الطولي،وتؤثر أطوال المجاري المائية وعددها على إستطالة الأحواض؛خاصة التي تنتمي إلى الرتب الدنيامنها وكذلك المجاري الرئيسية فيها،إذ تميل مجاري الرتب الدنيا إلى زيادة أطوالها وتقليل عددها في حالة انخفاض نسبة الاستطالة،في حين تقلل من أطوال الرتب الدنيا ؛وتزيد من أعدادها ومن أطوال المجارى الرئيسية مع ارتفاع نسبة الاستطالة ؛مما يعمل على تناقص حمولة المياه من الرواسب بسبب طول المسافة التي تقطعها هذه المجاري،وما ينتج عنها من تسرب وتبخر في مياهها ؛وبالنظر إلى أحواض التصريف بالمنطقة يلاحظ أنها تميل إلى الاستطالة أكثر منها إلى الاستدارة،حيث بلغ المتوسط العام لمعدل الاستطالة ٠.٥٩٠ويرجع ذلك إلى سيادة النحت الرأسي عند روافدها العليا وتأثرها بالفواصل والشقوق.

---

[٢] وتتخذ معادلة معامل الاستطالة الشكل التالي:- $E = D/L_m$

حيث أن E :معامل الاستطالة ، D:قطر دائرة لها نفس مساحة الحوض (كم ٢)

L_m: أقصى طول للحوض.(Pitty, A, F, 1982, P36)

أما بالنسبة لمعامل الشكل[1] فقد بلغ المتوسط العام ٠.٢٨٩ وهي قيمة مرتفعة تشير إلى كبر مساحة الحوض على حساب طوله وبالتالي اقتراب أحواض المنطقة من الشكل المربع، ويلاحظ وجود علاقة طردية بين معامل الشكل الأحواض ومعدل استطالة الأحواض بلغت (+٠.٩٩١) مما يدل على أن كلما زادت قيم معامل شكل الأحواض زادت معدل استطالتها والعكس.

ويوضح الجدول(٢)الخصائص المورفولوجية لشبكات التصريف بأحواض التصريف النهري بمنطقة الدراسة ويظهر من دراستها أن المتوسط العام لكثافة التصريف[2][1]بالمنطقة ٢.٤٠ كم/كم ٢وهي كثافة منخفضة مقارنة بمتوسط كثافة التصريف في مناطق أخرى تم دراستها مثل متوسط كثافة التصريف في منطقة الغردقة والذي يصل إلى ٣.٢٣كم/كم٢(محمود، ١٩٩٣،ص٧٤)ومتوسط كثافة التصريف في حوض وادى العريش والذي يصل إلى٥كم/ كم٢(صالح،١٩٨٥،ص١١١)،وحوض وادى الرشراش والذي يصل متوسط كثافة التصريف به إلى ٨كم/كم٢(عاشور،١٩٩٠،ص٤٦)،وربما يرجع هذا الاختلاف إلى التباين في الخصائص المورفومترية لشبكات التصريف من منطقة لأخرى ومن حوض لآخر،وذلك تبعاً للتباين في خصائص السطح والمرحلة العمرية والخصائص الهيدرولوجية.

---

[1] تتخذ المعادلة الشكل التالي:- $F = A/L$

حيث F:معامل الشكل A:مساحة الحوض (كم٢)

L2 : مربع طول الحوض(Ritter &et-al , 1995, P .54)

[2] تتخذ المعادلة الشكل التالي:- $Da = \sum L/A$

حيث Da:كثافة التصريف كم/كم٢ $\sum L$:مجموع أطوال المجاري المائية كم.

A:مساحة الحوض (كم ٢) (Goudie.A,et-al,1981,p.53)

جدول (٢) خصائص أحواض التصريف وشبكات المجاري بمنطقة الدراسة.

الاتجاه الأحواض	مساحة الحوض	طول الحوض	عرض الحوض	محيط الحوض	معدل الاستدارة	معدل الاستطالة	معامل الشكل	أعداد المجاري	أطوال المجاري	معدل بقاء المجاري	كثافة التصريف
صغيرة	٥٩٧	٥١	١٤.٥	١٤٩	٠.٣٩٩	٠.٥٤١	٠.٢٣٠	٧٩٦	١٢١١	٠.٤٩	٢.٠٢
شاب	١٢٦٨	٦٦.٥	١٨	١٨٩	٠.٤٤٩	٠.٦٠٤	٠.٢٨٧	١٩٨٥	٢٦٢٥	٠.٤٨	٢.٠٧
أبيب	٢٠١٣	٩١	٣٢	٣١٢	٠.٢٦٢	٠.٥٥٦	٠.٢٤٣	٣٤٤٠	٣٩١٢	٠.٥١	١.٩٤
ميسة	١٦٤١	٦٦	٢٣	٢٢٤	٠.٤١٣	٠.٦٩٢	٠.٣٧٧	٢١٢٤	٢٤٤٣	٠.٦٧	١.٤٩
كراف	٢٤١٢	٨٧.٥	١٧	٣٠٢	٠.٣٣٤	٠.٦٣٣	٠.٣١٥	٢١٤٥	١٩٦٧	١.٢٣	٠.٨٢
الدريرة	٨٩٨	٨٩	٤٥	٢٥١	٠.١٨٠	٠.٣٨٠	٠.١١٣	٣٢١١	٣٨٨٧	٠.٢٣	٤.٣٢
كوان	٢١٧	٣٥	٦.٥	١٠٦	٠.٢٤٤	٠.٤٧٥	٠.١٧٧	٣٧٦	٥٦٩	٠.٣٨	٢.٦٢
بلشويا	١٩٣	٢٣	٨	٦٣	٠.٦١٤	٠.٦٨٢	٠.٣٦٥	٣٣٥	٧٨٨	٠.٢٤	٤.٠٨
بوابر	٢٧٣	٤١.٥	٦.٥	١١٣	٠.٢٧٠	٠.٤٤٩	٠.١٥٩	٥٥١	٦٢٣	٠.٤٤	٢.٢٨
عديب	١٦٢	٢٦	٧.٢	٦٠.٥	٠.٥٥٩	٠.٥٥٣	٠.٢٤٠	٢٨٦	٣٩٢	٠.٤١	٢.٤٢
اوتمتاب	١٧٦	١٨	٨.٥	٦٢.٥	٠.٥٧٠	٠.٨٣٢	٠.٥٤٣	٢٧٦	٤٨٢	٠.٣٧	٢.٧٤
ميركوان	١٥٣	٢٤	٤.٥	٧٣	٠.٣٦٣	٠.٥٨٢	٠.٢٦٦	٣٦٣	٣٩٤	٠.٣٩	٢.٥٧
سرمتاي	٢١٨	٣٩.٥	١٠.٥	١١٤	٠.٢١٢	٠.٤٢٢	٠.١٤٠	٦٤٤	٧٢١	٠.٣٠	٣.٣٠
اولبا	٨٥	١٥	٣.٥	٣٨	٠.٧٤٤	٠.٦٩٤	٠.٣٧٨	١٩٢	٢١٩	٠.٣٨	٢.٥٧
شلال	١٨٣	٣١	٨.٥	٨٤.٥	٠.٣٢٣	٠.٤٩٣	٠.١٩٠	٣٦٩	٤٣١	٠.٤٢	٢.٣٦
القهوق	١٣٥	٢٤	٩.٢	٦٧.٥	٠.٣٧٤	٠.٥٤٦	٠.٢٣٤	٣٠٤	٢٩٦	٠.٤٥	٢.١٩
أي كوان	١١٤	٢٠.٥	٥.٦	٥٢.٥	٠.٥٢٢	٠.٥٨٨	٠.٢٧١	٤١٢	٣٠٢	٠.٣٨	٢.٦٥
حفربة	١٩٨	١٧.٤	٤.٥	٥٨.٥	٠.٧١٣	٠.٩١٣	٠.٦٥٤	٤٤١	٥٤١	١.٢٨	٠.٧٧
المتوسط	١٠٩٣٦	٤٢.٦	١٢.٩	١٢٨.٩	٠.٤١٩	٠.٥٩	٠.٢٨٩	٩٩٢	١١٨٤	٠.٥٠	٢.٤٠

المصدر :الخرائط الطبوغرافية ١/١٠٠,٠٠٠ ، والخرائط الطبوغرافية ١/٥٠,٠٠٠ ،والصور الفضائية ١/١٠٠,٠٠٠

ومن الملاحظ أن هناك اختلاف بين أحواض التصريف في المناطق المقارنة وأحواض التصريف بمنطقة الدراسة ؛من حيث كثافة التصريف حيث يتحكم فيها مجموعة من العوامل منها الظروف المناخية وخصائص المساحيةللأحواض وكذلك نوع الصخر والتربة ؛والتي تحدد مدى مقاومة سطح الحوض لعمليات النحت. أما بالنسبة لمعدل بقاء المجاري(١)فقد بلغ المتوسط العام لمعدل بقاء المجاري بأحواض التصريف بالمنطقة ٠.٥٠وهي قيمة كبيرة إذا ما قورنت بمناطق أخرى تم دراستها ،فقد بلغ معدل بقاء المجاري بالمنطقة الممتدة بين القصير ومرسى أم غيج ٠.١٦٨كم٢/كم(أبوريه، ٢٠٠٧،ص٩١)، وفى حوض وادى كلابشة٠.٣٥كم٢/ كم (الدسوقي،٢٠٠٠،ص١٤) وفى حوض وادي قصيب

(١) تتخذ المعادلة الشكل التالي:- $M = 1/D$

حيث أن: M:معدل بقاء المجرى كم٢/كم

D:كثافة التصريف كم/كم٢ (Schumm,S.A,1956,p.607)

٠.٢٥ كـم٢/ كـم (تـراب ، ١٩٩٧،ص٢٧٣)، وتـدل القـيم المرتفعـة لهـذا المقياس على اتساع المساحة الحوضية على حساب مجاري الشبكة بهذا الحوض وبالتالي تقل قيمة كثافتها التصريفية وهذا ما توضحه العلاقة الأرتباطية العكسية والتي بلغت قيمتها –٨٤٨ والتي يوضحها شكل (٨).

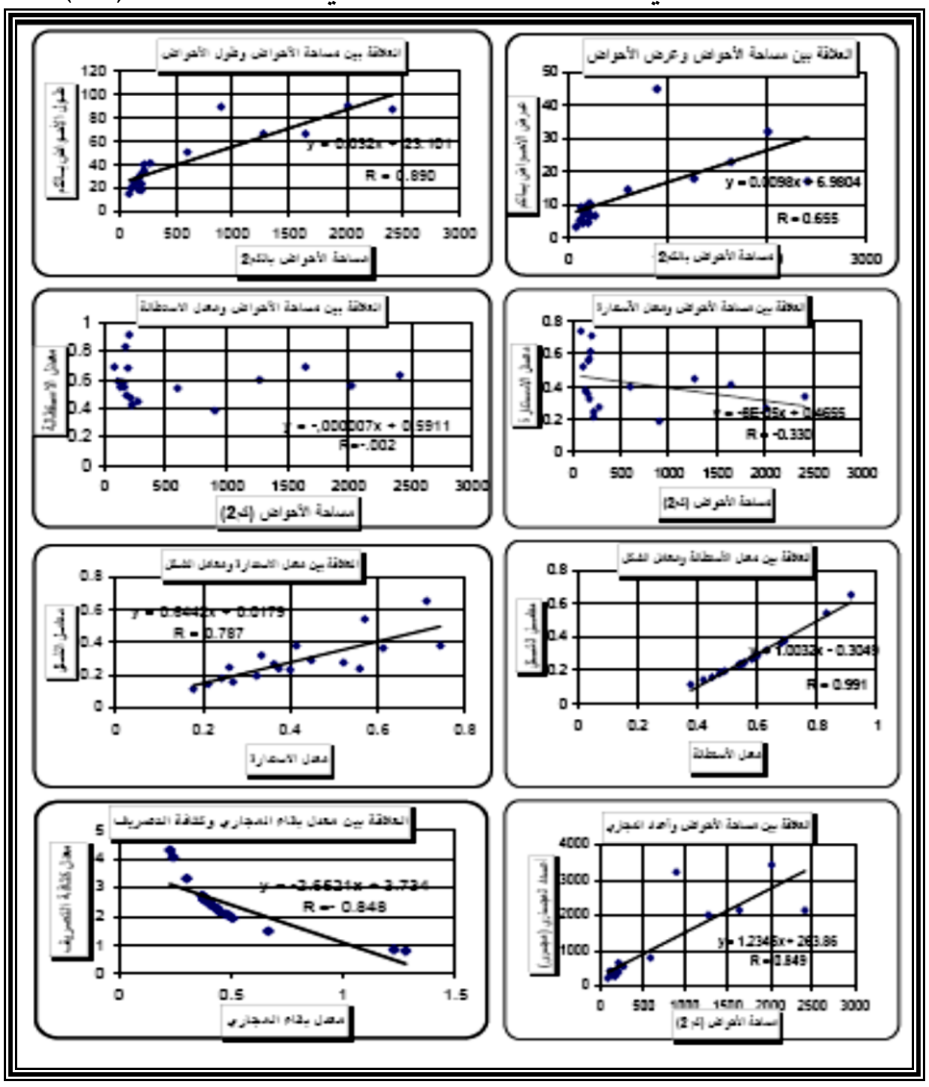

شكل(٨) العلاقة الارتباطية بين الخصائص المورفومترية لأحواضالتصريف بمنطقة الدراسة

وتعكس المجاري والأودية بشبكة التصريف بمنطقة الدراسة أنماطاً مختلفة،تتعدد وتتباين أشكالها ،تبعاً لتباين التكوينات الجيولوجية وخصائص الصخر ،وسمات الانحدار ،والحركات الأرضية التي تعرضت لها المنطقة ، وطبيعة الجريان والحمولة ، ويمكن تمييز أربعة أنماط أساسية ، النمط الأول منها هو النمط الشجري ويتمثل في أودية سفيرة وابيب وسرمتاي،كما ترتبط معظم المراوح الفيضية الكبيرة المساحة مثل مراوح أودية سفيرة وشاب وكراف والدريرة بالمنطقة بنمط تصريف شجري ، أما النمط الثاني فهو النمط المتوازي ويتركز هذا النمط في أودية كراف وشلال ودعيت ، في حين يتمثل النمط الثالث في النمط الإشعاعي ويظهر فوق القمم الجبلية حيث تتشعب الروافد من أعلى إلى أسفل (Thornbury.D, 1984, P.123) ويتمثل في منطقة جبل مشبح وجبل علبة.أما النمط الرابع فهو النمط الحلقي ويظهر هذا النمط بوضوح في أودية سرمتاي وأوليا وشلال.

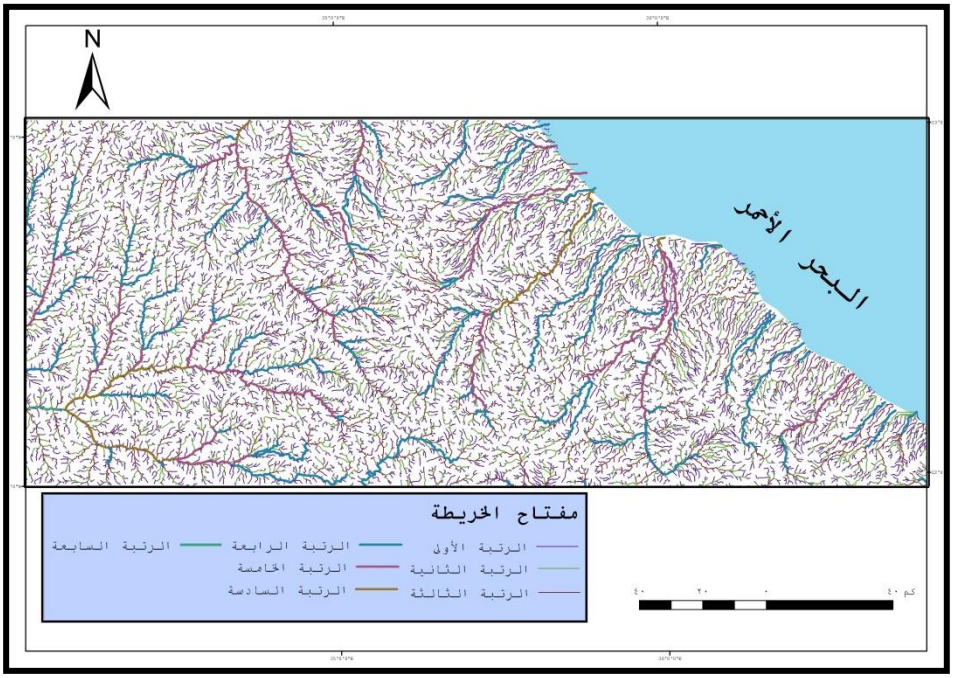

شكل(٢) يوضح الأودية الجافة بمنطقة الدراسة.

ب)-التلال المنعزلة:-تنتشر التلال المنعزلة بمنطقة الدراسة ، وتختلف أشكالها تبعاً لنشأتها فبعضها ذو نشأة تكتو نية نتيجة لحركات التصدع التي أصابت منطقة الدراسة مثل تل أم ايربا والذي يقع عند المنحدر الشمالي الشرقي لجبل شلال ، وتل ادراميت إلى جنوب وادي أي كوان بالإضافة إلى تل سرمتاي والذي يبلغ طوله ٢كم ، وأقصى عرض له ٠.٥ كم ويبلغ ارتفاعه ٨٩ متر فوق مستوى السطح المحلي ، بالإضافة إلى مجموعة من التلال المنعزلة بمنطقة جبل علبة؛ ومعظم هذه التلال تتميز باستواء قمتها وشدة انحدار جوانبها ، وتأخذ منحدرات بعض هذه التلال الشكل السلمي حيث تتابع الطبقات الصخرية الصلبة والهشة مثل التلال الموجود في النطاق الأوسط لوادي سرمتاي.

وهناك مجموعة من التلال المنعزلة التي نشأت بفعل نحت المياه الجارية وهذا النوع من التلال يوجد في أجزاء عديدة من منطقة الدراسة وقد تكون هذه التلال فردية كما هوالحال عند مصب وادي كراف أو قد تكون في شكل مجوعات كما هو في التلال الموجودة بمنطقة جبل علبة لوحة(٤).

لوحة(٤)تلال منعزلة في منطقة جبل علبة ويلاحظ نمو الأعشاب الطبيعية والتي تستخدمكمراعي

وتتـألف هـذه الـتلال مـن الحجـر الرملـي النـوبي وتـدخلات مـن الطمـي والصلصال ويغطى سطحها طبقات هشة من الرمال والحصى والحصباء ، ويتراوح أطوالها بين ١-٦كم وعرضها ما بين ٣٠٠ متر -٣كم في حين يتراوح ارتفاعها ما بين ٢٥ متر -٢١٠ متر.

كما تنتشر بعض التلال الصغيرة بين مصبي وادي سفيرة وشاب ؛وقد يرجع صغر هذه التلال إلى عمليات النحت الهوائي التي سادت المنطقة مع حلول فترة الجفاف الحالية؛ بالإضافة إلى عمليات التجوية وخاصة الكيميائية وسقوط الأمطار والتي لعبت دوراً هاماً في زيادة تآكلها وتقلص أحجامها.

ج)-اليـاردنج: تمثل شكلاً من الأشكال الجيومورفولوجية للصحاري والتي تكونت في صخور لينة قد صقلتها الرياح،وأول من وصفها وأطلق عليها هذا المفهوم هو سفن هيدن Hedin Sevenعام ١٩٠٣ في صحراء تكلامكان في وسط آسيا (Warren, A& Livingstone, I ,1996,P.33).

وتتوزع هذه الظاهرة بمنطقة الدراسة في شكل كتل صخرية متناثرة كالجزر فوق الأسطح شبه المستوية المحيطة بها وبشكل يمتد من الغرب إلى الشرق وبمحاور جنوبية غربية -شمالية شرقية.

ويتضح من الجدول (٣) أن اليارندنج بمنطقة الدراسة تتفاوت في أطوالها حيث تتراوح بين ١.٥ م، ٧.٥ م بقيمة متوسطة ٤.٦٤ م ، لذلك تبلغ قيمة الانحراف المعياري ٢.٣٢ ، وتبلغ قيمة معامل الاختلاف ٥٠% والتي تعكس وجود تبايناً واضحاً بين أطوال اليارندنج ، أما اتساع اليارندنج فأنه يتراوح بين ١.١ م ، ٤.٢م وقيمة متوسطة ٢.٦٤ م، كما تتميز اليارندنج بمنطقة الدراسة بالانخفاض الواضح في ارتفاعها حيث وصل أقل ارتفاع إلى ٠.٣من المتر ، وأكبر ارتفاع ١.٥م مما يدل على وجود تباين واضح في

ارتفاعاتها، وهذا ما يوضحه معامل الاختلاف البالغ ٥٣.٤%، وهذا يدل على شدة انحدار ظاهرة الياردنج بالمنطقة واقترابها من مرحلة الشيخوخة.

وتتميز الياردنج بمنطقة الدراسة بصغر مساحتها حيث تراوحت مساحتها[١] بين ١.٦٥ م٢، ٣١.٥ م٢وبحساب المتوسط العام لمساحات الظاهرة لجملة الحالات التي تم دراستها وجد انه ١٤.١٧م٢ وهو قيمة تبدو صغيرة نسبياً بلغ الانحراف المعياري للمساحات يبلغ ١١.١٨ بمعامل الاختلاف يبلغ ٧٨.٩% والذي يعكس التفاوت الواضح في مساحات الياردنج بالمنطقة.

جدول(٣)الخصائص المورفومترية للياردنج بمنطقة الدراسة

م	الطول بالمتر	متوسط العرض بالمتر	الارتفاع بالمتر	معامل الشكل	المساحة بالمتر٢	درجة انحدار الواجهة	درجة انحدار الذيل	درجة انحدار الظهر
١	٦.١٢	٢.٥	١.٥	٠.٤١	١٥.٣	٢٣	١١	٣ ْ
٢	٧.٥	٤.٢	٠.٨	٠.٥٦	٣١.٥	٥٤	٢٣	١٢ ْ
٣	٣.٥	٢.٢	١.١	٠.٦٣	٧.٧	٦٦	٣١	١٦ ْ
٤	١.٥	١.١	٠.٦	٠.٧٣	١.٦٥	٤١	١٩	٤ ْ
٥	٤.٦	٣.٢	٠.٣	٠.٦٩	١٤.٧٢	٢٨	٢٨	٥ ْ
المتوسط	٤.٦٤	٢.٦٤	٠.٨٦	٠.٦٤	١٤.١٧	٤٢.٤	٢٢.٤	٨ ْ
أ.معياري	٢.٣٢	١.١٥	٠.٤٦	٠.١٣	١١.١٨	١٧.٩	٧.٩	٥.٧
م .الاختلاف	٥٠%	٤٣.٥%	٥٣.٤%	٢٠.٣%	٧٨.٩%	٤٢.٢%	٣٥.٣%	٧١.٣%

المصدر :الدراسة الميدانية والخرائط الطبوغرافية ١/٥٠.٠٠٠.

وبلغ متوسط انحدار الواجهة حوالي ٤٢.٤ ْ وقد تراوحت درجة انحدارها بين ٢٣ ْ ، ٦٦ ْ ويدل معامل الاختلاف البالغ ٤٢.٢% على وجود تباين واضح بين القيم ، في حين بلغ متوسط انحدار الذيل ٢٢.٤ ْ وتراوحت القيم بين ١١ ْ ، ٣ ْ وبلغ معامل الاختلاف ٣٥.٣% مما يدل على وجود تباين بين هذه القيم ، ويتميز سطح الياردنج بانحداره في اتجاه منصرف الرياح والذي يمثل ظهر الياردنج، حيث تراوحت درجة انحداره بين ٣ ْ درجات ، ١٦ ْ درجة،

[١] مساحة الياردنج =طول الياردنج × متوسط العرض (التركماني،١٩٩٨، ص ١١٦)

وقيمة متوسطة٨ْ درجات وهي قيمة متوسطة تعكس اعتدال الانحدار بشكل عام ، ويبلغ الانحراف المعياري ٥.٧ْ ، لذا فإن معامل الاختلاف يمثل ٧١.٣%وهو اختلاف كبير يدل على تباين عمليات البري لأسطح الياردنج المختلفة و تباين الأنواع الصخرية المكونة للياردنج(التركماني،١٩٩٧، ص ١٤٩).

أما بالنسبة لمعامل شكل الياردنج (العرض / الطول) فيزيد معدله بمنطقة الدراسة حيث يزيد طول الياردنج فيقل بذلك العرض مقارنة بالطول (اكبر من ١ : ٤)[١] وبالتالي يزيد معامل الشكل ويدل هذا على تأثير الهيئة الانسيابية السائدة والتي تقلل بدورها من اتساع الشكل بسبب عملية النحت.

أما عن نشأة الياردنج فهناك العديد من العوامل التي ساهمت في نشأة الياردنج بمنطقة الدراسة متمثلة في العامل الصخري و عامل البنية الجيولوجية حيث ترتبط ظاهرة الياردنج باتجاهات بنائية متقاطعة توجد في وحدة جيولوجية أو أكثر خاصة الفواصل والشقوق التي قد تساعد على التجوية الميكانيكية كما تعرضت للحركات التكتونية التي انتابت المنطقة خلال العصور الجيولوجية المختلفة والتي مرت بها بداية من العصر الكريتاسي إلى العصر الحديث(الهولوسين)، أما العامل المناخي متمثلاً في عنصر الرياح فكان له أثر كبير في نشأة الياردنج بالمنطقة ، فالرياحتساهم في تشكيل ظاهرة الياردنج بتركز النحت في ظهر الياردنج ؛وسرعان ما يحدث للرياح نوع من الاضطراب بعد عبورها قمة الياردنج يجعلها تأخذ اتجاهات تمثل تدفقاً بينياً حيث أن هناك ثلاث تيارات ريحية عرفت بالتدفق

---

[١] إذا كان معامل شكل الياردنج (العرض /الطول) اكبر من ١ : ٤ فإن هذا يدل على تأثير الهيئة الانسيابية السائدة والتي تقلل من اتساع الشكل بسبب عملية النحت وإذا كان أقل من ١ : ٤ فإن فاعلية التأثير السائدة للهيئة لانسيابية سوف تقلل من طول الشكل(التركماني، ١٩٩٧، ص ١٤٨)

البينيInterfacial flow وهي المسئولة عن نشأة وتشكيل الياردنج أولها تيار التدفق الإيجابي وهو المسئول عن نحت مقدمة الياردنج وثانيها تيار التدفق السلبي وهو المسئول عن النحت السفلي لجوانب الياردنج وثالثها نطاق الحركة الدوامية والذي يؤثر في الجزء الخلفيأو الجزء الواقع في ظل الرياح والذي يمكن تسميته بذيل الياردنج(Breed&et-al ,1989, p.302)، كما ساهم عامل الجاذبية بشكل كبير في نشأة الياردنج بمنطقة الدراسة من خلال نحت الأجزاء الدنيا منها بفعل مشترك مع مياه الأمطار المتسربة عبر الشقوق فتنزلق الكتلة في حال اتساع شقوقها وبالتالي شدة انحدار سطح الانفصام (سلوم، ٢٠٠١ ، ص٧٨) وقد تملأ الكتل المنهارة الحفرة الأمامية وأحياناً تتكدس على سطح الأرض فتشكل حواجز تحمي ماوراءها من كتلة الياردنج من تأثير عامل الرياح.

الأشكال الارسابية.

أ)-الدالات الفيضية :- من أهم الظاهرات الإرسابية بمنطقة الدراسة وتنشأ نتيجة لحدوث تغيرات في طبيعة الجريان السطحي ، حيث تنبثق المياه الجارية والمتجمعة من مناطق تصريف تتميز بوضوح انحدارها من مخرج ضيق إلى منطقة مفتوحة ، فتهبط سرعتها فجأة وتقل قدرتها على حمل الإرسابات ،فتتشعب نتيجة لذلك مجاريها في اتجاهات متعددة ذات نمط توزيعي إشعاعي ، ثم تنساب المياه في مجاري ضحلة في منطقة رأس الدلتا وتكون هنا مضفرة ، وتمتد الدالات الفيضية بمنطقة الدراسة على هيئة نطاق غير منتظم فيما بين السهل الساحلي في الشرق، وأقدام الحافة الجبلية في الغرب، ويتراوح عرضه بين ٦كم ، ١٥ كم إذ يضيق هذا النطاق عند دالات الأودية الصغيرة كما هو الحال عند أودية (أوليا ،وأي كوان ،وشلال ،وحدربة)، ويتسع عندما تزداد مساحة الأودية وتبتعد الحافة الجبلية عن

السهل الساحلي وتتقدم الدالات ناحية الشرق على حساب السهل الساحلي كم هو الحال عند دالات أودية (سفيرة ،وشاب ،وايبب ،وميسبة ،وكراف).

وقد اتضح للباحث من خلال دراسة الخريطة الجيومورفولوجية لمنطقة الدراسة ومن خلال دراسة صور بعض الأقمار الصناعية ، ومن خلال الدراسات الميدانية أن سطح هذه الدالات يتميز بالانحدارات اللطيفة حيث تتراوح درجة انحداره بين صفر ، ٦ْ درجات، وبالرغم من ذلك فقد لوحظ تقطع أسطحها سواء بالمجاري الرئيسية للأودية المُكوّنة لها، أو بواسطة عدد من المسيلات والمجاري المائية التي تنبع من المناطق المحيطة بها أو التي تتكون أثناء الجريان السيلي، كما أن مجاري الأودية في نطاق الدالات الفيضية تعمق وتُعدل مجاريها بين الحين والآخر.

وتتباين مساحة الدالات الفيضية بالمنطقة حيث تتراوح مساحتها ما بين ١.١كم٢ في دلتا وادي أوليا أصغر أحواض منطقة الدراسة مساحة ٤٨٢.٥كم٢ في دلتا وادي كراف أكبر الأحواض مساحة،حيث تشير بعض الدراسات(Denny,C.S, 1965, P.15) & (Bull, W, 1977, P.246) إلى أن مساحة الدالات الفيضية تتناسب طرديًا غالبًا مع مساحة المنطقة المصدرة لرواسبها (أحواض التصريف بمنطقة الدراسة).

وتتكون الرواسب السطحية للدالات من مفتتات من الصخور الجيرية ومحتوياتها وهي عبارة عن خليط من الرواسب الخشنة والناعمة ألقت بها الأودية من منابعها العليا والمنحدرات المجاورة لها وتتدرج أحجام الرواسب ما بين دقيقة وصغيرة وبين مستديرة الزوايا حملتها المياه في فترات جريانها،وبين كتل جلاميدية مزواة وتفتقر إلى التصنيف والطباقية،تفككت بعد انتهاء فترات المطر وحلول الجفاف بالتجوية الميكانيكية ،وانفصلت عن صخر الأساس في الحافة،وسقطت لتتراكم على الناعمة وتخفيها أسفلها.

شكل(١٠) يوضح دلتا وادي كراف

ب)-المصاطب:-من الظاهرات الجيومورفولوجية الخاصة بالتعرية النهرية حيث تظهر على جوانب الأودية في شكل تتابعات ، وغالباً ما تظهر على جانب واحد وهو الجانب المحدب ، وتوجد المصاطب بمنطقة الدراسة في الجزأين الأوسط والأعلى من الأودية على شكل شرائح من الرواسب على مناسيب مختلفة وهي ٦٠م ، ٤٥م ، ٣٠ م ، ١٥م ، ٩ م، ٣ م والتي نتجت عن تعميق الأودية لمجاريها نتيجة تأثرها بتذبذب مستوى البحر لما طرأ عليه من تغيرات خلال الزمن الرابع،ويختلف ظهور المصاطب على جوانب الأودية حيث تعتبر مصطبة ١٥ ، مصطبة ٩من أكثر المصاطب انتشاراً بالمنطقة إلا أنها اصغر في مساحاتها مقارنة بالمصاطب السابقة، وتغطى سطوح هذه المصاطب بطبقة مفككة في حجم الحصى والحصباء وتتميز بأنها مشطوفة أو حادة الزوايا وذلك نتيجة لتعرضها لعمليات التجوية المختلفة.

ج)-النباك الرملية:هي شكل من أشكال التراكمات الرملية التي كونتها الرياح خلف أو حول العوائق الثابتة(خاصة النباتات الطبيعية) ، حيث تمثل النباتات الطبيعية المتناثرة في الصحاري عقبة أمام جرف الرياح للرواسب الرملية ، مما تؤدي إلى ارساب الرمال حول هذه النباتات وتكوين ظاهرة النباك الرملية كما لوحة (٥)، وتتوزع النباك بمنطقة الدراسة فوق مساحات متفاوتة من السهل الساحلي وتمتد محاورها بموازاة خط الشاطئ كما فوق

المراوح الفيضية (مراوح أودية سفيرة، شاب، وكراف وابيب وميسبة)، وفي بطون بعض الأودية (تسُجل بأرضية واديعديب وبأرضية وادي سرمتاي) ، هذا بالإضافة لمعظم الأودية الصغيرة بالقرب من مصباتها.

وتم قياس إبعاد النباك من الحقل مباشرة حيث تم قياس مجموعة من الأبعاد المختلفة(الطول–العرض–الارتفاع–والانحدار الأمامي والخلفي)لإحدى عشرة نبكة،وقد تم تحليل البيانات إحصائيا شمل أدنى قيمة وأقصى قيمة والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الالتواء لكل متغير ، كما يتضح من الجدول (٥)،وقد تراوحت أطوال النباك بين ٢.٥ متر، ١٩.٤متر وبمتوسط ٩.٣٧متر،وانحراف معياري ٥.١٥ م ،ولذا يبلغ معامل الاختلاف نحو ٥٥%وهي نسبة تعكس التباين الواضح بين أطوال النباك، ويرجع ذلك

لوحة (٥) أحدى النباك عند مصب وادي سفيرة.

إلى زيادة أطوال النباك بالقرب من خط الساحل مقارنة بالنباك الموجودة في مصبات الأودية وفوق أسطح المراوح والتي تتميز بصغر أحجامها وقصر أطوالها ،بينما يتراوح عرض النباك ما بين ٣.٥متر، ٩.٥متر وبمتوسط قدره ٥.٨٥ متر، وانحراف معياري ٢.٣٧متر ، ويلاحظ وجود التواء موجب شديداً جداً لمنحنى العرض حيث بلغت قيمة معامل الالتواء ٠.٩٠ من المتر

، ويتراوح ارتفاع النباك ما بين ١.٢متر و٢.٦ متر ويصل المتوسط العام لارتفاعها ٢.٠٢ متر وبانحراف معياري قدره ٠.٤٧ من المتر،وتبلغ قيمة معامل الالتواء –٠.٤٦من المتر وهذا يشير إلى أن منحنى توزيع ارتفاع النباك سالب ، ويرتبط ارتفاع النباك ارتباطاً وثيقاً بارتفاع النبات ، فكلما زاد ارتفاع النبات وزادت حيويته زادت قدرته على تصيد حبات الرمال ومن ثم زيادة أبعاد النباك وخاصة الارتفاع (كليو،والشيخ،١٩٨٦،ص٧٣).

ويتميز منحدر النباك المواجه للرياح(الانحدارالأمامي)بأنه أشد انحداراً مما هو عليه المنحدر الواقع في ظل الرياح(الانحدار الخلفي)كما ترتفع قيم الانحراف المعياري بين الانحدار الأمامي والخلفي مما يشير إلى التشتت الكبير بين القيم والذي يرجع بدوره إلى الاختلاف الواضح بين إحجام النباك.

جدول (٤) نتائج التحليل الإحصائي لأبعاد النباك بمنطقة الدراسة.

الخصائص / التحليل الإحصائي	الطول (م)	العرض(م)	الارتفاع (م)	الانحدار الخلفي	الانحدار الأمامي
أدنى قيمة	٢.٥	٣.٥	١.٢	١٣	٢١
أقصى قيمة	١٩.٤	٩.٥	٢.٦	٢٨	٤١
المتوسط	٩.٣٧	٥.٨٥	٢.٠٢	١٨.٥٦	٢٩.٤٥
أ. معياري	٥.١٥	٢.٣٧	٠.٤٧	٤.٢٠	٦.٦٧
م. الاختلاف	٥٥ %	٤٠.٥%	٢٣%	٢١.٥%	٢٢.٧%
م. الالتواء	٠.٥٦	٠.٩٠	-٠.٤٦	١.١٢	٠.٤٢

تم التحليل الإحصائي باستخدام برنامجSPSS 15اعتماداً على نتائج الدراسة الميدانية.

التحليل الميكانيكي لرواسب عينات النباك: لتحديد خصائص رواسب النباك بمنطقة الدراسة تم جمع أربع عينات من رواسبها موزعة توزيعا عشوائيا

بالمنطقة.و أسفرت نتائج التحليل كما في جدول(٥) وشكل (١١) عن الآتي:-

-ارتفاع نسبة الرمال الناعمة والناعمة جدا والطمي والصلصال في جميع العينات، حيث تمثل ٦٩.١%من جملة رواسبها ويدل ذلك على أن هذه الرواسب مشتقة من رواسب الرمال ورواسب بطون الأودية.

جدول(٥) نتائج التحليل الميكانيكي لرواسب النباك بمنطقة الدراسة.

الخصائص / موقع العينات	رمل خشن جداً ١-٢مم	رمل خشن	رمل متوسط ٠,٢٥-٠,٥مم	رمل ناعم ٠,١٢٥-٠,٢٥مم	رمل ناعم جداً ٠,٠٨٣-٠,١٢٥	طمي وصلصال أقل من ٠,٠٨٣	الوزن الإجمالي	معامل الالتواء	معامل التفلطح
نبكة بمروحة وادي كراف	١,٨	١٩	٢١	١٨	١٨,٢	٢٢	١٠٠	-١,١	-٠,٨
نبكة وادي سرمتاي	--	١٠,٥	١٧	٢٢	٢٤	٢٦,٥	١٠٠	-٠,٥	-١,٧
نبكة بالقرب من السهل الساحلي	--	٨	٢١	٤١	٢١	٩	١٠٠	١	٠,٧
نبكة بمروحة وادي سقيرة	٢,٦	٦,٨	١٦	٣٥	٣١	٨,٦	١٠٠	٠,٨	-١,٢

٢- كذلك ترتفع نسبة الرمال الخشنة جدا والخشنة والمتوسطة في جميع العينات لتصل إلى ٣٠.٩% من جملة العينات، ويرجع تباين أحجام الرمال الخشنة والناعمة في نباك المنطقة إلى عمليات الترسيب الهوائي التدريجي، فعندما يعترض النبات الرياح تقوم هذه الرياح بترسيب المواد الخشنة أولاً ثم تتخلل المواد الناعمة النباك مع منصرف الرياح في مؤخرة النباك

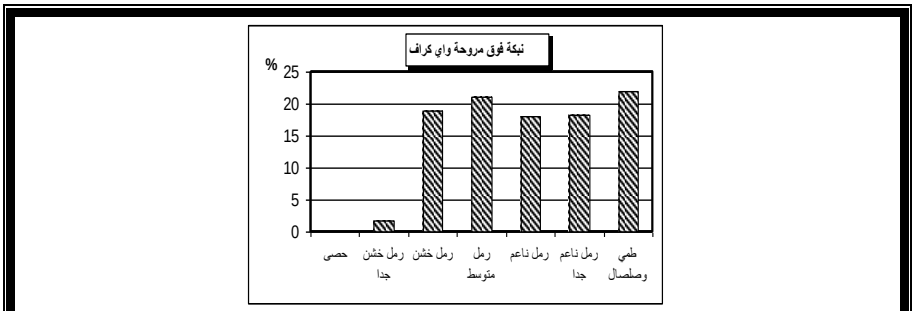

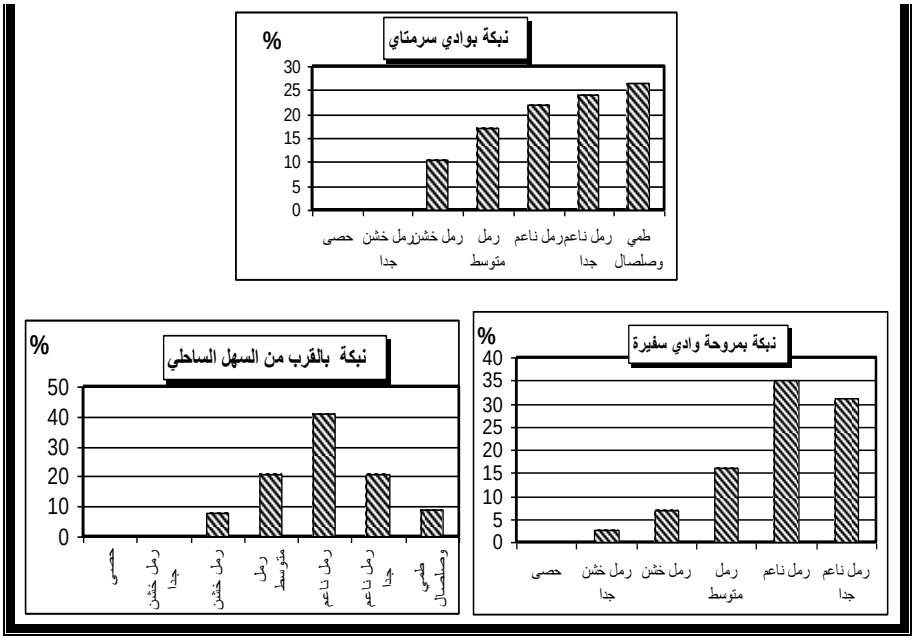

شكل(١١) توزيع أحجام رواسب النباك بمنطقة الدراسة

أما عن الالتواء فبلغ متوسطه ٠.١ أي التواء موجب، وقد اختلف من عينة لأخرى، فيلاحظ أن الالتواءات الموجبة جداً تمثل ٥٠% من جملة عينات الدراسة، وأن الالتواءات السالبة جدا تمثل ٥٠%من جملة العينات. وقد تم حساب التفلطح، ووجد أن منحنيات الرواسب بالمنطقة تتسم بأنها ذات تفلطح شديد التدبب. وتمثل المنحنيات ذات التفلطح الشديد التدبب ٧٥%من جملة منحنيات العينات، وتمثل المنحنيات المفلطحة ٢٥% من جملة منحنيات العينات،وهذا يدل على أن رواسب النباك من أصل قاري مع وجود العديد من الرواسب البحرية ،حيث تتميز رواسب النباك ذات الأصل القاري بالالتواء السالب في حين تتميز رواسب الكثبان الساحلية بالالتواء الموجب.

جدول (٦) خصائص توزيع أحجام رواسب النباك

التعبيرات الوصفية لفئات التواء منحنى توزيع أحجام النباك.

التواء سالب جداً		التواء سالب		التواء متماثل		التواء موجب		التواء موجب جداً		المجموع	
عدد	%	العدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
٢	٥٠	–	–	–	–	–	–	٢	٥٠	٤	١٠٠

التعبيرات الوصفية لفئات تفلطح رواسب النباك.

تفلطح شديد		مفلطح		تفلطح متوسط		تفلطح مدبب		تفلطح شديد التدبب		المجموع	
العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
٧٥	١	٢٥	–	–	–	٧٥	١	٢٥	–	–	–

د)–التموجات الرملية: هي عبارة عن أسطح رملية متموجة تتميز بشذوات سطحية نتيجة عملية ترسيب سريعة فوق سطح مستوي نسبياً عن طرق الزحف Creep والقفز Saltation،وتتكون من رمال مفككة متجانسة الحجم نسبياً تأخذ هيئة مموجة على أسطح الصحراء،وتأخذ اتجاهات متأثرة باتجاه الرياح حيث تزيد طول التموجات بزيادة سرعة الرياح(التركماني،٢٠٠٣،ص ٢٥٣)، ويتوقف طول الموجة على تغير قوة الرياح ،بينما يؤثر التغير في اتجاه وسرعة الرياح على انتظام أشكالها كما يتضح من الشكل (١٢)

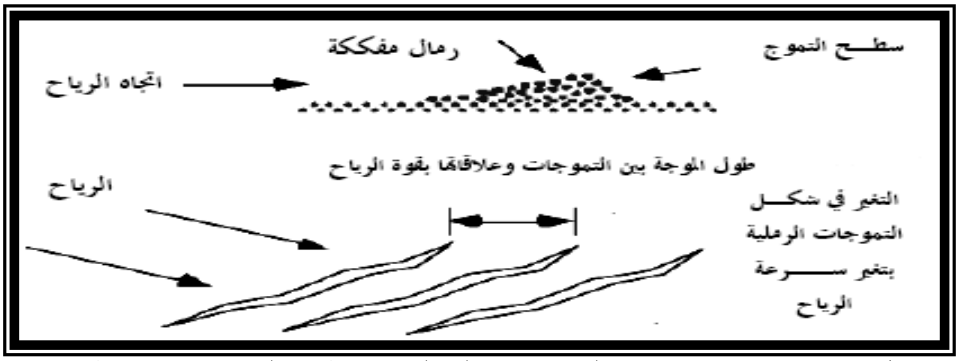

شكل (١٢) كيفية تكوين التموجات الرملية بمنطقة الدراسة بواسطة الرياح.

وتتميز كل موجة بوجود جانبين ينحدران في اتجاهين متضادين ويلتقيان في قمة حادة، فالجانب المواجه للرياح يكون خفيف الانحدار حيث يتراوح انحداره بين ١ ْ–١١°، ويتراوح طوله بين ٤٠ – ٢٢٠ سم، ويغلب عليه الشكل المحدب – المقعر، أما الجانب الظاهر للرياح فشديد الانحدار حيث تقرب درجة انحداره من زاوية الاستقرار، وتتراوح بين ١٦–٣٣°، بينما تتراوح أطواله بين ٢٠ – ١٣٠ سم، ويغلب عليه الشكل المقعر.

وبدراسة التموجات بمنطقة الدراسة أتضح أن متوسط طول موجاتها ١٣.٤سم ، وارتفاعها ٢.١ سم ، وتعتمد النسبة بين ارتفاع الموجة وطولها على عرض سطح التموج الذي تهب عليه الرياح المكونة له والذي يبلغ متوسطه ٣.٨ سم ، وبصفة عامة يمكن القول بأن صغر أطوال التموجات الرملية بمنطقة الدراسة يدلعلى ضعف سرعة الرياح نظراً لأن أطوال التموجات تزداد بزيادة سرعة الرياحوزيادة أحجام الرواسب (Cooke,R.,&Warren,A.,1973,p.268).

لوحة (٧) توضح التموجات الرملية بمنطقة جبل علبة

وبتطبيق نتائج مؤشر التموج[١]كانت النتائج أقل منالمعدل(١٧) والذي وضعه Tucker، وبما أن متوسط معدل التموج يقل عن القيمة (١٧) فإن

(١) **طول الموجة**

ذلك يفسر بأن أصل الرمال ليست الرياح وحدها بل تدخلت فيها عوامل أخرى مثل المياه الجارية والعامل الطبوغرافي .

ومن خلال التحليل الميكانيكي لثلاث عينات لرواسب التموجات الرملية بمنطقة الدراسة وجد أن هناك تباين واضح في حجم الحبيبات بين قمم التموجات وقيعانها حيث تمثل الرمال الخشنة والمتوسطة نسبة ٨٣.٥% من رمال قمم التموجات الرملية ، بينما تشكل الرمال الناعمة والناعمة جداً ١٦.٥% وهي نسب قليلة جداً إذا ما قورنت برمال قيعان التموجات حيث تمثل الرمال الناعمة والناعمة جداً والطمي ٨١.٣% بينما تمثل الرمال الخشنة والمتوسطة ١٨.٧%.

ثالثاً:-الظاهرات الساحلية:

تساهم التعرية الساحلية بدور كبير في تشكيل مظاهر السطح بمنطقة الدراسة ،حيث يرتبط بها العديد من الظاهرات الجيومورفولوجية، بعضها ناتج عن تغير مستوى سطح البحر مثل الشروم والمصاطب البحرية،والبعض الآخر يرتبط بعمليات النحت البحري وأهمها الرؤوس الأرضية والأقواس البحرية،وبعضها الثالث يرتبط بالإرساب مثل الشعاب المرجانية والشواطئ ، والسبخات وفيما يلي دراسة تفصيلية لكل منها على النحو التالي:-

١-الظاهرات الناتجة عن تغير مستوى البحر.

المصاطب البحرية: تعد المصاطب البحرية المرتفعة أهم الشواهد على المستويات المرتفعة التي سجلتها أثناء الفترات بين الجليدية في الزمن الرابع

مؤشر التموج.Ripple. Index =----------(Tucker,,M, ,2003,P.95)
ارتفاع الموجة

حيثانهإذازادالناتجعنالقيمة ١٧ فهذايعطيمؤشراًعلىالأصلالهوائيللرمال،فيحينإذاقلالناتجعن ١٧ كماهوالحالبمنطقةالدراسةفإنهناكعواملأخرىتساعدعلىنشأةالتموجاتالرمليةإلىجانبالرياح.

، ويعود عمرها إلى عصر البلايوستوسين. وتشاهد بقايا أسطح هذه المصاطب المرتفعة على مناسيب مرتفعة عن مستوى سطح البحر الحالي حيث تمثل مراحل تراجع شاطئ البحر القديم ، وتوجد بمنطقة الدراسة العديد من المصاطب البحرية والتي غطتها الرواسب أثناء عمليات الترسيب التي حدثت عن طريق المجاري المائية التي شقت طريقها إلى مستوى أعلى مما تبدو عليه المنطقة الآن ثم تأثرت هذه المصاطب بدورة جديدة كونت مجاري مائية أحدث تسببت في عمليات النحت التي غيرت من ملامح هذه المصاطب وتركت بقايا مرتفعة نسبياً ، وتتكون معظمها من الشعاب المرجانية والحجر الجيري والحجر الرملي المرجاني.

-الظاهرات الناتجة عن النحت البحري.

أ)-الرؤوس الأرضية :تمثل بروزات من اليابس ، تمتد داخل البحر ، وتتنوع العوامل التي تساهم في نشأتها ما بين العوامل البنيوية التركيبية مثل الألتواءات و الصدوع الممتدة عمودية على اتجاه خط الساحل ، والعوامل الليثولوجية حيث تقوم عوامل النحت البحرية بنحت الصخور الضعيفة الأقل مقاومة للنحت تاركة الصخور الصلدة الأكثر مقاومة بارزة على شكل رؤوس ناتئة متعمقة في البحر،وتتميز الرؤؤس الأرضية بمنطقة الدراسة بأنها ظاهرة فريدة في ساحل يتميز باستقامته وبالتالي عدم تعرض مساحات أكبر من مكاشف الصخور أمام عوامل التعرية البحرية،ويبلغ عدد الرؤوس الأرضية بمنطقة الدراسة خمسة رؤوس أهمها رأس ابوفسي ورأس فاطمة ورأس حدربة ، و يبلغ متوسط مساحتها حوالي١.٦ كم٢،ولما كان الانحراف المعياري للمساحات يبلغ ٠.٨٥فإن معامل الاختلاف يبلغ ٥٣%والذي يعكس بعض التفاوت في مساحات الرؤوس الأرضية بالمنطقة.

ب)- الأقواس البحرية:تتكون في المناطق الساحلية التي يمتد فيها اليابس على هيئة لسان صخري في عرض البحر، مما يؤدي إلى ارتطام مياه

الأمواج به من كلا جانبيه. فتتكون كهوف بحرية عند كلا هذين الجانبين ومع استمرار النحت يتقابل الكهفان. ويتكون في هذه الحالة نفقُ محفور في اللسان الصخري تعرف بالقوس البحري (أبو العز، ١٩٧٦، ص ص ٣٣٨-٣٣٩). ويوجد بمنطقة الدراسة عدداًقليلاً من الأقواس البحرية تنتشر على ساحل البحر الأحمر في الجزء الجنوبي من منطقة الدراسة ، وربما يرجع هذا إلى ضعف العمليات البحرية المشكلة لها وخاصة فعل الأمواج،كما توجد مجموعة من المناطق التي من المحتمل أنها كانت أقواسا بحرية سقطت أسقفها نتيجة استمرارية عملية النحت الجانبي والتي تؤدي بدورها إلى اختلال بعض أجزائها والتي تصبح أقل تماسكاً وبالتالي تتساقط إلى أسفل.

٣- الظاهرات الناتجة عن الإرساب البحري.

أ)الشواطئ:هي تلك المناطق المحصورة بين أدنى مستوى لمياه الجزر وأبعد نقطة تتعرض لتأثير الأمواج على الساحل وقد توجد بشكل متصل أو بشكل متقطع (Davis, R., 1985, p.379) ، ويتوقف تكون الشواطئ على عدة عوامل منها مدى اقتراب الجروف البحرية من الساحل ، ودرجة انحدار الرفرف القارى والمنطقة الساحلية ، والمنسوب الذي تصل إليه أمواج المد ، إلى جانب وفرة الرواسب الشاطئية، ويختلف اتساع الشاطئ من منطقة إلى أخرى ويبلغ أقصى اتساع له في المنطقة المحصورة ما بين مدينتي شلاتين وأبورماد ، في حين يبلغ أقل اتساع له في المنطقة المحصورة ما بين أبورماد ورأس حدربة ،ويتميز خط الشاطئ بالاستقامة نظراً للنشأة الصدعية ويتخذ اتجاه عاماً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي.وإذا ما تتبعناه من الشمال عند مرسى أبوتوينة- يتخذ خط الشاطئ اتجاه جنوبي شرقي دون تعرج يذكر حتى خط رأس ابوفاطمة ويمتد لمسافة ١٤٣ كم باتجاه جنوبي شرقي. وإلى الجنوب منها يمتد خط الشاطئ حتى رأس حدربة لمسافة ٩٤ كم ، وتتألف رواسب الشاطئ من رواسب حصوية ورملية حيث يبلغ متوسط

التكوينات الحصوية بها ٣٤.٨%،والرمال بمختلف أحجامها٥٩.٦ %،في حين لا تتعدى نسبة الطين والصلصال ٥.٦ %ويرجع التباين في هذه الرواسب إلى المصدر الذي اشتقت منه.

ب)-السبخات :هي عبارة عن مسطحات أرضية أو مناطق حوضية تغمرها المياه أثناء فترات العواصف والأمواج العالية، حيث تصل المياه إلى أعلى من سطح الحاجز فتكون سببا مباشرا في نشأتها وتغطيها طبقة من الطين والأملاح يختلف سمكها من سبخة إلى أخرى ، وقد أوضحت دراسة وتحليل الخرائط والمرئيات الفضائية أن السبخات بمنطقة الدراسة تشغل مساحة تقدر بنحو ٦٩.١ كم٢ أي نحو ٠.٤ % من مساحة المنطقة ، وهي مساحات صغيرة حيث تتقلص مساحات بعض السبخات ويندثر البعض الآخر نتيجة ارتفاع منسوب سطحها تدريجيا لتعدد مصادر الرمال التي تتلقاها، حيث تتلقى رواسبها من المناطق المجاورة سواء عن طريق الأودية الجافة التي تنتهي إلى البحر الأحمر والتي تساهم في أطماءها بما تلقيه من رواسب ، أو العلميات الهوائية ، أو عن طريق ما يخلف من مياه البحر بعد غمر سطحها في فترات المد ، بالإضافة إلى دور الإنسان في البناء والتشييد مما أدى إلى إزالة العديد من السبخات خاصة السبخات الساحلية منها.

ويتراوح أنحدار سطح السبخات بين ١ْ إلى ٤ْ درجات ويتميز سطحها بالاستواء أو بالانحدار الخفيف جداً وتنقسم السبخات بمنطقة الدراسة إلى سبخات ساحلية وسبخات داخلية وفيما يلي دراسة لكل منها:-

-**السبخات الساحلية** :عبارة عن مسطحات شبه مستوية، مغطاة بقشرة ملحية، وتتألف من طبقات متلاحمة أو غير متلاحمة من رمال ذات أصل هوائي ورمال طينية متعددة السمك ويُغلف سطحها بقشرات ملحية تزداد سمكاً ،خلال فصل الصيف مع ارتفاع منسوب مياه البحر نسبياً بفعل المد

العالي وصعود جزء من المياه إلى السطح عن طريق الخاصة الشعرية ،كما تنمو النباتات في بعضها خاصة النباتات الملحية وتمتد السبخات على طول خط الساحل في النطاق الممتد من شرم المدفع حتى مرسى حفرات الملح ،ويرجع ذلك إلى ابتعاد الحافة الجبلية واتساع نطاق السهل الساحلي ،مما لايدع مجالاً أمام عوامل التعرية السائدة على سطح المنطقة حالياً في طمس معالم هذه السبخات أو إزالة بعض الأجزاء منها ،فمعظم الأودية المنتهية للساحل ليس لها القدرة على أطماء السبخات المنتشرة على طول الساحل وإزالتها ، كما يقتصر دور الرياح على نقل المواد أو المفتتات المتوسطة والناعمة و إرسابها في ظل النباتات المنتشرة حول هوامش السبخات ، بالإضافة إلى أن التدخل البشرى لم يمتد إلى السبخات القريبة من مراكز العمران والمتمثلة في منطقتي حلايب وابورماد.

لوحة(٨) إحدى السبخات الساحلية بالقرب من مدينة شلاتين ويلاحظ إقامة بعض المنشآت العمرانية فوق سطحها

.وقد بلغ عدد السبخات الساحلية بمنطقة الدراسة ١٣ سبخة،تشغل مساحة تقدر بحوالي٤٠.٨كم٢،بنسبة تصل إلى ٩٣.٨%من جملة المساحة التي تغطيها السبخات بالمنطقة،وتتميز السبخات الساحلية بوجود العديد من الظاهرات الجيومورفولوجية فوق أسطحها أهمها القنوات المدية والخوانق الصغيرة والمضلعات والتنهدات الملحية والقباب أو الأقماع الملحية.

-**السبخات الداخلية**:تقع بعيداً عن الساحل فيما وراء تأثير المد البحري وتتشابه في الخصائص مع السبخات الساحلية حيث أنها ليست سوى بقايا لسبخات ساحلية ترجع إلى أوائل البليوستوسين ،ولذلك تسود في منطقة السهل الساحلي بعيد عن خط الشاطئ ولا تتصل بالبحر اتصالاً مباشراً في الوقت الحالي، وقد بلغ عدد السبخات الداخلية بمنطقة الدراسة ٥ سبخات ، تشغل مساحة تقدر بحوالي ٤.٣ كم٢، بنسبة تصل إلى حوالي ٦.٢% من جملة المساحة التي تغطيها السبخات بالمنطقة ، ويتضح من الجدول(٨) للخصائص الميكانيكية لرواسب العينات التي جمعت من بعض السبخات أثناء الدراسة الميدانية سيادة الرمال الناعمة والناعمة جداً، فبلغت نسبتها ٤٢.٨ ٪ من إجمالي متوسط وزن العينات ، يلي ذلك في الترتيب الرمال المتوسطة بنسبة ٢٥ ٪، في حين بلغت نسبة الرمل الخشن والخشن جدا ٢٤.٨% ، وجاءت نسبة الطمي والصلصال في المرتبة الأخيرة ، إذا بلغت نسبتها ٧.٤٪ من إجمالي متوسط وزن العينات.

جدول(٨) نتائج التحليل الميكانيكي لرواسب السبخات بمنطقة الدراسة

الخصائص / موقع العينات	رمل خشن جداً ١-٢مم	رمل خشن ٠,٥-١	رمل متوسط ٠,٢٥-٠,٥مم	رمل ناعم ٠,١٢٥-٠,٢٥	رمل ناعم جداً ٠,٠٨٣-٠,١٢٥	طمي وصلصال أقل من ٠,٠٨٣	الوزن الإجمالي
سبخة وادي كراف	٨,٩	١٦	٣١,٥	٢٣,٥	١٢,٢	٧,٩	١٠٠
سبخة مرسى أبوسومة	١٢,٨	١٥,٥	٢٢,٨	٢١,٨	١٩	٨,١	١٠٠
سبخة مرسى شعب	١٣,٦	١٣	٢٤	١٩	٢٣	٧,٤	١٠٠
سبخة حفرات الملح	٩,٨	٩,٧	٢١,٦	٣١	٢١,٨	٦,١	١٠٠
المتوسط	١١,٣	١٣,٥	٢٥	٢٣,٨	١٩	٧,٤	١٠٠

وللتعرف على الخصائص الطبيعية للبنية الداخلية لرواسب السبخات فقد تم عمل ثلاث قطاعات على بعض السبخات بمنطقة الدراسة لتحديد طبيعة الترسيب وخصائصه والعوامل الطبيعية المؤثرة فيه ومن خلال تلك القطاعات يتضح أن هناك بعض السبخات التي تغطى بقشرة ملحية رقيقة

كما في سبخة حفرات الملح في حين تغطى سبخة مرسى شعب بقشرة ملحية يميل لونها إلى البني الفاتح والتي ربما يرجع وجودها إلى تبخر المياه الجوفية الموجودة على سطحها.

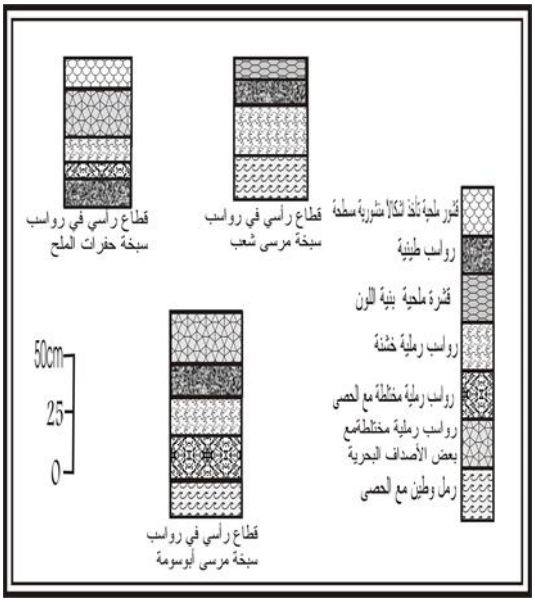

شكل(١٣) مجموعةمن القطاعات الرأسية في رواسب بعض سبخات منطقة الدراسة

كما يتضح من خلال دراسة هذه القطاعات أن تنوع مصادر رواسب هذه السبخات يرجع إلى الأصل البحري والقاري كما يرجع ارتفاع نسب الرواسب الطينية إلى تفوق البحر وطغيانه على تلك المناطق لفترة طويلة.

رابعاً:دور الخريطة المورفولوجية لمنطقة حلايب في التنمية:

من خلال الخريطة المورفولوجية لمنطقة الدراسة أمكن التعرف على العديد من المقومات الطبيعية ،والتي يمكن أن تجعل منطقة حلايب محوراً من المحاور المكانية للتنمية في مصر وذلك من خلال تنمية مواردها الطبيعية الكامنة والاستفادة من إمكانات التعدين والرعي والصيد والزراعة ،بالإضافة إلى إمكانات الجذب السياحي، وبذلك تكون الخريطة المورفولوجية

وسيلة لايمكن إنكار حاجة المخطط لها . وفيما يلي بعض مجالات التنمية التي تساهم فيها الخريطة المورفولوجية لمنطقة الدراسة.

-**تنمية الثروة المعدنية:**تعد منطقة حلايب من المناطق الغنية بالثروة المعدنية والتي تتمثل في المعادن الفلزية وأهمها الذهب والمنجنيز والحديد ،بالإضافة إلى بعض أنواع الأحجار والمعادن اللافلزية ،والتي يمكن استغلالها اقتصادياً ويكون لها موقع مهم على خريطة تنمية الموارد المعدنية بمنطقة الدراسة ،والذي ينعكس بدوره على الإسهام في تنمية البنية التحتية ،وخاصة الموانئ والمراسي والخدمات والمرافق العامة ،بالإضافة إلى توفير فرص عمل للبدو وتحويلهم إلى حياة الاستقرار في القرى والمدن ،ومن أهم هذه المعادن والأحجار والموضحة في شكل (١٤) الآتي:-

المنجنيز:ويظهر على شكل عروق تمتد من الشرق إلى الغرب بطول كيلومتر تقريباً وبمتوسط عرض ١٠٠ متر وعلى عمق يصل إلى ٤٠٠ متر ويتركز في منطقتين الأولى منها في جبل علبة وفيها ستة مواقع وحجم الاحتياطي بها يقدر بحوالي ٦٠ ألف طن(المساحة الجيولوجية،١٩٩٣، ص٥)، أما المنطقة الثانية فتشغل الروافد العليا لوادي دئيب ووادي دعيت ومرتفعات كوال انكلوب والايرونجاب(بكير وجمال ،٢٠٠٨، ص ١٨٩).

الذهب:ينتشر الذهب في أماكن متعددة من منطقة الدراسة أهمها منطقة وادي ميسبة وغرب جبل اورجيم في نطاق يمتد شمال/جنوب ويقطع بفالق رأسي شمال غرب/جنوب شرق ، وبالرغم من قدم استغلال هذه المناجم منذ العهد الفرعوني إلا أن إنتاجها لم يكن مستمراً حيث كان يتوقف لفترات طويلة ، ويتوقع أن يعود هذا الاستغلال في المستقبل القريب باستخدام التكنولوجيا الحديثة لتقلل من تكاليف الاستغلال.

الكروم:يقتصر توزيعه على موقع واحد فقط يتمثل في أم الطيور الفوقاني حيث يظهر فيها على هيئة عدسات صغيرة تتخلل تكوينات السربنتين والتلك.
الحديد: تتركز خامات الحديد في موقعين كما هو موضح بشكل (١٤) الموقع الأول في وادي يودر وفي أقصى الجنوب الشرقي لمنطقة الدراسة والموقع الثاني في منطقة حمرة الدوم بالقرب من جبل كولاناب حيث يظهر في هيئة عدسات ملتصقة بصخور الجابرو.
أحجار الزينة: أهمها الرخام والجرانيت والدايوريت حيث ينتشر الرخام في مواقع متعددة من منطقة الدراسة أهمها منطقة جبل علبة على هيئة حبيبات داخل الصخور الرسوبية المتجولة ويتراوح سمكها بين ٢-١٠م وتمتد لمسافة ١٠٠-٢٠٠م ويتراوح ألوانها ما بين الأبيض والأسود والأحمر(الألفي، ١٩٩٨، ص ١٢٥)أما الجرانيت والدايوريت فينتشرا في منطقة جبل الشلال.

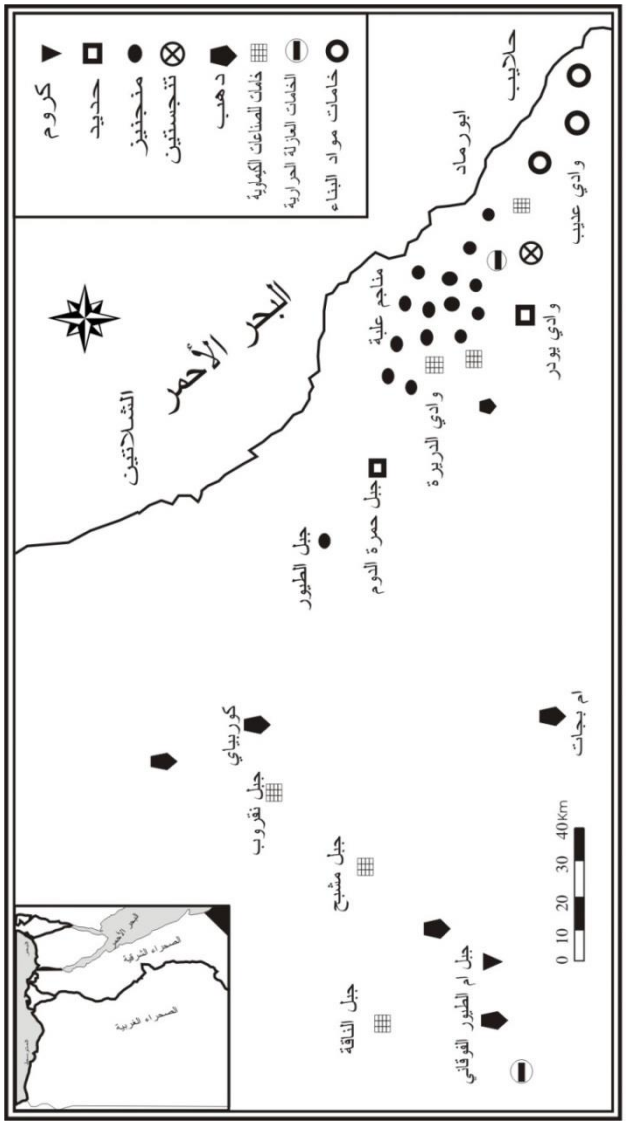

المصدر: الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية ، خريطة توزيع الثروة المعدنية بالصحراء الشرقية

شكل (١٤) مواقع توزيع الثروة المعدنية بمنطقة حلايب

خامات الصناعات الكيماوية :تضم الباريت والنيفين ساينت حيث تتواجد خامات الباريت في منطقة جبل علبة ووادي الدريرة ووادي عديب أما النيفين ساينت فيوزع في منطقة جبل نقروب وجبل مشبح ومنطقة جبل الناقة.

الخامات العازلة والحرارية:تتمثل في الاسبتوس والتلك والماجنزيت وتتوزع في أماكن متعددة من منطقة الدراسة أهما منطقة جبل علبة ووادي عديب.

مـواد البنـاء : تتـوافر خامـات البنـاء مـن حصـى ورمـل وزلـط وأنـواع الصـخور المختلفـة مثـل الحجـر الجيـري والحجـر الرملـي علـى امتـداد سـاحل البحـر الأحمر وعلى جوانب الأودية وعند أقدام المنحدرات الجبلية لمنطقة الدراسة.

٢-**النشـاط الرعـوي:**يـرتبط النشـاط الرعـوي بمنطقـة الدراسـة بخصـائصـها التضاريسية حيث تتوزع أنواع المراعي على النطاقين الساحلي والجبلي فتنمو مراعـى المستنقعات الملحيـة السـاحلية علـى طـول سـاحل المنطقـة و معظمهـا مقاومـة للملوحـة أهم أنواعهـا السيال والبعثران والأكاسيا وهـي ملائمـة لرعـي الأغنام والماعز في حين تنمو مراعي الوديان والمرتفعات الجبلية في النطاق الجبلي وتشمل نباتات العوسج وعشيرة السمرة والأكاسيا، كما تعتبر منطقة جبـل علبـة بيئـة خاصـة لهـا خصائصـها البيئيـة الملائمـة لنمـو الكثيـر مـن الأشجار والنباتات التي لا تنمو إلا في هذه المنطقة من مصر والتي تتميز بأهميتها الطبية والدوائية.

٣-**الصيد:**تتميز منطقة حلايب عن كثير من مناطق البحر الأحمر الأخرى بميزة تعدد أنواع الأسماك التي يمكن استغلالها اقتصادياً

٤-**التنمية الزراعية:**تعتمد التنمية الزراعية بمنطقة الدراسة على عدة ضوابط أهمها ،توفير المياه اللازمة والتربة والتي تتعدد أنواعها بحيث يرتبط كلا نوع منها بإشكال جيومورفولوجية معينة فالسهول وأشباه السهول توجد بها التربة الطينيـة والطينيـة الرمليـة أمـا نطـاق البهـادا فيوجـد بـه تربـة طمييـة رمليـة ، فبالرغم من وجود العديد من الأراضـي الصـالحة للزراعـة والتـي تبلـغ مساحتها مايربو على ١٧٠ألف فدان إلا أن منطقة الزراعة تعاني من قلة مياه الري ، فالأمطـار تقتصـر علـى الخريـف والربيـع ومتوسـطها السـنوي لايكفـي حاجـة الزراعة ، فضلاً على ذلك فأن الماء الجوفي يرتبط بتوزيـع الآبار التـي تتوزع بشكل غير منتظم بما لا يتفق مع الأراضـي السهلية أو تلك التـي تتوافر فيها

تربة غير صالحة للزراعة ، كما أن الماء الجوفي الناتج عن حفر الآبار بالقرب من الساحل لايمكن استغلاله بشكل مباشر حيث تزيد نسبة الملوحة به عن ٦٥٠ جزء في المليون ،ويمكن التغلب على هذه المشكلة من خلال خزن مياه الأمطار التي تسقط على المنطقة،وذلك بإقامة سدود ترابية أو حجرية،ومن ثم يمكن الري منها مباشرة بعد السيول أو تركها لتغذية الخزانات الجوفية السطحية بالإضافة إلى حفر مجموعة من الآبار بالقرب من المناطق الصالحة للزراعة ويراعى في توزيع الآبار أن يكون بشكل منتظم بحيث يضمن الاستمرارية لفترات طويلة،بالإضافة إلى معالجة المياه الناتجة عن حفر الآبار في الأجزاء القريبة من الساحل ،بحيث لا تزيد نسبة الملوحة بها عن ٦٥٠ جزء في المليون.

٥-**التنمية السياحة:**أوضحت الخريطة المورفولوجية لمنطقة حلايب أنها تتميز بشخصية جيومورفولوجية فريدة ،حيث أن السهل الساحلي وساحل البحر الأحمر هما مفتاح تنمية المنطقة سياحياً ،حيث تطل المنطقة على البحر الأحمر بمئات الكيلومترات ويكتنف خط الساحل العديد من الشروم البحرية والتي يمكن استخدامها كمراسي للقوارب ومن ثم إنشاء القرى السياحية على جوانب الشروم (عبدالهادي ،٢٠١٢، ص ١٤٣)،كما توجد مجموعة من الجزر البحرية داخل مياه البحر الأحمر مواجهة لتلك المساحات أهمها جزيرة حلايب وروابيل وسيال والتي تشكل أحد عناصر الجذب السياحي لكونها غنية بالشعاب المرجانية وبها مرسى يصلح لاستقبال المراكب وقوارب الرحلات البحرية،وتحتوي أيضاً على أعشاش الطيور البحرية وتحط عليها أسراب الطيور المهاجرة في فصلي الخريف والربيع ، وهناك أيضاً منطقة جبل علبة والتي يمكن أن تتحول لمنطقة جذب واستغلال لمميزاتها الطبيعية ،حيث تتميز المنطقة بوجود الحافات الجبلية وظهور

مكاشفها الصخرية عارية من الرواسب الأمر الذي يمكن أن يكون عنصر جذب سياحي ، خاصة سياحة السفاري وتسلق الجبال، كما يتميز جبل علبة بوجود ثملات للمياه على ارتفاع أكثر من ١٠٠٠ م والذي يمكن أن يكون مصدراً للجذب السياحي، كما تتميز المنطقة بسقوط الأمطار في فصلي الخريف والربيع والذي انعكس بدوره على الحياة النباتية والحيوانية، كما تحتوي المنطقة على عدد من المواقع ذات الأهمية التاريخية أهمها ميناء عيذاب(رأس حدربة حالياً) والذي كانت تنتهي إليه ثلاثة طرق تبدأ من أسوان ، وادفو ، وقوص تراوحت وظائفها ما بين الدينية والتجارية والعسكرية والإدارية،ولذلك يمكن القول بأن منطقة الدراسة تتميز بالعديد من الخصائص التي تظهر بوضوح مدى صلاحيتها للسياحة وتنميتها سياحياً.

الخاتمة:

بدراسة الخريطة المورفولوجية لمنطقة حلايب أمكن الخروج ببعض النتائج وكذلك التوصيات التي قد تسهم في تنميتها ،و ذلك على النحو التالي:-

أولاً:نتائج الدراسة:

١- تبلغ مساحة منطقة حلايب نحو١٨.٠٠٠كم٢،وتتميز بالتنوع في الارتفاع والانحدار بين أجزاءها المختلفة،حيث تنحدر المنطقة بصفة عامة من الغرب إلى الشرق نتيجة لحركة الرفع والتصدع التي أصابتها خلال العصور الجيولوجية السابقة،كما تتميز بالتنوع الشديد في محتواها الصخري وتراكيبها الجيولوجية من طيات وصدوع وفواصل أثرت على تضاريس المنطقة وعلى شكل الأودية واتجاهاتها، بالإضافة إلى تأثيرها المباشر وغير المباشر على ساحل البحر الأحمر من حيث الاتساع والانحدار والاتجاه والشكل.

٢- تنوعت وتعددت الأشكال الجيومورفولوجية الموجودة بمنطقة الدراسة ويرجع ذلك التنوع الهائل إلى نوعية التكوينات الجيولوجية والصخور ،والعوامل

التكتونية المتمثلة في الصدوع والشقوق ، وكذلك العامل المناخي ، وتنقسم هذه الأشكال إلى أقسام متعددة طبقاً للعوامل المؤثرة فيها وهي الأشكال البنيويةوأشكال النحت وأشكال الارساب بالإضافة إلى الأشكال الساحلية والتي ارتبط بعضها بتغير مستوى سطح البحر مثل الشروم والمصاطب البحرية،والبعض الآخر ارتبط بعمليات النحت البحري وأهمها الرؤوس الأرضية والأقواس البحرية،وبعضها الثالث بالإرساب مثل الشعاب المرجانية والشواطئ ، والسبخات.

٣-تمتلك منطقة الدراسة العديد من المقومات الطبيعية التى تجعلها بيئة مناسبة لممارسة عدة أنشطة اقتصادية أهمها النشاط التعديني الرعوي والزراعي السياحي وبعض الصناعات البسيطة التى تخدم المنطقة وتعتمد على معطياتها.

ثانياً:التوصيات:

بعد الدراسة التفصيلية للمنطقة ،وتقييم إمكاناتها من خلال وجهة النظر الجيومورفولوجية ، ودراسة جوانب التنمية بها ،يمكن الخروج بالتوصيات التالية التي قد تفيد المخططين ومتخذي القرار وذلك على النحو التالي:-

١-العمل على تنمية النشاط الزراعي والرعوي والسياحي والتعديني، وتشجيع الاستثمار في تلك الأنشطة المختلفة من خلال استغلال المقومات الطبيعية المتوفرة بمنطقة الدراسة.

١-الاستغلال الأمثل للثروات المعدنية من خلال استعمال التقنية الأكثر كفاءة

٢-فرض إجراءات وقائية لتدعيم الاستخدام المستدام للثروة المعدنية وتشجيع الأنشطة التي تساهم في استغلالها الاستغلال الأمثل وتحافظ على البيئة.

٣-وضع خطة طموحة من قبل الحكومة لإعادة استغلال مناجم الذهب من جديد من خلال استخدام وسائل تكنولوجية حديثة تقلل من تكاليف الاستغلال

لاسيما وان ارتفاع أسعار الذهب عالمياً يجعل من استغلال هذه المناجم عملية ذات عائد كبير.

٤-تشجيع الاستثمار السياحي عن طريق بناء قرى سياحية وإقامة الرياضات البحرية بمنطقة الدراسة ،لاسيما أنها تعد مناطق بكر للاستثمار.

٥-إنشاء بعض المراكز السياحية البيئية في السهل الساحلي،ولا سيما بالأودية الكبيرة كأودية سفيرة وشاب وكراف،مع ضرورة توفير متطلبات هذه المراكز ولا سيما المياه العذبة سواء من حفر الآبار أو إنشاء خزانات.

٦-استغلال الشروم البحرية كموانئ طبيعية تستخدم في تنمية السياحة أو استخدامها في تنشيط الصيد في البحر الأحمر.

٧-تزويد منطقة الدراسة بخط مياه عذب من محافظات الوادي، وذلك لتقليلالإعتماد على المياه المحلية ذات الملوحة العالية.

٨-الاهتمام بالمنطقة في مجال الزراعة من قبل الجهات المختصة، وتقديم كل ما يلزم من أجل تحقيق نمو فاعل وقادر على مواكبة العصر وذلك من خلال تأمين مستلزمات الإنتاج الزراعي بمختلف أشكاله نظراً لما تتوفر في المنطقة من مقومات الزراعة الطبيعية والبشرية.

٩-أجراء دراسات جادة على المياه الجوفية فى بطون أو قيعان الأودية والسهل الساحلوهى المناطق التى تلائم ممارسة النشاط الزراعى .

١٠-محاولة الاستفادة من تحلية مياه البحر في أوجه النشاط البشرى المختلفة وبحث فكرة توصيل مياه النيل للاستفادة منها في هذا الغرض.

١١-إكثار نباتات المراعي وتسوير بعض المساحات ومنع الرعي فيها لفترة كافية تسمح بنمو الغطاء النباتي وازدياد كثافة النباتات النافعة.

١٢- تحسين المراعي بمنطقة الدراسة من خلال نقل تقاوي نباتات المراعي إلى البيئات المناسبة لها وبذرها انتظاراً لسقوط المطر،وذلك من خلال جهاز متخصص لشئون المراعي من نباتات وحيوانات(الشرقاوي،١٩٩٨،ص٣٨٥)

المراجع

١. **أبو العز،محمد صفي الدين(١٩٧٦): قشرة الأرض دراسة جيومورفولوجية ، دار غريب، القاهرة.**

٢. **_____(١٩٧٧):مورفولوجية الأراضي المصرية،**دار النهضة العربية ،القاهرة

٣. **أبورية ،أحمد محمد (٢٠٠٧)** : المنطقة الممتدة فيما بين القصير ومرسى أم غيج–دراسة جيومورفولوجية ،رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية.

٤. **آدم، سميرة حسن(٢٠٠٣)**:جيومورفولوجية الركن الجنوبي الشرقي لمصر ، دراسة للمنطقة بين وادي حوضين شمالاً والحدود السودانية جنوباً،رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.

٥. **الألفي ،زينهم (١٩٩٨)** :جيولوجية منطقة مثلث حلايب ، ندوة مثلث حلايب ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية

٦. **التركماني،جودة فتحي(١٩٩٨)** :جيومورفولوجية الياردنج فوق أسطح البلايا بمنخفض الخارجة ، مجلة الإنسانيات العدد الثاني، الإسكندرية.

٧. **_____(١٩٩٩)** :جيومورفولوجية منطقة توشكي وإمكانات التنمية ، سلسلة بحوث جغرافية، العدد الرابع ، الجمعية الجغرافية المصرية.

٨. **_____(٢٠٠٣)** : أشكال السطح دراسة في أصولالجيومورفولوجيا ،دار الثقافة العربية–القاهرة.

٩. **الدسوقى ،صابر أمين (٢٠٠٠)**: الخريطة المورفولوچية لوادى كلابشة كأداة أساسية للتنمية فى جنوب الوادى ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد السادس والثلاثون ، الجزء الثاني ، القاهرة .

١٠. **الشيخ ، أحمد محمد(١٩٩٥)** :جيومورفولوجية الهوامش الشرقية لهضبة طيبة فيما بين وادي البعيرية جنوباً والكولا شمالاً ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ،جامعة القاهرة.

١١. **بكير،محمد الفتحي،جمال،مدحت محمد(٢٠٠٨)**:مثلث حلايب (الأرض–السكان–التنمية)،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.

١٢. **تراب، محمد مجدي (١٩٩٧)**:التطور الجيومورفولوچى لحوض وادى قصيب (شبه جزيرة سيناء) ، المجلة الجغرافية العربية،العدد الثلاثون، الجزء الثانى .

١٣. **خطاب،محمد إبراهيم(٢٠٠٧)**:جيومورفولوجية السهل الساحلي للبحر الأحمر بين القصير ومرسى علم وأثرها على السياحة "دراسة تطبيقية"رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ،جامعة القاهرة.

١٤. **سلامة،حسن رمضان(١٩٨٢)**:الخصائص الشكلية ودلالتها الجيومورفولوجية، نشرة دورية محكمة يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ،العدد (٤٣) ،الكويت.

١٥. **سلوم،غزوان أمين(٢٠٠١)**:جيومورفولوجية منخفض جيرود–الناصرية في الجمهورية العربية السورية،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب،جامعة القاهرة

١٦. **صالح ،أحمد سالم(١٩٨٥)**:حوض وادى العريش– دراسة چيومورفولوچية ،رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الجغرافيا– كلية الآداب – جامعة القاهرة.

١٧. **عاشور، محمود محمد (١٩٩٠)**:چيومورفولوچية الجانب الشرقى من وادى النيل فيما بين الكريمات جنوباً و الصف شمالاً ، دراسات جغرافية ، نشرة قسم الجغرافيا – كلية الآداب – جامعة المنيا ، المجلد الرابع ، العدد ١٢ .

١٨. **عبد الله ،أحمد زايد (٢٠٠٦)**:المخاطر الجيومورفولوجية بمراكز العمران على ساحل البحر الأحمر في مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الجغرافيا ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة.

١٩. **عبد الهادي ،ناصر عبد الستار (٢٠١٢)**: جيومورفولوجية منطقة حلايب وامكانات التنمية السياحية،المؤتمر الدولي الأول للدراسات البيئية ،جامعة جنوب الوادي،قنا.

٢٠. **كليو ،عبد الحميد أحمد والشيخ ،إسماعيل محمد (١٩٨٦)**:نباك الساحل الشمالي في دولة الكويت ،دراسة جيومورفولوجية ،رسائل جغرافية ، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا ،كلية الآداب جامعة عين شمس ، القاهرة

٢١. **محسوب، محمد صبري (١٩٩١)**:جيومورفولوجية السواحل، دار الثقافة العربية ، القاهرة.

٢٢. **_____ (١٩٩٨)** : جغرافية مصر الطبيعية(الجوانب الجيومورفولوجية)، دار الفكر العربي، القاهرة

٢٣. **محمود ، سمير سامي (١٩٩٣)**: جيومورفولوجية منطقة الغردقة بين جبل نقادة جنوباً وجبل أبو شعر القبلي شمالاً –رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة.

24. **Abu-EL-Einin, H,A, (1966) :** Questa features in the Moghara District Northern Sinai , Bull . Soc., Geogr. d'Egypte, Vol.39, PP: 177:180)
25. **- Bird, E., (1984)**:Coasts - An Introduction to Coastal Geomorphology ,3rd. Ed ., Basil Blackwell, New York.
26. **Breed,S&et-al.,(1989)**:Wind Erosion Forms,in Thomas ,D.S.G,(ed),Arid zone Geomorphology,Belhaven Press, London.
27. **Bull, W,B., (1977):**The alluvial fan environment, progress in physical geography , Vol. 1, No. 2, Edward Arnold, London
28. **Cook,R. and Warren, A.,(1973):** Geomography in Deserts,Univ. of California Press, Berkeley and Los Angles
29. **Davis,J., (1985):** Coastal Sedimentary Environments, Springer-Verlag, Berlin
30. **Denny, C,S.,(1965):**Alluvial fans in the Delta Valley region, California and Nevada, G.S. professional paper 466, part 2
31. **Huggett,H,J,(2003):**Fundamentals of geomorphology. London : Routledge
32. **Goudie , A & Et-al ., (1981)**:Geomorpholgical Techniques .George Allen ,Union, London
33. **Gregory , K .J &Walling ,D. E .,(1976)**:Drainage form and process geomorphology approach ,Edward, Arnold ,London
34. **Pitty,A,F,(1982):**The nature of geomorphology,New York

35. **Ritter,D.F&et-al.,(1995)** : Process Geomorphology Third Edition ,Wm . C .Brown Publishers , London
36. **Said,R.,(1990)** : The Geology of Egypt , A ,A . Balkema, Rotterdam, nether lands.
37. **Schumm,S.A., (1956) :** Evolution of The Drainage systems and Badlands at Perth Amboy New York , Geol .Soc Slope in .Am. Bull .Vol. 67.
38. **Thornbury,D.W.,(1984)** : Principle of Geomorphology ,Second Edition ,John Wiley & Sons , New York
39. **Tucker,E,M.,(2003) :** Sedimentary rocks in the field, Third Edition Black well science, London .
40. **Warren,A&Livingstone,I.,(1996):**Aeolian Geomorphology: an introduction, Longman, Harlow,
41. **Young, A., (1972):** Slopes, Oliver and Boyd, Edinburgh.

الخريطة المورفولوجية لمنطقة حلايب كأداة أساسية للتنمية في جنوب شرق لمصر.

تمتلك منطقة حلايب العديد من المقومات الطبيعية التى تجعلها بيئة مناسبة لممارسة عدة أنشطة اقتصادية أهمها النشاط التعديني الرعوي والزراعي السياحي وبعض الصناعات البسيطة التى تخدم المنطقة وتعتمد على معطياتها.

ومن خلال الخريطة المورفولوجية لمنطقة الدراسة أمكن التعرف على العديد من المقومات الطبيعية ،والتي يمكن أن تجعل منطقة حلايب محوراً من المحاور المكانية للتنمية في مصر وذلك من خلال تنمية مواردها الطبيعية الكامنة والاستفادة من إمكانات التعدين والرعي والصيد والزراعة ،بالإضافة إلى إمكانات الجذب السياحي، وبذلك تكون الخريطة المورفولوجية وسيلة لايمكن إنكار حاجة المخطط لها.

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الأشكال الأرضية بالمنطقة بشكل تفصيلي ومحاولة تقسيمها إلى مجموعة من الوحدات الأرضية المتجانسة

،مع دراسة توزيعها الجغرافي وخصائصها المورفولوجية وعمليات تشكيلها والذي يساهم بدوره في تحديد أفضل المواضع اللازمة لمجالات التنمية المختلفة خاصة الزراعية والصناعية والعمرانية والسياحية في تلك المواضع. وقد خلصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها العمل على تنمية النشاط الزراعي والرعوي والسياحي والتعديني ، وتشجيع الاستثمار في تلك الأنشطة المختلفة من خلال استغلال المقومات الطبيعية المتوفرة بمنطقة الدراسة.

The Morphological Map of Halayeb Region as an Essential Tool for the Development of Southeastern Egypt

Halayeb Region has many natural factors that make it a suitable environment for practicing several economic activities. Primary among these activities are are mining, pastoral and agricultural tourism and some simple industries that serve the region and depend on its data. Through the morphological map of the study area, the research has identified many natural factors that can make Halayeb Region one of the spatial dimensions of development in Egypt. This can be achieved through developing its potential natural resources and benefiting from the mining, pastoral, hunting, and agricultural

potentials in addition to the tourist attraction's possibilities. Thus, the morphological map will be a means that cannot be denied by the planner. The study aimed at identifying the terrestrial forms in the region in details. It also tried to divide them into a group of homogeneous terrestrial units. Moreover, it studied their geographical distribution, morphological characteristics and formation processes which in turn contribute to determining the best places necessary for different fields of development, especially agricultural, industrial, urban and tourist ones in such places. The study concluded with a number of recommendations. Primary among these is the need to develop the agricultural, pastoral, tourist and mining activities and to encourage investment in these various activities by making use of the available natural resources in the study area.

سكوت النبي- صلى الله عليه وسلم- عند الحاجة إلى البيان ودلالته.

الباحث: خالد رمضان عبد الفتاح

يونيو ٢٠١٥

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن مجرد سكوته- صلى الله عليه وسلم- لا دلالة له إن لم يكن هناك ما يستدعي القول- خاصة في غير مجال البيان والتشريع-؛ لأن ترك القول هو الغالب على حال البشر، وهو سكوت طبيعي أو جِبِلّي لا يدخل تحت باب البيان التشريعي، لكن المقصود هنا هو السكوت الدال على بيان حكم شرعي، أي السكوت عند الحاجة إلى البيان.

فإذا حدث ما يستدعي القول لبيان الحكم الشرعي، ثم سكت النبي- صلى الله عليه وسلم-، فإن سكوته قد يدل على حكم.

فإن كان الذي يستدعي القول فعلاً حدث أمام النبي- صلى الله عليه وسلم-، أو قولاً قيل أمامه، أو علم به أو نُقل إليه فسكت عن الإنكار عليه، فذلك النوع من السكوت يسمى التقرير أو الإقرار، ويبحثه الأصوليون في مبحث خاص به.

وإن كان الذي يستدعي القول والبيان حادثة وقعت تستدعي بيان حكمها، أو سؤالاً يتطلب جوابًا منه- صلى الله عليه وسلم-، فسكت، فلسكوته دلالة شرعية، وهذا هو موضوع هذا البحث.

وسيكون هذا البحث من الناحية الأصولية مدعمًا بالأمثلة الفقهية.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على موضوع البحث وأهميته.

المطلب الأول: تعريف السكوت لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: سكوته- صلى الله عليه وسلم -عما لم يتبيَّن حكمه.

المطلب الثالث: سكوته- صلى الله عليه وسلم -عَمّا تبين حكمه من قبل.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث.

المطلب الأول: تعريف السكوت لغة واصطلاحًا

أولاً: تعريف السكوت لغة: السكوت مصدرٌ مِنْ "سَكَت"، "يَسكُت"، "سُكوتًا"، فهو "ساكت"، ورجل سِكِّيتٌ، وسَاكُوتٌ: كثير السّكوت، والصمت أبلغ من السَّكُوت، لأَنّه قد يُستعمل فيما لا قوّة له على النطق؛ ولذا قيل لما لا نطق له: الصّامتُ والمُصْمَت، والسُّكُوتُ يقال لما له نطق فيترك استعماله.[١]

وجاء في تاج العروس: السُّكُوتُ ترك الكلام مع القدرة عليه. وبالقيد الأَخير يُفارق الصَّمْتَ، فإن القدرَة على التَّكَلّم لا تعْتبر فيه.[٢]

---

(١) انظر: مادة (سكت) في الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى٣٩٣هـ) (١/ ٢٥٣)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت- لبنان، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦، لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ٤٣/٢، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) مادة (سكت) (٤/ ٥٥٩)، تحقيق: مجموعة من

ثانيًا: السكوت في الاصطلاح: استُعمِل السكوت عند الأصوليين والفقهاء بنفس المعنى اللغوي، ولم يخصُّوه بمعنى آخر.

قال الجرجاني في التعريفات: "السكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه".[١]

وجاء في المفردات:" السُّكُوتُ مختصّ بترك الكلام".[٢]

وقال ابن عابدين: "السُّكُوتَ وُجُودِيٌّ؛ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ ضَمِّ الشَّفَتَيْنِ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ عَدَمُ الْكَلَامِ".[٣]

ويفهم من ذلك أن السكوت أحد صور الترك؛ لأنه في حقيقته كفٌّ عن القول، فيكون داخلاً في معنى الترك.

فكما يكون بيان الأحكام من النبي– صلى الله عليه وسلم–، بترك الفعل يكون بترك القول– أي السكوت– كذلك، وهذا ما قرره علماء الأصول:

فقد ذكر الشاشي الحنفي أن:" السكوت في موضع الحاجة إلى البيان بمنزلة البيان." [٤]

المحققين، الناشر: دار الهداية– القاهرة، عدد الأجزاء:٤٠.

(١) التعريفات: لعلي بن محمد بن علي، الشريف الجرجاني(المتوفى: ٨١٦هـ) (ص ١٥٩)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.

(٢) المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) ص٤١٦، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٢ هـ. عدد الأجزاء:١.

(٣) حاشية رد المحتار على الدر المختار، المعروفة بحاشية ابن عابدين: لمحمد أمين بن عمر بن عابدين الحنفي (المتوفى١٢٥٢هـ) ٦٤/٣، دار الفكر– بيروت–، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦.

(٤) أصول الشاشي: نظام الدين أبي علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي الحنفي (المتوفى: ٣٤٤هـ) ص ٢٦١، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان، بدون طبعة أو تاريخ ، عدد الأجزاء: ١.

وقال البزدوي:" السكوت في موضع الحاجة إلى البيان بيان".[١]

وقال ابن حزم:" وليس قول أحد ولا سكوته حجة إلا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فإن قوله وسكوته حجة قائمة على ما أعلم".[٢]

ويمكن تقسيم سكوته- صلى الله عليه وسلم- عند الحاجة إلى البيان قسمين:

الأول: السكوت عما لم يتبيَّن حكمه من قبل.

والثاني: السكوت عَمّا تبين حكمه من قبل.

وفي كل قسم مطلب.

المطلب الثاني: سكوته- صلى الله عليه وسلم-**عما لم يتبيَّن حكمه من قبل:**

سكوته- صلى الله عليه وسلم- بعد السؤال عن حكم أو واقعة من الوقائع يعتبر من البيان، فيدلَّ سكوته حينئذ على أنه لا حكم للشرع في هذه الواقعة، ويكون سكوته- صلى الله عليه وسلم-انتظارًا للبيان من الوحي.

يدل على ذلك: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لا يُقَرُّ على الخطأ، أي: لو كان سكوته عن بيان الحكم في تلك الحالة خطأ لبيَّن له الله- تعالى- ذلك، فيكون سكوته بيانًا في أن هذه الواقعة لا حكم لها. [٣]

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى:٧٣٠هـ) ٣٨٥/٢، دار الكتاب الإسلامي- بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٤.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ٩٦/٦، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة- بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

(٣) انظر: التحبير شرح التحرير: لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ٦ /٢٨٠٩، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى،

وفي ذلك يقول الشريف التلمساني:" ومما يلحق بالترك في الدلالة على عدم الحكم، سكوته – صلى الله عليه وسلم- على حكم لو كان مشروعًا لبيَّنه". [١]

ويقول تاج الدين السبكي:" السكوت عند السؤال يحمل على عدم نزول الحكم؛ لأن السؤال عما لم يقع، أو عما وقع والسائل ينتظر حكمه، فيفهم من السكوت عدم الحكم فيبقى واقفًا".[٢]

فإذا سُئل النبي- صلى الله عليه وسلم- عن مسألة ليس فيها حكم فسكت، فإن ذلك السكوت لا دلالة له على حكم، وإنما يؤخذ الحكم بعد نزول الوحي، فإذا لم يأت بيانٌ بعد ذلك بقي حكم تلك الحادثة على الأصل.

أما إن كان فيها حكم، فقد كان- صلى الله عليه وسلم- يبيّنُه؛ لأنه مأمور بالبيان في قوله- تعالى-: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

<u>ومما ورد في السنة من هذا النوع من سكوته- صلى الله عليه وسلم-:</u>

- ما رواه جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-، قال:" جاءت امرأة سعد بن الربيع- رضي الله عنه- بابنتي سعد إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-

---

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٨. والْمُهَذَّب في علم أصول الفقه الْمُقَارَن: د. عبد الكريم بن علي بن محمد النملة ١٢٥٢/٣، دار النشر: مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٥.

(١) مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول: للشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسيني التلمساني (المتوفى٧٧١هـ) ص (٥٨١)، تحقيق: د. محمد علي فركوس- جامعة الجزائر، الناشر: مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء:١.

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج "منهاج الوصول للبيضاوي": لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، ثم ولده تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب،١٨٢/٢، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ٣.

(٣) سورة النحل: من الآية ٤٤.

فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد قُتل معك يوم أحد، وإن عمهما أخذ جميع ما ترك أبوهما، وإن المرأة لا تُنكح إلا على مالها، فسكت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى أنزلت آية الميراث [1]، فدعا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أخا سعد بن الربيع فقال:" أعط ابنتي سعد ثلثي ماله، وأعط امرأته الثمن، وخذ أنت ما بقي".[2]

فدل ذلك على أنه قبل نزول آية الميراث لم يكن في المسألة حكم، وإلا لما جاز تأخيره عن وقت الحاجة إليه.[3]

- ومنه كذلك: ما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه:" أن مِرْثَدَ بن أَبِي مِرْثَدٍ الْغَنَوِيّ كان يحمل الأُسارى بمكة، وكانت بمكة بَغِيٌّ يقال لها عَنَاقُ، وكانت صديقته. قال: فجئتُ النبي- صلى الله عليه وسلم-، فقلت: يا رسول الله، أنكِحُ عَنَاقَ؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿ الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِين﴾[4]، فدعاني فقرأها عليّ، وقال: "لا تنكحها".[5]

---

(١) آية الميراث: هي قوله- تعالى-:{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ... الآية} [النساء: ١١].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ١٢١، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب، رقم (٢٨٩٢)، والترمذي في السنن ٤/ ٤١٤، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات، رقم (٢٠٩٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل)، وابن ماجه في السنن ٢/ ٩٠٨، كتاب الفرائض، باب فرائض الصلب، رقم (٢٧٢٠)، واللفظ له.

(٣) التحبير شرح التحرير ٦/٢٨٠٩.

(٤) سورة النور:٣.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢/٢٢٠) كتاب النكاح، باب قوله- تعالى-: {الزاني لا ينكح إلا زانية}رقم (٢٠٥١) واللفظ له، والترمذي في سننه ٥/٣٢٨ كتاب التفسير، باب: ومن سورة النور، رقم (٣١٧٧) وقال: "حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

وقد ذكر الشاطبي عشرة مواضع لكراهية السؤال، منها: [1]

أن يكون سكوته- صلى الله عليه وسلم- عن الجواب على سبيل الإنكار للسؤال نفسه؛ لأنه مما لا ينبغي أن يُسأل، أو لما يترتب على الإجابة من مشقة على الأمة. فقد نهى الله- تعالى- عن السؤال عن الأمور التي عفا عنها، فقال- تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيم﴾[2].

وقد نهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن كثرة السؤال، فقد روى المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:" إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومَنَعَ وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".[3]

وروى أَبو هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا"، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم-:" لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ:" ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا

---

(١) راجع: الموافقات في أصول الشريعة: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى:٧٩٠هـ) ٥/ ٣٨٧-٣٩٢، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان- مصر، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧.

(٢) سورة المائدة:١٠١.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٠/٣، كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال، رقم (٢٤٠٨) واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣٤١/٣، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (١٢- ٥٩٣).

اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ".[1]

المطلب الثالث: سكوته- صلى الله عليه وسلم-عَمّا تبين حكمه من قبل.

إذا سئل النبي- صلى الله عليه وسلم-عمَّا قد تبيَّن حكمه بنص من الكتاب أو السنّة قبل ذلك فسكت، فإن هذا السكوت قد يكون إحالةً منه- صلى الله عليه وسلم- على البيان السابق.

قال السمعاني:" وأما الشيء إذا كان له أصل في الوجوب أو السقوط، فإن السكوت قد يقع عنه في بعض الأحوال استغناء بما تقدم من البيان فيه، وليس تكرار البيان واجبًا في كل حال".[2]

فهل إذا سئل النبي- صلى الله عليه وسلم- عن حكم واقعة، أو حدثت الواقعة بحضرته، فبيّن بعض أحكامها، وسكت عن البعض الآخر، فهل يدل سكوته عنه على انتفائه؟

هذه المسألة لها صورتان:[3]

الصورة الأولى: أن يكون المسكوت عنه قد تبيّن حكمه قبل ذلك بدليل صحيح، وفي تلك الحال لا يكون سكوته عما سكت عنه دليلاً على انتفائه، بل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٧٥/٢) كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم (٤١٢/ ١٣٣٧).

(٢) قواطع الأدلة في الأصول: لمنصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ٦٤/٢، المحقق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

(٣) انظر: أفعال الرسول- صلى الله عليه وسلم- وَدَلاَلَتَهَا على الأحكام الشَّرْعِيَّةِ: لمحمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (المتوفى:١٤٣٠هـ) ٧٣/٢، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه- كلية الشريعة- جامعة الأزهر، عدد الأجزاء: ٢.

يكون إحالة منه – صلى الله عليه وسلم– على البيان السابق.

فإذا ورد دليل ببيان حكم في مسألة، وسكت– صلى الله عليه وسلم– عن بيان بعض أحكامها مع اقتضاء المقام بيانها، فإنه يدل على عدم إرادة الشارع له؛ لأنه لو أراده لما سكت عنه في موضع يحتاج فيه المكلف إلى بيان حكمه.

وفي ذلك يقول شهاب الدين الزَّنْجَانِيُّ: "إِذا سُئِلَ رَسُول الله– صلى الله عليه وسلم– عَن قَضِيَّة تَتَضَمَّن أحكامًا، فَبيَّن بَعْضهَا وَسكت عن الْبَعْض، وَكَانَ الْبَعْض الْمَسْكُوت عَنهُ مِمَّا يحْتَاج إِلَى بيان من الرَّسُول– صلى الله عليه وسلم– كَانَ سُكُوته وإعراضه عَنهُ مَعَ الْمعرفَة دَلِيلاً على انْتِفَاء وُجُوبه عندنَا، إِذْ لَو كَانَ وَاجِبًا لبيَّنه– صلى الله عليه وسلم– فإن الْحَاجة ماسة إِلَى الْبَيَان، وَتَأْخِير الْبَيَان عَن وَقت حَاجَة مُمْتَنع وفَاقًا. وَقَالَ أَبُو حنيفَة لَا يدل على انْتِفَاء الْوُجُوب، فإن السُّكُوت لَا دلَالَة لَهُ على الْأَحْكَام".[1]

الصورة الثانية: أن يكون المسكوت عنه مما يُظَنّ ثبوته، أو يُتردّد فيه، لتعارض الأدلة، فينبغي أن يكون السكوت عنه دليل انتفائه.

"كأن يسكت– صلى الله عليه وسلم– عما لم تشتمل عليه أدلة الشرع، ومما ذكر له في القرآن، والمستفتي ليس خبيرًا بأدلة الشرع بصيرًا بالأحكام. فسكوته– صلى الله عليه وسلم– في مثل ذلك حجة، وإلا لزم تأخير البيان عن وقت الحاجة، فإنه لو كان واجبًا عليه لبيَّنَه."[2]

---

(١) تخريج الفروع على الأصول: لمحمود بن أحمد بن محمود، شهاب الدين الزَّنْجاني الشافعي (المتوفى: ٦٥٦هـ) ١٢٤/١، المحقق: د. محمد أديب صالح، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت– لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ، عدد الأجزاء: ١.

(٢) نقله الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى:٧٩٤هـ) ٦٣/٦، الناشر: دار الكتبي– القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.

وقد ذكر الأصوليون أمثلة لهذه المسألة، أورد منها مثالين:[١]

المثال الأول: ما ورد في حديث يعلى بن أمية:" أَنَّه قَالَ لِعُمَرَ- رضي الله عنه-: أَرِنِي النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- حِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ:" فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- بِالْجِعْرَانَةِ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ، وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- سَاعَةً، فَجَاءَهُ الوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ- رضي الله عنه- إِلَى يَعْلَى، فَجَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- مُحْمَرُّ الوَجْهِ، وَهُوَ يَغِطُّ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: "أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ العُمْرَةِ؟" فَأُتِيَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: "اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِي بِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَانْزِعْ عَنْكَ الجُبَّةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ". [٢]

فهل سكوته- صلى الله عليه وسلم- عن الكفارة يدلّ على أنه لا كفارة على الجاهل؟ أم أنه إنما سكت عن ذلك إحالةً على ما ورد من نصوص أخرى في وجوب الفدية على خرق محظورات الإحرام؟

ذهب الحنفية [٣] والمالكية [٤] إلى وجوب الكفارة بناءً على أن السكوتَ هنا

---

(١) انظر: قواطع الأدلة ٦٤/٢، والبحر المحيط ٦٣/٦.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ١٣٦، كتاب الحج، باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب، رقم (١٥٣٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه ٢/ ٨٣٦، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح، رقم (٦-١١٨٠).

(٣) انظر: الاختيار لتعليل المختار: لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، مجد الدين أبي الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ) ١/ ١٦٤، الناشر: مطبعة الحلبي- القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م، عدد الأجزاء: ٥.

(٤) انظر: الكافي في فقه أهل المدينة: لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ١/ ٣٧٤، المحقق: محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة- الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٢.

إحالةٌ على ما ورد من نصوص في حُكْم خرق محظورات الإحرام. كقوله- تعالى-: ﴿ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[1].

وذهب الشافعية [2] والحنابلة [3] إلى أن السكوت هنا دليل على عدم وجوب الفدية على الجاهل.

واستدلوا على ذلك بأن الأعرابي الذي يجهل حرمة لبس الجبة والتطيب على المحرم حريّ به أن يكون جاهلاً بلزوم الفدية، ولا شك أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان مدركًا لذلك، ومع ذلك سكت عن حكم الفدية فدلّ ذلك على عدم وجوبها.

فقد أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- السائل بغسل الطِّيب ونزع الجبَّة، لكنه - صلى الله عليه وسلم -سكت عن أمره بالفدية من استعماله بعض محظورات الإحرام، وهو الطِّيب واللباس، وكان المظنون أن يأمره بذلك، قياسًا على حلق الشعر الذي تجب فيه الفدية بالنصّ القرآني، ولو كان عالِمًا لوجبت عليه الفدية. فقد يدل ذلك على سقوط الفدية عمَّن لبس أو تطيَّب جاهلاً بالتحريم.[4]

المثال الثاني: ما ورد في قصة الرجل الذي وطئ زوجته في نهار رمضان،

---

(١) سورة البقرة: ١٩٦.

(٢) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ٣/ ١٣٢، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ -١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٢، والبحر المحيط ٤/ ٢٧١.

(٣) انظر: المغني: لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ٣/ ٢٥٨، الناشر: مكتبة القاهرة، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، عدد الأجزاء: ١٠

(٤) انظر: أفعال الرسول- صلى الله عليه وسلم - للأشقر ٢/٧٤.

فأمره النبي– صلى الله عليه وسلم– بالكفارة، وسكت عن بيان حكم زوجته.

فقد ورد من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– أنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ– صلى الله عليه وسلم–، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: "مَا لَكَ؟" قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صلى الله عليه وسلم–: "هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟" قَالَ: لاَ، قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ"، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا". قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ– صلى الله عليه وسلم–، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ– صلى الله عليه وسلم– بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ– وَالعَرَقُ المِكْتَلُ– قَالَ: "أَيْنَ السَّائِلُ؟"، فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: "خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ" فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا– يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ– أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ– صلى الله عليه وسلم– حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ". [1]

فهل يدلّ سكوته عن حكم المرأة على أنه لا كفارة عليها ؟ أم أن سكوته ذلك إحالة على ما عُلِمَ من استواء الرجل والمرأة في أحكام كفارات الإفطار في رمضان؟

استدل بذلك بعض الفقهاء على أن المرأة لا يجب عليها لذلك كفارة.

فقد ذهب الشافعية– في أظهر القولين– [2]، ورواية عن أحمد [3] إلى اعتبار السكوت دليلاً على عدم وجوب الكفارة على المرأة.

وذهب الجمهور[4] إلى خلاف ذلك بناءً على كون السائل عالِمًا بأحكام

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣٢، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر، رقم (١٩٣٦) واللفظ له. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٨١، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، رقم (٨١– ١١١١).

(٢) انظر: روضة الطالبين ١/١٦٠، وتخريج الفروع على الأصول ١/١٢٤.

(٣) انظر: المغني ٣/ ١٣٧.

(٤) انظر: الاختيار لتعليل المختار ١/ ١٣١، والذخيرة في فروع فقه المالكية: لأبي العباس

الدين، واستواء الرجال والنساء في أحكام المفطرات. وأما المرأة فيجب عليها إذا كانت مطاوعة لعموم الحديث الثاني؛ ولأن هذا الفعل يقوم بهما، فيجب عليها ما يجب عليه كالغسل والحد، وإن كانت مكرهة لا كفارة عليها كما في النسيان لاستوائهما في الحكم بالحديث، ولو أكرهت زوجها فجامعها يجب عليهما.

على أن دلالة السكوت في المثال الأخير أضعف منها في المثال الأول؛ لأن ظاهر الحديث الأول أن الأعرابي كان جاهلاً بحرمة فعله، والحكمُ أيضًا كان مجهولاً له ولغيره من المسلمين، بدليل أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- انتظر نزول الحكم لإنشاء حكم للمسألة، فلو كانت عليه كفارة لأخبره بها حتى لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة. أما قصة الأعرابي الذي انتهك حرمة شهر رمضان فظاهرها يفيد أن الأعرابي كان عالِمًا بحرمة فعله؛ ففي بعض الروايات أنه جاء ينتف شعره، ويقول: هلكت وأهلكت، كما أن حكم فعله كان معلومًا للرسول- صلى الله عليه وسلم-وأصحابه، إذْ أفتاه الرسول- صلى الله عليه وسلم- مباشرة بما هو ثابت من حكمٍ في المسألة، فربما بيّن له- صلى الله عليه وسلم- حكمه هو، وأحاله على ذلك الحكم بالنسبة لزوجته، فما دام الجرم واحدًا فالكفارة واحدة، خاصة وأنه لم يرد أن الرجل سأل عن حكم زوجته، فلا يكون عدم النص على حكم المرأة نصًّا على سقوط الكفارة عنها، إذْ يجوز أن يكون الجواب على قدر السؤال، والسؤال كان عن حكم الرجل وحده.

ويُستخلص من هذين المثالين التفريق بين كون المسكوت عنه قد تبيّن حكمه بدليل صحيح ويفترض في المستفتي أن يكون عالِمًا به، فلا يدلّ السكوت في هذه الحال على انتفاء الحكم عن المسكوت عنه، وأن يكون المسكوت عنه مما لم يرد

شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ٥١٨/٢، تحقيق: ج ١، ٨، ١٣: محمد حجي، ج ٢، ٦: سعيد أعراب، ج ٣- ٥، ٧، ٩- ١٢: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣ ومجلد للفهارس)، والمغني ٣/ ١٣٧.

فيه حكم من قَبْلُ، أو مما يتردد حكمه، أو يلتبس على المستفتي فيمكن أن يكون السكوت عنه دليلاً على انتفائه. [1]

قال السمعاني:" وإنما صارت دلالة هذا أضعف من دلالة الخبر الأول؛ لأن السائل في هذا الخبر قد أنبأ عن علمه بأنه ارتكب معصية، ألا ترى أنه قال: هلكتُ وأهلكتُ. وإذا كان المبتلى بالحادثة من أهل الاستدلال كان دليل الشك معه أوهى وأضعف.

ثم قال: "ومجرّد السكوت لا يدل عندنا على سقوط ما عدا المذكور، كما يدل عند من يذهب إلى أن الأصل في الأشياء الإباحة، وإنما هو بحسب الحال، وقيام الدليل عليه.

ومراتب الاستدلال بالسكوت تختلف، فأقوى ما تكون دلالة السكوت على سقوط ما عدا المذكور، إذا كان صاحب الحادثة- يعني المستفتي- جاهلاً بأصل الحكم في الشيء، ولم يكن من أهل الاستدلال".[2]

وقد عُهِد من النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه إن عَرَفَ من حال السائل أنه يجهل بعض الأحكام التي يحتاج إليها أنه يذكرها له وإن لم يسأل عنها. فمن ذلك ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال:" سأل رجل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: هو الطَّهور ماؤه، الحل ميتته".[3]

فأفادهم حكمًا لم يسألوا عنه، وهو حكم الميتة؛ لأن جهلهم جواز الطهارة

---

(١) انظر: البحر المحيط ٤/ ٢٠٨، أفعال الرسول- صلى الله عليه وسلم- ٢/ ٧٤ - ٧٥.

(٢) قواطع الأدلة ٦٤/٢ وما بعدها.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ١/ ٢١، كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، رقم (٨٣) واللفظ له. والترمذي في سننه ١/ ١٠٠، كتاب الطهارة، باب في ماء البحر أنه طهور، رقم (٦٩)، وقال: "حسن صحيح".

بمائه يدل بالأَوْلى على جهلهم إباحة ميتته، وهم يحتاجون إلى معرفة ذلك.

فإن كان السائل ممن له حظ من العلم، وكان له بصر بالأدلة والأحكام، فيمكن أن يكون النبي- صلى الله عليه وسلم- سكت، لا لانتفائه، وإنما تركه ثقة بفهم السائل، فهو يجيبه عما يخفى عليه، ويترك إجابته عما يثق بفهمه له.[1]

(١) أفعال الرَّسول- صلى الله عليه وسلم- للأشقر ٢/٧٥.

الخاتمة

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد توصل هذا البحث إلى ما يلي:

السكوت في موضع الحاجة إلى البيان بمنزلة البيان، وسكوت النبي– صلى الله عليه وسلم– الدال على بيان حكم شرعي قد يكون عن أمر لم يظهر في زمن التشريع وسكت الشرع عن إعطاء حكم فيه، أو سكوت عن سؤال يحتاج إلى جواب ولم يُجِب عنه.

فيكون سكوته– صلى الله عليه وسلم– بعد السؤال عن حكم أو واقعة لم يتبين حكمها قبل ذلك يدلَّ على أنه لا حكم للشرع في هذه الواقعة، ويكون سكوته– صلى الله عليه وسلم – انتظارًا للبيان من الوحي.

وإذا سئل النبي– صلى الله عليه وسلم– عمَّا قد تبيَّن حكمه بنص من الكتاب أو السنّة قبل ذلك فسكت، فإن هذا السكوت قد يكون إحالةً منه– صلى الله عليه وسلم– على البيان السابق.

فإذا سُئل النبي– صلى الله عليه وسلم– عن مسألة ليس فيها حكم فسكت، فإن ذلك السكوت لا دلالة له على حكم، وإنما يؤخذ الحكم بعد نزول الوحي، فإذا لم يأت بيانٌ بعد ذلك بقي حكم تلك الحادثة على الأصل.

أما إن كان فيها حكم، فقد كان– صلى الله عليه وسلم– يبيّنُه؛ لأنه مأمور بالبيان في قوله– تعالى–: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون ﴾[1].

والله أعلى وأعلم.

---

(١) سورة النحل: من الآية ٤٤.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الإبهاج في شرح المنهاج "منهاج الوصول للبيضاوي": لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، ثم ولده تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ٣.
- الإحكام في أصول الأحكام: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة- بيروت، عدد الأجزاء: ٨.
- الاختيار لتعليل المختار: لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، مجد الدين أبي الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي- القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م، عدد الأجزاء: ٥.
- أصول الشاشي: نظام الدين أبي علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي الحنفي (المتوفى: ٣٤٤هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، بدون طبعة أو تاريخ ، عدد الأجزاء: ١.
- أفعال الرسول- صلى الله عليه وسلم- وَدَلاَلَتَهَا على الأحكام الشَّرْعِيَّةِ: لمحمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (المتوفى:١٤٣٠هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه- كلية الشريعة- جامعة الأزهر، عدد الأجزاء: ٢.
- البحر المحيط في أصول الفقه: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى:٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.
- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين،

الناشر: دار الهداية- القاهرة، بدون طبعة أو تاريخ، عدد الأجزاء: ٤٠.
• التحبير شرح التحرير: لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٨.
• تخريج الفروع على الأصول: لمحمود بن أحمد بن محمود، شهاب الدين الزَّنْجاني الشافعي (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: د. محمد أديب صالح، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ، عدد الأجزاء: ١.
• التعريفات: لعلي بن محمد بن علي، الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.
• الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه (صحيح البخاري): لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩(مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق).
• حاشية رد المحتار على الدر المختار، المعروفة بحاشية ابن عابدين: لمحمد أمين بن عمر بن عابدين الحنفي (المتوفى١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦.
• الذخيرة في فروع فقه المالكية: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) تحقيق: ج ١، ٨، ١٣: محمد حجي، ج ٢، ٦: سعيد أعراب، ج ٣- ٥، ٧، ٩- ١٢: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣

ومجلد للفهارس).

• روضة الطالبين وعمدة المفتين: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٢.

• سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، بدون تاريخ أو طبعة، عدد الأجزاء: ٤.

• سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ٤، ٥) الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

• الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت- لبنان، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

• قواطع الأدلة في الأصول: لمنصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

• الكافي في فقه أهل المدينة: لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة- الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٢.

• كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى:٧٣٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي- بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٤.
• لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
• المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-(صحيح مسلم): لمسلم بن الحجاج، أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، عدد الأجزاء: ٥.
• مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول: للشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسيني التلمساني (المتوفى٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمد علي فركوس- جامعة الجزائر، الناشر: مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء:١.
• المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء:١.
• الْمُهَذَّب في علم أصول الفقه الْمُقَارَن: د. عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، دار النشر: مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٥.
• الموافقات في أصول الشريعة: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى:٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان- مصر، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧.

الماركسية الجديدة ولانهائية التاريخ عند جاك دريدا

د. شريف مصطفى أحمد
مدرس بقسم الفلسفة - كلية الآداب
جامعة الفيوم

يونيو ٢٠١٥

مقدمة:

في كتابه المثير للجدل "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" (١٩٩٢)، ادعى المنظر السياسي الأمريكي فرانسيس فوكوياما (١٩٥٢- ؟)أن التاريخ قد انتهى؛ لأن الديمقراطية الليبرالية الغربية قد انتصرت على الشيوعية والماركسية، وأعلن أن الصراع الأيديولوجي أصبح شيئا من الماضي: "الآن نحن ندرك أنه لا يمكن تطوير نموذج الديمقراطية الليبرالية أكثر من ذلك". وعلى الرغم من أن الكثير من المفكرين قد دعموا هذا الطرح الجريء الذي طرحه فوكوياما، خاصة خلال الفترة الأولى التي أعقبت انهيار الشيوعية في أوروبا، فقد كان دريدا واحدا من أسرع الأصوات المعارضة حيث تساءل متعجبا " كيف يكون خطاب من هذا النوع؟"، وصرح بلهجته الأكثر صدامية: " لقد سعى أولئك الذين يحتفلون بانتصار الرأسمالية الليبرالية وتحالفها المقدر مع الديمقراطية الليبرالية إلى إخفاء، أولا وقبل أي شخص آخر عن أنفسهم، حقيقة أن هذا النصر لم يكن أبدا حاسما، بل هو انتصار هش ومهدد، وينطوي على مضامين كارثية".[١]نعم لقد تفككت الشيوعية في أوروبا، ولكن هل يستتبع ذلك بالضرورة فوز الديمقراطية الليبرالية، وبصحبتها النظام الاقتصادي الرأسمالي؟، هل كلنا يريد فوز الرأسمالية الديمقراطية الليبرالية أو حتى نعتقد أنه من المرغوب فيه أن يحدث ذلك؟. فقد شعر فريق من المفكرين بإحساس غامض بالخوف حول التغييرات المرجح أن تأتي بعد الانتصار الواضح لاقتصاديات السوق الحرة؛ خوف ينبع ـ على الأقل ـ من أن مثل هذه التغيرات قد تكون "ضارة ... كما قد تكون نافعة".[٢]

من هنا كانت المهمة التي حددها دريدا لنفسه في مؤلف بعنوان "أشباح ماركس" ١٩٩٣، وهو ثمرة ندوة دولية حول مستقبل الماركسية عقدت في جامعة كاليفورنيا عام ١٩٩٣، تجسد ما يكمن وراء هذا الشعور بالتخوف، من أجل إثبات أن ادعاءات فوكوياما ليست أكثر من مجرد ثقة أيديولوجية خادعة، ذلك أن إعلان "نهاية التاريخ" لم يكن هدفه سوى قمع الماضي ومقاطعته

لقد حاول دريدا إحياء سمعة كارل ماركس ربما من أدنى نقطة في التاريخ الفكري لهذا المفكر، وذلك في أعقاب هدم سور برلين، وانهيار الشيوعية السوفيتية والدول التابعة لها، لكنه لم يسع إلى إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء. إن الماضي لن يعود لكن أفكارا منه لن تموت. إن ماركس دريدا مختلف تماما عن ماركس التقليدي، كما يقول "هو ماركس تعددي". فهناك أكثر من ماركس، بل "إن هناك ماركسية على اليمين وماركسية على اليسار".[٣] إن ماركس عرضة للتأويل والمراجعة استجابة للظروف الثقافية المتغيرة، لكنه لم يكن ـ ولن يكون ـ مصدرا لحقيقة إنجيلية عن كيفية تغيير العالم للأفضل عبر إعادة تنظيم الحياة الاقتصادية والسياسية وفقا لمباديء قابلة للتطبيق عالميا.

ويحاول الباحث في هذه الدراسة تحليل ما يعنيه دريدا بعودة ماركس؟ وما الذي يقصده بالماركسية الجديدة؟ وكيف يمكن التوفيق بين الليبرالية والماركسية؟ وهل أصبح الطريق الثالث بين الفردية والجماعية هو الطريق الأنسب الذي يتوجب على المجتمعات الإنسانية أن تسير فيه؟.

وحيث تسعى هذه الدراسة إلى تقديم تحليل نقدي لمفهوم نهاية التاريخ في الفكر ما بعد الحداثي، ودفاع دريدا عن الماركسية والمطاردة ولانهائية التاريخ من خلال أشباح ماركس، وذلك باعتماد منهجية تحليل المضمون والدراسة النقدية المقارنة للأفكار المطروحة.

ولتحقيق هذه الأهداف يتعرض الدارس بالبحث والتحليل للعناصر الآتية:

أولا: الفكر النهائي فيما بعد الحداثة

١- بودريار ونهاية التاريخ

٢- يوتارد ونهاية التاريخ

٣- فوكوياما ونهاية التاريخ

ثانيا: دريدا: شبح ماركس وتأجيل النهاية

ثالثا: معنى المطاردة عند دريدا

رابعا: ماركسية دريدا وليبرالية فوكوياما

خاتمة

أولا: الفكر النهائي فيما بعد الحداثة

عندما نستعرض تاريخ الفلسفة ومراحل تطورها سنجد أن هناك عددا كبيرا من المفكرين يعلنون "نهاية" شيء أو آخر، فقد أعلن بعضهم نهاية التاريخ، وأعلن بعضهم نهاية الإنسانية، وأعلن بعضهم نهاية الأيديولوجيا، في حين أعلن بعضهم الآخر نهاية الحداثة، وأعلن غيرهم نهاية الفلسفة، وأعلن آخرون نهاية الإنسان، ويعد العالم من بين المرشحين الأكثر شعبية في الآونة الأخيرة لإعلان نهايته. ومن قبل توقعت بعض الديانات نهاية العالم في الماضي، وغالبا عدة مرات. لكن ما يمنح فكر النهاية تطورا جديدا، أو أعطاه ـ على أقل تقدير ـ دفعة إضافية ورنينًا، هو حلول ألفية جديدة. فقد شكلت نهاية القرن العشرين بشكل خاص أرضا خصبة "لتأمل النهاية" من جميع الأنواع بما فيها تطور ما أشار إليه دريدا، باستخفاف إلى حد ما، بـ " النغمة الرؤيوية في الفلسفة"، ففترات نهاية القرن تكون ـ بشكل تقليدي ـ الأكثر استجابة لمثل هذه التكهنات "الرؤيوية". والجدير بالاعتبار هو أن العديد من هذه النهايات مترابط: فعندما تنتهي الايديولوجيا، كذلك ينتهي التاريخ، وعندما تنتهي الحداثة، تنتهي الإنسانية، وعندما ينتهي تصورنا الحالي للإنسان، كذلك تنتهي الإنسانية مرة أخرى. وقد تحدث نهاية العالم، كما حذرتنا الحركة الخضراء التي وضعت بشكل جماعي بقاء بيئتنا على المحك، بسبب التجاوز المتزامن للأيديولوجيا، والحداثة، والإنسانية والماركسية. ويدعونا بعض العلماء والفلاسفة إلى التفكير في نهاية لا مفر منها على ما يبدو لكوننا عندما تتوقف شمسنا عن السطوع خلال بضعة مليارات من السنوات، ويتساءلون ما إذا كان ينبغي أن يصبح هذا الحدث شاغلنا الرئيسي؟. وقد رأي يوتارد في وقت متأخر من حياته أن هذه الكارثة القادمة قد تكون أكبر مشكلة تواجهنا: " بينما نحن نتحدث، الشمس يتقدم بها العمر. سوف تنفجر في ٤,٥ بليون سنة. إنها على بعد قليل من نقطة منتصف الطريق من حياتها المتوقعة ...ذلك، في رأيي، هو السؤال الخطير الوحيد الذي يواجه البشرية اليوم".[٤]

ويتناسب الفكر النهائي تماما مع الحركة الثقافية المعروفة باسم ما بعد الحداثة، التي تحثنا بقوة على أن نحرر أنفسنا من السلطة التقليدية، ومن أن الماضي يمكن أن يمارس نفوذا على تفكيرنا وسلوكنا. وهنا يظهر المنظرون الفرنسيون. فموت الإنسان –غالبا ما يشار إليه باسم "موت الذات"– كما طرحه ميشيل فوكو، على سبيل المثال، يعني وفاة تصور معين للإنسان تقره التقاليد الإنسانية التي نظرت إلى الإنسان باعتباره مقياس كل الأشياء، وباعتباره قادر علي تحسن لا نهائي على المستوى الشخصي. وفقا لفوكو، كان هذا بسبب فرضية افترضناه نحن وقادتنا إلى صورة مشوهة للطبيعة البشرية، ومن ثم، نموذج يمكننا أيضا تجاهله: "الإنسان هو إبداع التاريخ الحالي، وربما يقترب المرء من نهايته".[٥] وعندما تأتي هذه النهاية، فإننا لسنا بحاجة إلى اعتبارها أكثر أهمية من محو "وجه مرسوم في رمال على حافة البحر". وقد ردد كلود ليفي شتروس مشاعر مماثلة في وقت سابق في دراسته الانثروبولوجية التي مالت إلى التقليل من أهمية الأفراد (أو الذوات) في نظام الأشياء، وأكدت أن الأنساق أهم من الأفراد، كما تبنت موقف التشكك تجاه السردية الماورائية، حيث تشير السردية الماورائية metanarrative لنظرية عالمية، مثل الماركسية تطرح دائما ادعاء أنها كذلك .[٦] ويخبرنا ليوتار في كتابه الأكثر شهرة، الوضع ما بعد الحداثي (١٩٧٩) أن السمة المميزة للرؤية ما بعد الحداثية، والتي تعزز شكوكية صحية، شكوك حول جميع هذه المثل الثقافية باسم "إنسان" الإنسانية، وأيضا عن المجتمعات الاستغلالية التي ساعدت هذا المثال على التوالد على مر القرون القليلة الماضية في الغرب.[٧]

لكن السؤال هو هل يمكننا بسهولة أن نتجاهل التقليد والماضي كما يعتقد ما بعد الحداثيين؟. دريدا أكثر حذرا بشأن هذه المسألة، ويرى أن علينا أن نتساءل عن دوافع أولئك الذين يضغطون علينا بقوة لرفض ماضينا؟.

١- بودريار ونهاية التاريخ

انجذب مفكرو ما بعد الحداثة إلى مفاهيم مثل نهاية التاريخ. ولا يعد هذا مدهشا على الإطلاق، بالنظر إلى أن ما بعد الحداثة هي حركة تدعي أن الاعتقاد في الطرق القديمة في عمل الأشياء قد كسر دون رجعه. ووفقا للعبارة الشهيرة التي كتبها عميد الفكر ما بعد الحداثي، جان فرانسوا ليوتار (١٩٢٤ – ١٩٩٨)"لم نعد نلجأ إلى الحكايات الكبرى – لا يمكننا اللجوء إلى جدل الروح ولا حتى تحرير الإنسانية كإقرار بمشروعية الخطاب العلمي ما بعد الحداثي؟ ".[٨] إن العلم في هذه الحالة هو سبيلنا إلى عالم المجهول، ولا يمكن للتقليد أن يقدم أدنى مساعدة تذكر في الرد على أية استفسارات. الماضي وبشكل خاص رواياته الكبرى (أي النظريات العالمية) لا يمكن أن يخبرنا شيئا عما سيكون عليه المستقبل، عالم لا يمكن التنبؤ به، سينتقل إلى حيز الوجود. وماركس، بعبارة أخرى، لم يعد يمكن اعتباره نبيا ينشر حكمة لا تقبل الجدل. لقد جربنا روايته الكبرى ووجدناها معيبة بشدة، وليس لدينا في النهاية أي شيء أكثر نأمله منها. صحيح أن هناك أشياء نستطيع أن نتعلمها من الماضي، التاريخ يتألف من حداثيات ومابعد حداثيات متناوبة وفقا ليوتارد، ولكن لسنا مضطرين مطلقا إلى اعتبار أنفسنا مقيدين برؤاه أو تصوراته العالمية للتطور الاجتماعي والتاريخي :وداعا هيغل، وداعا ماركس.[٩]

إن التاريخ، وفقا لبودريار(١٩٢٩ – ٢٠٠٧)، هو مصدر مشكلات البشرية وليس مجرد موقع وجودها، وفي أفضل مواقفه من التاريخ هو يدعو لإلغاء التاريخ " في التاريخ نشعر بالاغتراب، وعندما تركنا التاريخ، فإننا نترك الاغتراب أيضا – ليس بدون حنين إلى الماضي، علينا ان نقول، بفضل الدراما القديمة الجيدة للذات والموضوع. إن حل الصراع السياسي، على ما يبدو، هو أن يصبح سياسي وحسب، ولكن كما أسرع نقاد بودريار بالإشارة، إن هذا يصل بنا إلى حد قبول الوضع السياسي القائم.[١٠] ومن ثم تعطيل الفعل السياسي، الذي يوصي به بودريار بقوة كمجال من مجالات الوجود في العديد من أعماله اللاحقة، بل وعلى

أقل تقدير، كما يلاحظ منتقدوه، يجعل الحياة أسهل بكثير بالنسبة لمن يسيطرون على الوضع القائم . إن تبني خط بودريار يؤدي إلى معارضة أقل نشاطا بكثير للنظم االسياسية القائمة. أن تلغي التاريخ هو في الوقت نفسه أن تلغي إمكانية التغيير السياسي، ويتشارك بودريار مع فوكوياما في ذنب حيازة أجندة أيديولوجية مستترة.

٢- يوتارد ونهاية التاريخ

يقدم يوتارد رؤية قاتمة لنهاية التاريخ ونهاية العالم. ففي مؤلفه "اللاإنساني" يصور العالم حيث تعني قوى العلم التكنولوجي، والرأسمالية المتقدمة، قبل كل شيء، بمد الحياة إلى ما بعد كوننا الفسيح. إنها لن تكون الحياة كما نعرفها حاليا، بل ما ننشده هو القدرة على جعل التفكير ممكنا دون وجود جسم. الأجسام، تحت رحمة وفاة الشمس، تعتبر عائق[١١]. ويمضي يوتارد ليرسم رؤية كابوسية فيها تتولى الحاسبات الآلية أمر الإنسان، نظرا لأنها أكثر مناعة وكفاءة من البشر، بل وأكثر أهمية من وجهة نظر علماء التقنية، وأكثر قبولا للتحكم: من بين الأحداث التي يحاول البرنامج تحييدها قدر الإمكان، للأسف، أيضا حساب الآثار الناتجة عن الصدفة والحرية التي ترتبط بالمشروع الإنساني. يصبح جسم الإنسان جهاز عفى عليه الزمن في مثل هذا المخطط ، حيث أن البرامج(السوفت وير)، الفكر، هي العنصر الثمين. هذا الفكر، مع ذلك، منفصل عن الجسم حيث يشغل بشكل معياري حيز، والفكر تحت رقابة صارمة من برنامج معني بالكفاءة والاستبعاد الواضح لكل الاعتبارات الأخرى.[١٢]

ما يصوره يوتارد هو الجانب المظلم من دولة بودريار ما بعد التاريخية المتحررة من الاغتراب. ليس هناك بالتأكيد تاريخ هنا. كما يصرح يوتارد بحدة: هل من جهاز كمبيوتر في هذه اللحظة؟ هل يمكن لأي شيء أن يحدث معه؟ هل يمكن لأي شيء أن يحدث له؟ لا يوجد أي اغتراب، مجرد حاضر لا نهائي مع برامج كمبيوتر ذات كفاءة عالية، ولا جسمية، ينفذون مهامهم المخصصة لهم دون

طوارئ وحرية مرتبطة بالمشروع الإنساني. [١٣]نهاية التاريخ ، كما هندستها القوى الفنية والعلمية، تبدو حالة غير مرغوب فيها للغاية؛ حالة "غير إنسانية"، في الواقع، حالة من واجبنا أن نعارضها بكل ما أوتينا من قوة – على الرغم من أنه أقل تفاؤلا حول فرصنا النهائية في النجاح في النضال المحتمل. المشروع العلمي التقني يبدو الحكاية الكبرى التي ستجهز على كل الروايات الكبرى، مع معارضة تتوقف عن أن تكون فعالة في غياب الإنساني.

٣- فوكوياما ونهاية التاريخ

لقد راجت نسخة فوكوياما الدرامية من نهاية التاريخ خلال الفترة التالية مباشرة لانهيار الشيوعية، متأثرة، كما بدا ذلك، بروح العصر، حيث كان التغيير السياسي في أوروبا الشرقية يجتاح بسرعة لا يمكن تصورها ذلك الجيل الذي نشأ في ظل الثوابت الثقافية العقيمة للحرب الباردة. فوفقا لما كتبه فوكوياما في أواخر ثمانينات القرن الماضي، لقد وصلنا إلى " نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للبشرية". وقد تضمن هذا رسالة انتصارية ومتفائلة: انتصارية من حيث أنه بشر بوفاة الشيوعية؛ ومتفائلة لأنه احتفى بنهاية الحرب الباردة، وسباق التسلح النووي الذي صاحبها، والشعور الهائل بانعدام الأمن، حيث استمالت هذه الظواهر جزءا كبيرا من سكان العالم على مدى عدة عقود. رأى فوكوياما موافقة عامة على رؤيته عندما كان يعاين المشهد السياسي العالمي الجديد ، مشيرًا إلى أن" توافقا ملحوظا حول مشروعية الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم ظهر في جميع أنحاء العالم على مدى السنوات القليلة الماضية، كما أنه غزا أيديولوجيات منافسه مثل الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية مؤخرا. فليس أمام المرء سوى خطوة قصيرة للاعتراف بأن الديمقراطية الليبرالية ربما تصبح "الشكل النهائي للحكومة الإنسانية"؛ " الشيوعية ليست أكثر من مجرد حلم سيئ، لحسن حظنا، نحن الآن قادرون على وضعه وراء ظهورنا"[١٤].

ويمكننا النظر إلى ادعاء فوكوياما بوصفه امتدادًا لنقاش " نهاية الأيديولوجيا" الذي دشنه مفكرون أميركيون متنوعون في خمسينيات القرن الماضي، وكان أبرزهم عالم الاجتماع دانييل بيل، الذي أكد في دراساته أن " الأيديولوجيا، التي كانت طريقا إلى الفعل، قد وصلت الآن إلى طريق مسدود." [١٥] كان بيل يتكهن من داخل حرب باردة كانت لا تزال دون حل، ولكن، بالنسبة لفوكوياما، قدم انهيار الشيوعية دليلا قاطعا على نهاية الأيديولوجيا كما عرفناها . القول بنهاية الأيديولوجيا، مع ذلك ، متناقض، فلا تزال هناك أيديولوجيا، لأن ما يتم الدفاع عنه حقا هو تدمير أيديولوجيا معارضة لأيديولوجية المرء، وفي هذه الحالة، المعارضة للديمقراطية الليبرالية. فمن المألوف في مثل هذه الحالات أن تعتقد أن خصم المرء لديه أيديولوجيا، ولكن المرء نفسه لا. العدو الوحيد هي الأيديولوجيات السيئة، وإذا كنا ندافع عن قضية الحرية والعدالة، وحقوق الإنسان، وما إلى ذلك، فإن الديمقراطية الليبرالية ليست أيديولوجيا بقدر ما هي حالة مثالية للأمور، والتي، كما يدعي فوكوياما صراحة، لا يمكن تحسينها. حيث يبدو الأمر كما لو أن كل تاريخ العالم لا بد من النظر إليه باعتباره تقدم نحو هدف أدركناه الآن، وحمدا لله على أننا قد وصلنا. إننا نعيش في أفضل العوالم الممكنة للجميع – عالم الرأسمالية الديمقراطية الليبرالية. وأي شخص ينشق عن هذه القراءة للأحداث يجب أن يكون، في أحسن الأحوال، ضال؛ وفي أسوأ الأحوال، عدوا للبشرية وذو دوافع خفية ومريبة.

لقد جاهد فوكوياما للإشارة إلى أنه لم يعلن نهاية التاريخ بالمعنى الحرفي، ولكن التاريخ بمعنى التاريخ الذي يفهم كعملية تطورية مفردة متماسكة. لقد أخفق كثير من النقاد في قراءة فكرته، فما دافع عنه، بعبارة أخرى، هو نهاية مفهوم معين للتاريخ، الذي بشكل مستغرب ربما، دفع فوكوياما إلى الاقتراب بشدة من أفكار الدعاه اللدودين لـ "التاريخ" ، هيغل وماركس. فكلاهما أيضا أعلن نهاية مفهوم

معين للتاريخ، حيث " لن يكون هناك مزيد من التقدم في تطوير مبادئ ومؤسسات أساسية، لأن كل الأسئلة الكبيرة حقا قد تم تسويتها".[١٦]

ويأتي الفرق الحاسم في ما يعتقده كل منهما أنه جوابا على الأسئلة السياسية "الكبيرة حقا". فوفقا لهيجل، هو شيء مماثل للدولة البروسية التي أنهى فيها مسيرته الأكاديمية؛ أما بالنسبة لماركس إنها الشيوعية و"ديكتاتورية البروليتاريا"، ولفوكوياما، المثال الذي " لا يمكن تحسينه" هو الديمقراطية الليبرالية. إن فوكوياما على قناعة تامة بأن السوق الحرة هي الشكل الأكثر طبيعية للتنظيم الاقتصادي، بحجة أن "منطق العلوم الطبيعية الحديثة يبدو أنه يفرض تطورا عالميا في اتجاه الرأسمالية ". شاغله العام في نهاية التاريخ هو رسم معالم "تاريخ" ينتهي أيضا بانتصار الديمقراطية الليبرالية، لأن اعتقاده الراسخ هو أن "الديمقراطية الليبرالية في الواقع تشكل أفضل الحلول الممكنة لمشكلة الإنسان ". أما النسبية الثقافية، فيرى فوكوياما أنها ليست أكثر من نتاج لتطور اجتماعي غير متكافيء، ويجب التغلب عليه عبر التقارب المستمر في أنواع المؤسسات التي تحكم المجتمعات الأكثر تقدما، حتى نصل جميعا، أو يجب أن نصل جميعا، في نهاية المِطاف، إلى نفس الوجهة.

إن التخوف الوحيد الذي يطرحه فوكوياما، هو الخوف من أن يجد " الإنسان الأخير" للتاريخ– الاسم الذي اشتقة من أعمال نيتشه– الحياة هادئة تماما ويشتاق إلى الشجار القديم: "إن حياة الإنسان الأخير هي حياة الأمن البدني والوفرة المادية.....الخطر هو أننا سنصير سعداء على مستوى واحد، ولكننا لا نزال غير راضين عن أنفسنا على مستوى آخر، وبالتالي مستعدون لإعادة العالم مرة أخرى إلى التاريخ بكل حروبه، وظلمه، وثوراته".[١٧]

لكن على الرغم من هذه الشكوك المزعجة ، هو متفائل حول آفاق الإنسانية، هو مقتنع تماما أن الديمقراطية الليبرالية هي النتيجة الوحيدة المعقولة التي لابد أن نسعى إليها.

ثانيا: دريدا: شبح ماركس وتأجيل النهاية

يصر دريدا أننا لا يمكننا طرد أشباح التاريخ، لأنها ستستمر في مطاردتنا حتى نجد سبلا للتصالح معها، فشبح "ماركس"، وشبح الشيوعية حاضران دائما. إن ماركس محفور بعمق في تراثنا الثقافي ولا يمكن استبعاده، كما يحاول بعض مفكري ما بعد الماركسية الأكثر راديكالية أن يحملونا على الاعتقاد أنه يمكن أن يستبعد. حيث يحثنا يوتارد، على سبيل المثال، على محو ماركس وجميع أعماله من حياتنا في عالم ما بعد الحداثة " لم نعد نريد تصحيح ماركس، أو أن نعيد قراءته أو قراءته بالمعنى الذي يرغب به صغار الألتوسيريين في "قراءة رأس المال": لتأويله وفقا لـ"حقيقته" . ليس لدينا استعداد لقبول أن يصبح صادقا، ليست لدينا النية للتعامل مع حقيقة ماركس[١٨]. ليس لماركس . وفقا لليوتارد ـ قيمة إلا الإزعاج، ولا يستحق عناء التأمل أكثر من ذلك. أما بالنسبة لدريدا فلا يزال ماركس مفكرا ذا تأثير كبير، لا يزال يتحدث إلينا مباشرة تماما اليوم، حتى في أعقاب زوال الشيوعية في الآونة الأخيرة "سيكون دائما من الخطأ ألا نقرأ ونعيد قراءة ماركس ومناقشته – هو ما يعني أيضا عددًا قليلا من الآخرين – وأن تتجاوز القراءة أو المناقشة المدرسية. سيكون خطأ أكثر وأكثر نقص المسئولية النظرية والفلسفية، والسياسية. عندما تصبح آلية الدوجماطية والأجهزة الايديولوجية الماركسية (الدول ، والأحزاب ، والخلايا ، والنقابات ، وغيرها من أماكن الإنتاج العقائدي) في طريقها إلى الزوال، لن يعد لدينا أي عذر، فقط ادعاءات، لتجاهل هذه المسؤولية. لن يكون هناك مستقبل من دون هذا. لا مستقبل من دون ماركس، من دون ذاكرة وميراث ماركس : لأي قضية معينة لماركس، لعبقريته، لواحدة على الأقل من أفكاره.[١٩]

لا يحاول دريدا نسج " الثوب القديم" مرة أخرى، لكنه يرى أنه لا يمكن أن يكون هناك أي انقطاع مفاجئ لتنوع "موت الماركسية": أن تعتقد خلاف ذلك هو أن تكون ساذجا فلسفيا. فذلك هو نتاج العمل اللامتناهي للتأويل، تلك خصوصية التفكيك كما يشير دريدا مرارا وتكرارا عبر جميع كتاباته، والذي يجب أن تستمر.

قد تبدو الماركسية، وكل ما تمثله، في أزمة نهائية في بداية التسعينيات من القرن الماضي، عندما جمع دريدا مؤلف "الأشباح" ، ولكنه أعرب عن مشاعر مماثلة في شبابه " بالنسبة للكثيرين منا فإن نهاية معينة (وأشدد على كلمة "معينة") للشيوعية الماركسية لا تنتظر الانهيار الأخير للاتحاد السوفيتي وكل الدول التي تعتمد عليه في جميع أنحاء العالم. كل ذلك بدأ بلا شك في بداية الخمسينيات؛ ذلك أن تراجع الماركسية له مصدره في الماضي الأبعد"[٢٠].

تعبر هذه الفقرة عن دريدا نموذجي في لعبته اللغوية، هذا هو نشاط يؤديه التفكيك كثيرا من تلقاء نفسه. تأكيد كلمة "معين" لا يترك لنا مؤشرا ما إذا كان دريدا يعني "معين" بمعنى "واضح" أو "من المؤكد أن يحدث"، أو "معين" بمعنى (جانب معين). دريدا هو دريدا، هو بلا شك يعنيها جميعا في الوقت نفسه. ونظرا لعدم استقرار اللغة، دائما ما يتأخر المرء كثيرا حتى يصل إلى المعنى الكامل للكلمات، فالمعنى دائما مؤجل. إذ أن من طبيعة التفكيك ليس فقط فهم السياق الأوسع، ولكن أيضا السيولة، والمرونة، والطبيعة التي لا يمكن التحكم فيها نهائيا لذلك السياق. لا يمكن للمرء، على أي حال، أن يحتكر معنى أو تاريخ، ولا يمكن للمرء أن يقدم تفسيرات كاملة لهما. التفكيك هو تحذير ضد القهر الإنساني في هذا الصدد. التفكيك هو تحذير من أن شمولية أي ظاهرة واسعة النطاق، مثل المعنى والتاريخ، دائما ستناور بطريقة أو بأخرى لمراوغتنا. والزعم بغير ذلك سيجعلك، بالمعنى الحرفي، "شموليا".*

إن دريدا سعيد تماما باللعب على المدلول السياسي الشمولي الذي يحمله هذا المصطلح حتما، خاصة في أعقاب شخصيات القرن العشرين سيئة السمعة،

مثل ستالين أو ماو. وفي نفس فئة ستالين أوماو، يمكننا أن نضع فوكوياما في قفص الاتهام نفسه، بمعنى الاتهام بمحاولة استبعاد التفسيرات الأخرى للظواهر التاريخية ما عدا تفسيره. إن دريدا يسعى للحفاظ على المناقشة المفتوحة، وانطلاقا من هذا المنظورغالبا ما تتهم التفكيكية من قبل منتقديها بأنها حركة سياسية للفكر، وهي بالفعل ذات جانب سياسي واضح تماما.

في الأشباح، يسعى دريدا إلى هدم كتاب فوكوياما، متهما إياه بإخفاقات متعددة، تتراوح من السذاجة الفلسفية إلى سوء النية والتبشير الملائكي الزائف. حيث تبين الانتقادات الرئيسية أن فوكوياما يقع في خطأ الخلط بين المثالي والحقيقي فيما يتعلق بالديمقراطية الليبرالية، فنجده يلاحظ بكل سرور في مقدمة نهاية التاريخ:" في حين أن بعض بلدان العصر الحاضر قد تفشل في تحقيق ديمقراطية ليبرالية مستقرة، ويمكن أن يسقط آخرون مرة أخرى إلى أشكال أكثر بدائية من الحكم مثل الثيوقراطية أو الديكتاتورية العسكرية، لا يمكن أن يشهد مثال الديمقراطية الليبرالية أي تحسنا جديدا؟"[٢١]. إذ ربما يتساءل المرء لماذا تواجه المجتمعات صعوبات لتأسيس المثال إذا كان متفوقا بشكل بدهي على كل الأشكال الأخرى من التنظميات الاجتماعية والسياسية، وإذا ما كانت تلك الصعوبة ربما تشير إلى بعض العيوب الهيكلية ضمن الفكر الليبرالي الديمقراطي نفسه. يلقي فوكوياما باللوم على التنمية الاجتماعية غير المتساوية والشر الانساني. دريدا يؤكد أن واقع الديمقراطية الليبرالية ليس إلا صورة زائفة لمثلها، حتى لو قبل المرء تلك المثل، التي لا يقبلها دريدا بوضوح:

"سيكون من السهل تماما إظهار أنه بالقياس إلى فشل إقامة ديمقراطية ليبرالية، الفجوة بين الحقيقة والجوهر المثالي لا تظهر فقط فيما يسمى الأشكال البدائية للحكومة الثيوقراطية والديكتاتورية العسكرية ... هذا الفشل وتلك الفجوة ميزا أيضا جميع الديمقراطيات، بما في ذلك أقدمها وأكثرها استقرارا لما يسمى الديمقراطيات الغربية".[٢٢]

يتهم دريدا فوكوياما بالقراءة الخاطئة للوضع السياسي العالمي المعاصر، ويرى أن الديمقراطية الليبرالية هي أيديولوجيا تعاني من الحصار، وتسائل بحده، "هل لا يزال من الضروري أن نشير إلى أن ديمقراطية ليبرالية للشكل البرلماني لم تعد موجودة إلا في عدد قليل للغاية من الدول ومعزولة تماما؟ إنها لم تصل من قبل إلى مثل هذه الحالة من الاختلال الوظيفي فيما نسميه الديمقراطيات الغربية. لقد اعتمدت كثيرا على التنمية الاجتماعية غير المتكافئة، هي تنتج قائمة متنامية بشدة من البطالة الجماعية ومحنة المشردين، من خلال مكائد صناعة الأسلحة والتلاعب في الأمم المتحدة، وغيرها من المؤسسات الدولية، من قبل القوى العظمى الغربية. هي لا تمثل الأساس الأخلاقي السامي.[٢٣]

"يجب أن نبكى عليها، في وقت عندما يحوز البعض جرأة التبشير الجديد باسم مثال الديمقراطية الليبرالية التي أدركت أخيرا نفسها على أنها مثال التاريخ البشري: لن يؤثر العنف وعدم المساواة والإقصاء والجوع، وبالتالي القهر الاقتصادي علينا كما أثرت على الكثيرين من البشر في تاريخ الأرض والإنسانية".[٢٤]

وفقا لمعايير دريدا ، هذا هو خطاب سياسي صريح بشكل غير معتاد، يتبعه بدعوة لبناء "نموذج عالمي جديد" يواصل الكفاح ضد الظلم الذي دفع ماركس إلى تأليف أعماله الرئيسية.

ما يسعى دريدا له هو " رباط من الألفة والمعاناة والأمل " يعود بنا مرة أخرى إلى ماركس واهتماماته، حتى لو كان يفعل ذلك بطريقة محسوبة تثير غضب معظم الماركسيين في الوقت الحاضر بالإصرار على روح بدلا من خطاب النقد الثقافي لماركس. ولا يشعر دريدا بالانزعاج من مثل هذا الاحتمال، يشعر بأنه يحافظ على الإيمان بالروح الماركسية الأصلية القائمة على النقد الذاتي، رغم استمراره في اللعب على معنى مزدوج لكلمة "روح"، ويشعر أيضا أنه لا يمكننا أن نستغني عن هذه الروح كما يعتقد فوكوياما أن ذلك ممكنا بعد زوال الشيوعية الأوروبية. وفي قراءة دريدا للتاريخ، لن يذهب ماركس بهدوء " سواء رغبوا في ذلك

وأدركوه أو لا، جميع الرجال والنساء في جميع أنحاء الأرض، هم اليوم إلى حد معين ورثة ماركس والماركسية ... نحن لا يمكننا إلا أن نكون ورثته .[٢٥] روح وشبح ماركس تبقى، مهما أعلن فوكوياما وأتباعه الخسوف السياسي للشيوعية.

لابد أن نزعزع استقرار مثال الديمقراطية الليبرالية الذي يعمي الكثيرين عن رؤية الوضع الحقيقي لأشياء في العالم من حولنا. إن رؤية دريدا لوضعنا الاجتماعي السياسي الحالي سوداوية تماما، وهو يقسوا بشكل خاص على القالب التبشيري لفكر فوكوياما.

ثالثا: معنى المطاردة عند دريدا

تستند نظرية المطاردة Hauntology التي أبدعها دريدا على فكرة أن هناك أشباحا تطارد الحاضر وتمنع نهاية التاريخ، هي تبقي على المستقبل مفتوحًا؛ لأن هناك دائما شبحا لا يدرك غايته إلا من خلال العودة. "الشبح هو المستقبل، بل هو دائما ذروة المستقبل، هو يطرح نفسه فقط باعتباره ذلك الذي يمكن أن يأتي أو يعود. هناك دائما مستقبل قادم"[٢٦].

ويشكل تصور دريدا للمطاردة تحديا مباشرا لمفهوم فوكوياما للتاريخ، وذلك عبر رفضه لربط الماضي بالحاضر والمستقبل. هناك شيء من الماضي حاضر دائما، وهذا الشيء أيضا ينتظر عودته في مستقبل قادم. يستدعي دريدا استعارة الشبح (أو الأشباح) لتجسيد تلك الأشياء التي هي دائما هناك، وهي دائما في انتظار أن تأتي أو تعود. ومن ثم فالشبح هو الماضي والمستقبل، إنه من الماضي، ولكنه في انتظار العودة.

إن استعارة شبح يطارد الحاضر تؤسس فكرة وجود شيء شبحي يراقب ويحيط بالحاضر، شيء لا ينتمي إلى زمن، وينتظر أن يأتي. ويؤكد دريدا أن هذه اللحظات الشبحية/ الطيفية، هي " خفية ومفاجئة" ولا تنتمي إلى الرابطة النمطية للزمن[٢٧] . الزمن هو الحاضر" يعيش بدون نظام، دون أوهام التماسك، دون صورة ثابتة وكاملة، ودون خط واضح بين الماضي والمستقبل"[٢٨] .. وخلافا لرؤية فوكوياما

للزمن باعتباره شيء يتابع دورة مثل نهر، يتحدث دريدا عن نوع جديد من الزمن، زمن مفكك يتخلله عود مستمر. ولذلك ترى براون أن هذا " التاريخ الجميل ظاهرة شبحية لا تسير إلى الأمام ... هي تأتي وتذهب، تظهر وتنحسر، تتحقق وتتبخر"[٢٩]

يؤكد دريدا أن التاريخ لم ينته، والديمقراطية الليبرالية ليست النهاية، لأن ماركس، على وجه الخصوص، على قيد الحياة وينتظر أن يعود، أي أن ماركس هو شبح يطارد حاضرنا. يقول دريدا "بعد نهاية التاريخ، تنبعث الروح عن طريق العودة "[٣٠]، وبالتالي، ليس هناك نهاية للتاريخ، لأن هناك دائما أشباح تنتظر العودة، هناك دائما مستقبل مجهول قادم. لا يمكننا أن نغلق المستقبل، لأن بالقرب من "النهاية"، هناك دائما شيء في انتظار أن يأتي أو يعود. يؤكد دريدا صراحة أنه يستخدم استعارة الشبح ليشير إلى شيء " ينتظر " و" يطارد " ، شيء "يسابق"، " نافذ الصبر" و" قلق" بشأن عودته؛ شيء سيدرك غايته بالعودة.[٣١] ، إذن الشبح هو المستقبل، وبالتالي ليست هناك نهاية للتاريخ.

لكن ما يجب علينا أن نوجهه إلى دريدا هو أن الأشياء الشبحية ليست كيانات إيجابية، أشياء كنا نود أن نراها تعود، فالشبح هو شيء ما ميت وينتمي إلى حقبة ماضية، هو ربما لا يزال يمشي بيننا، لكنه ليس له مكان في الحاضر أو المستقبل. وأنه بدلا من رؤية الاشباح كشيء يعود، يمكننا النظر إلى الشبح على أنه شيء من بقايا الماضي، وأن علينا أن نتخلص منه، شيء يجب أن نخلص أنفسنا منه. على الرغم من ذلك، أعتقد أن هناك شيئا ذا قيمة في هذا المفهوم للتاريخ، لأن هناك عناصر داخل الأفكار والمفكرين التي يصفها دريدا كأشباح يمكن أن تكون مفيدة للتنظير حول المعاصرة وتقدم لنا شيئا للمستقبل. إن أشباح دريدا ليست أشباح من تلك التي يجب أن نخلص أنفسنا منها، ولكنها أفكار يجب أن نستوعبها ضمن الإطار المعاصر.

إن أشباح دريدا وسيلة لتحريرنا من التاريخ الغائي، وسيلة لاستخلاص السياسة من التاريخ؛[٣٢] حيث العثور على السياسة بعيدا عن أحلام التقدم والتعليم الميتافيزيقي.[٣٣] فكما تقول براون " إن دريدا يحدثنا عن نمط مختلف من الوعي التاريخي، نمط لا يلجأ إلى سرد مشوه للانتظام والتواتر، وقوانين التطور، نمط لا يتناول ماضيًا وحاضرًا متماسكين ومترابطين"[٣٤] . ويرى سيم أن "دريدا يستخدم أشباح ماركس كأداة للتمرد على الأوضاع السائدة، من خلال محاولة إحياء سمعة ماركس في النقطة الأدنى لماركس في التاريخ الفكري بعد انهيار جدار برلين والاتحاد السوفيتي".[٣٥]

إن ماركس دريدا هو شبح يطارد الحاضر، لا يمكن أن ينتهي ببساطة، هو يجب أن يعود. إن فكر ماركس لا ينتمي إلى زمان، بل هو مثل شبح في هاملت "دخل الشبح، وخرج الشبح، دخل الشبح مرة أخرى".[٣٦] ما يبدو أن دريدا وصل إليه في هذه الإشارة المعقدة لهاملت هي فكرة أن، مثل الشبح في هاملت، ماركس يدخل أيضا مرحلة ، يخرج من مرحلة ويعود ليدخل مرحلة جديدة. ولذلك، حتى عندما يصير ماركس "خارج مرحلة "، فهو شبح ينتظر أن يعود. وهكذا يخلص دريدا إلى أنه " لا مستقبل بدون ماركس"، بل ويدافع عن " عبقرية " ماركس" وأهمية تراث ماركس" . سيكون دائما خطأ ألا نقرأ ونعيد قراءة ومناقشة ماركس "[٣٧] فعند دريدا، ماركس دائما هناك، ينتظر في الهوامش، ينتظر دائما أن يأتي ويعود.

كما يتضح من استعارته للشبح في هاملت، مفهوم دريدا للتاريخ يمثل نظرية واسعة. هو فهم واسع للمطاردة التي هي في المقام الأول وسيلة للفرار من الغائية. وأيضا وسيلة يعتمد عليها دريدا لإبقاء ماركس على قيد الحياة، وتبيان أنه على الرغم من أن ماركس هو حاليا " بعيد عن الأنظار " ، فإنه ينتظر العودة، وبالتالي ، " لا مستقبل بدون ماركس " .

في أشباح ماركس، يسعى دريدا لصياغة ادعاء بأن الماركسية ليست شيئا يمكننا الفرار منه، تجاهله أو تجاوزه، بل هو جزء من نسيج ثقافتنا، ولا يمكن،

بالتالي، أن ينتهي. رغم ذلك، فإن الادعاء بأن ماركس يطارد الحاضر ليس ادعاء بأن التاريخ سيعيد تدوير شيوعية النمط السوفيتي، بل تنطوي المطاردة على كشف " ما هو حي وما هو ميت في الماركسية".[٣٨] يسعى دريدا لإبقاء ماركس على قيد الحياة، وتأكيد أنه لم يذهب بعيدا، ولكن هذا ليس ادعاء بأن التاريخ يمضي من خلال دورات، حيث تعاود الأنظمة والأيديولوجيات الماضية الظهور مرة أخرى؛ ولذلك، ينبغي أن ننظر إلى ادعاء دريدا كادعاء بأن جانبا من ماركس سيعود، ولكن ليس ادعاء بأن الشيوعية سوف تعود.

ويرى دريدا أن الطريقة الوحيدة لإبقاء ماركس على قيد الحياة هي تدريسه في الجامعة بوصفه " فيلسوفًا عظيمًا " وليس بوصفه ماركسيًا شيوعيًا، لكنه يرى أن ذلك غير كاف لأنه لا يريد أن يصبح ماركس " محايدًا في التنظير" بل، يريد أن يتمتع ماركس بالمباشرة مع الحاضر[٣٩] . إنه يحاول إبقاء ماركس على قيد الحياة، ويدعي أن شبح ماركس يطاردنا.

لا يستخدم دريدا ماركس أدة لنقد المناهضين المعاصرين للماركسية، وإذا كان قد استخدم ماركس لنقد فوكوياما والديمقراطية الليبرالية، فقد استخدم أيضا ماركس للهجوم على " الماركسيين " المرتبطين بالماركسية التقليدية أي الماركسية الشيوعية السوفيتية اللينينية. دريدا من أتباع ماركس ، وبالتالي " ماركسي " ، لو أننا نعني شخص ألهمته كتابات ماركس. ومع ذلك، هو أيضا ناقد للماركسيين، أي أتباع ماركس الذين ورثوا من ماركس الماركسية الشيوعية على النمط السوفيتي. هو يهاجم هؤلاء الماركسيين كماركسيين " زائفين " كاذبين.[٤٠] وبالتالي من المهم أن نلفت الانتباه إلى نوعين مختلفين من الماركسيين والماركسية: النوع الأول من الماركسيين، يشير ببساطة إلى فكرة / كاتب يتبع ماركس، أو ينحاز إلى ماركس . والنوع الثاني من الماركسية / الماركسي يشير إلى تأويل معين لماركس / الماركسية – وهذا هو ماركسي / ماركسية شيوعية على النمط السوفيتي، ويجب النظر إلى هذا النوع بشكل منفصل عن الماركسية؛ وبالتالي نطلق عليها الشيوعية . من ثم

فإننا نتفق مع براون التي رأت أن قراءة دريدا لماركس ... هي قراءة لماركس ضد الماركسية وقراءة ضد المناهضين المعاصرين للماركسية"[٤١] .

لكن السؤال الذي يجب علينا أن نطرحه هنا هو لماذا نبقي ماركس على قيـــــــــــــــد الحيـــــــــــــــاة ؟

يطرح دريدا تبريرا ممكنا لابقاء ماركس على قيد الحياة على أساس عدم تجانس فكر ماركس. يؤكد دريدا أنه ليس خطأ ماركس أن لغته وفكره يحتويان على " انفصال " و" تفكك"[٤٢]" . فلأن أعمال ماركس تحتوي على عدم تجانس وتفتقد للتماسك، فإن أعماله مثل الشبح. يتخذ ماركس أشكالا عديدة، ويقدم العديد من الأفكار التي تقدم " ثورة دائمة "، ولكن ليس قراءة دائمة. ووفقا لدريدا فإن عدم تجانس ماركس وعدم قابليته للاختزال "، و عدم قابلية ترجمته الداخلية" توفر تبريرا لابقاء ماركس على قيد الحياة، هو يؤكد أن ماركس لا ينبغي أن " يختزل " في قراءة محددة ، لأن عدم تجانس ماركس يبقيه على قيد الحياة أي أن عدم تجانس عمل ماركس يفتح الآفاق ويطرح قراءات جديدة[٤٣] . ومع ذلك ، بفضل التلاعب الفلسفي المبهم لدريدا ، فإن من غير الواضح الشكل الذي يتصور دريدا أن يأخذه شبح ماركس، وبالتالي فإنه من غير الواضح القيمة الموجودة في ماركس .

يقدم دريدا لنا ببساطة ماركس الذي هو "جمع "، ماركس المفتوح لعمليات التأويل والمراجعة استجابة لتغير الظروف الثقافية، وليس مصدرا لحقيقة إنجيلية[٤٤] ."مع ذلك، فإن تعددية ماركس في حد ذاتها لا تعني أنه شبح ، لأن عدم تجانس ماركس وتعدديته ليس فريدا بين النصوص الفلسفية . فمن المتصور أن نزعم أن كل النصوص الفلسفية تحتوي على عدد وافر من القراءات وأنها غير متجانسة، ويمكن قراءتها وإعادة قراءتها . دريدا ، نفسه ، يدعي أن هناك معان متعددة في جميع النصوص، وتؤكد نظريته في التفكيك حقيقة "عدم التعيين النهائي للمعنى"[٤٥] إن هذه التعددية ، في حد ذاتها ، لا تؤسس ادعاءً بأن ماركس لديه شيء يقدمه للمعاصرة، أو هو شبح يطارد الحاضر . لكي يصبح ماركس شبح نحن

بحاجة لتبرير أهمية ماركس في الحاضر، واستكشاف ما يقدمه شبحه للمعاصرة . وبالتالي يظل السؤال مطروحا لماذا علينا أن نبقي ماركس على قيد الحياة ؟ كيف ولماذا يصبح ماركس شبح للمعاصرة؟

إن السبب في ابقاء ماركس على قيد الحياة هو أنه يطرح نقدا للمعاصرة ، أو . على الأقل ـ يحتمل أن يشكل تطويرا للمعاصرة . هذا ما يتضمنه عمل دريدا عن ماركس، فالماركسية لم تمت، لأنها تشير إلى خطأ تم ارتكابه – الخطأ الذي قام به رأس المال.[٤٦] نقد ماركس للمعاصرة يبدو أنه يتركنا من دون نهاية للتاريخ، لأن هناك خطأ تم داخل المعاصرة ، ونحن بحاجة إلى ماركس ليذكرنا بذلك. وبالتالي، شبح ماركس لم يذهب بعيدا لأن لديه شيئا ليقوله لنا دائما.

رابعا: ماركسية دريدا وليبرالية فوكوياما

تنطوي رؤية دريدا عن عودة ماركس على تصور لماركسية جديدة. ماركسية دريدا هي " ماركسية جديدة لا تتشابه في أي وجه مع ما كنا نعتاده في الماركسية التقليدية [٤٧] " . ولم تبتعد محاولة دريدا كثيرا عما قام به كل من موف و كيلنر اللذين سعيا إلى تطوير ماركسية جديدة ما بعد حداثية، ما بعد ماركسية.[٤٨] فقد سعى هذان المفكران إلى إبقاء ماركس على قيد الحياة، وقالا إن هناك شيئا في الأعمال الكاملة لماركس تكشف عن أن ماركس لديه ما يقوله للحاضر، أو كما يقول دريدا، بمثابة شبح يطارد الحاضر. مع ذلك فإن أيا من هذين المفكرين لم يدع أن التاريخ يعيد تدوير نفسه، ولم يرغب واحد منهما في رؤية عودة الشيوعية الماركسية على النمط السوفيتي. ويتفق دريدا وموف و كيلنر جميعا على أن الماركسية الشيوعية على النمط السوفيتي قد ماتت، وأنه يجب أن تبقى ميتة. وبدلا من الماركسية التقليدية، رغبوا في ماركسية جديدة مفتوحة ومتنوعة، فلقد اعتنقوا وثمنوا عدم التجانس، ورفضوا شرعية المسلمات والمطلقات التي كانت عنصرا أساسيا للفكر الماركسي الشيوعي التقليدي. وهكذا انتقد دريدا و موف و كيلنر الماركسيين الشيوعيين كما انتقد الليبرالي الشيوعيين الماركسيين.[٤٩]

ويعد كيلنر بصفة خاصة معاد للشيوعية، ويؤكد أن الربط التاريخي العرضي بين الماركسية واللينينية ينبغي ألا يحجب الخلافات العميقة بين ماركس ولينين،.يقول "من الخطأ إلقاء لوم كارثة الشيوعية السوفيتية على ماركس" [٥٠] و يدعي أن "انهيار الشيوعية السوفيتية لا يشكل دحضا لماركس".[٥١] ويقدم كيلنر تفسيرا واضحا لرؤية الموقف مابعد الماركسي، ما بعد الحداثي ، الجديد:

١. الماركسية ليست هي نفسها الشيوعية هناك " انقطاعات عميقة" بين ماركس ولينين وستالين وآخرين، وبالتالي لا يمكن إلقاء لوم فشل الشيوعية على ماركس.

٢. مفهوم ماركس للاشتراكية والديمقراطية مختلف تماما عن الشيوعية اللينينية الستالينية السوفيتية.

٣. هزيمة الستالينية تتفق مع مبادئ ماركس.

٤. الماركسية لا تزال تنظر إلى العصر الحاضر وتنقده؛ أي أن السياسات الماركسية هي جزء من السياسة التقدمية الراديكالية للعصر الحالي.[٥٢]

هذه الرؤية ما بعد الماركسية، ما بعد الحداثية الجديدة، لا تتناغم بالضرورة مع النظرية الليبرالية، لكنها تشير إلى أفكار يجب أن يتم استيعابها ضمن المعاصرة بهدف التصحيح والتكامل، وليس التحدي والاستبدال. لسنا بحاجة لرؤية ماركس كشبح يطارد الحاضر، يهدد باستبدال الحاضر، يمكننا أن نرى فكر ماركس كشيء هو بالفعل جزء من المعاصرة ، شيء يسعى إلى التحرر من الهيمنة، يسعى إلى الحرية، والمساواة، ويقاوم القمع والحكم الشمولي. الماركسية ما بعد الحداثية أو الماركسية الجديدة هي الماركسية التي تفضل الديمقراطية وعدم التجانس، بل هي التي تحشد ضد التبعية وتسعى إلى تحرر اشتراكي، ولكن يمكن تبنى بعض قيمها، بوعي أو بدون وعي، من قبل ليبراليين أمثال فوكوياما.

إننا نرى أن فوكوياما يعترف بشبح ماركس، بل إنه يستخدام مفهوم ماركسي مميز للتاريخ، حيث يعتنق فوكوياما بعضًا من قيم ماركس. فهو يدرك أن المجتمع في نهاية التاريخ يجب أن يقوم على مبدأ " ايجاليتاريانى "؛ لأن كل فرد

يرغب في الاعتراف بالكرامة والاستحقاق وهذا لا يمكن تحقيقه في ظل نظام السيد/ العبد. ويقول إن الليبرالية تريد أن تكسر موانع المساواة، وأنها تعزز الحراك الاجتماعي، وتحرر الناس من نظام العبودية وعدم المساواة[٥٣] . كذا يقول فوكوياما إن " ايجاليتريانية أمريكا المعاصرة تجسد الخصائص الأساسية للمجتمع اللا طبقي الذي تصوره ماركس"[٥٤]. فكر فوكوياما ليس ماركسيا في حد ذاته، لكنه يعتنق أفكار موروثة من ماركس، ويؤكد أن جوانب من الفكر الماركسي يجب أن تتحقق في نهاية التاريخ، من أجل تلبية رغبة الإنسان في الاعتراف. وبالتالي فقد راود ماركس نظرية فوكوياما، وأصبح شبح ماركس جزءا من فكر فوكوياما. ولكن لكي يصبح جزءا من فكر فوكوياما، صار شبح ماركس شيئا يمكن استيعابه، هو ليس شيئا ينتظر أن يأتي مرة أخرى.

يعترف فوكوياما بأهمية الايجاليتريانية ولكن لديه فهم مختلف تماما لما تعنيه مما هو نموذجي في النظرية الأكثر ماركسية. فربما يقترب دفاع فوكوياما عن المساواة من المسار الفردي والهيجلي، أي باعتبار أن أساس تبرير المساواة هي رغبة كل فرد في الاعتراف، ولكن يمكننا أن نلمس روح الماركسية ما بعد الحداثية، ما بعد الماركسية الجديدة، ضمن نظرية فوكوياما. فقد يكون من الخطأ أن نرى أمريكا الحديثة كايجاليتريانية، لكن الواضح هو أن التفاوت العالمي الهائل قد تعزز ضمن النظام الديمقراطي الليبرالي الحالي، ولكن هذا قد يكون نتيجة لعدم تنفيذ نظرية الديمقراطية الليبرالية وشبح ماركس على نحو فعال، وليس تعبيرا عن فشل النظرية الديمقراطية الليبرالية. الديمقراطية الليبرالية كالماركسية نظرية مرنة ومتغيرة، وجرى تأويلها بشكل مختلف في عصور مختلفة. لقد راودت ماركس نظرية الديمقراطية الليبرالية، ولكن أصبح شبح ماركس جزءا من الفكر الديمقراطي الليبرالي ، وبالتالي لم يعد ينتظر العودة، ولكن يجب أن يتحقق بشكل أكثر فعالية.

يؤسس فوكوياما رؤيته لمجتمع ليبرالي على فكرة أن كل فرد يحتاج أن يعترف به بشكل متساو، و يتضح هذا في التزامه بفكرة الإيثوسيميا Isothymia .

إذ يجب أن يعترف النظام الاجتماعي السياسي في نهاية التاريخ بالرغبة الإنسانية من أجل الإيسوثيميا، والرغبة في أن يعترف بالمرء على قدم المساواة مع الآخرين .[٥٥] ويؤكد أننا يجب أن نصبح قادرين على الاعتراف بالأفراد على قدم المساواة، لأن لأن كرامة الإنسان تعتمد على الإيسوثيمي، وسوف يناضل البشر دائما للاعتراف بكرامتهم. يؤسس فوكوياما دفاعا فرديا ضد التبعية، لأنه يؤكد أن رغبة كل الأفراد في الكرامة / الاعتراف توفر أسباب الدفاع عن المساواة، ولكن هذا يتطلب إزالة السياده والعبودية ضمن الديمقراطيات الليبرالية. يؤكد فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية ترضي الرغبة في الايسوثيميا عن طريق إزالة التمييز بين السيد والعبد، لأن العبيد السابقين لا يصبحون أسياد عبيد أخرين، بل أسياد أنفسهم : "إن روح عام ١٧٧٦ "لم تكن أبد انتصار مجموعة أخرى من السادة ... ولكن إنجاز السيادة الذاتية". [٥٦]

ويستنتج فوكوياما أن الرغبة في الاعتراف المتساوي هي أساس لغة الحقوق، وفي الولايات المتحدة المعاصرة، يستخدم الناس " لغة هيجيلية أكثر من لوكيانية " [٥٧] فنجد على سبيل المثال أن الغرض من تشريع الحقوق المدنية هو " الاعتراف بكرامة السود "[٥٨] . وتعد حركة الحقوق المدنية هي نموذج للنضال من أجل السيادة الذاتية، لأنها لا تهدف إلى إنشاء نظام جديد للسادة والعبيد، وإنما الاعتراف بالسود باعتبارهم يحوزون نفس الكرامة والقيمة كالبيض. فالديمقراطية الليبرالية ترضي الرغبة في الاعتراف المتساوي بطريقتين: أولا، هي تحمي كل فرد، وتعلن أن لا فرد يستحق أكثر من أي فرد آخر، أي أنها تحمي حق كل الأفراد في الحياة والملكية واعتناق ونشر آراء ثيموسية حول الخير/ الشر، القيمة / الاستحقاق في أي موضوع مثل الدين والسياسة وغيرها، وحق المشاركة في الحياة السياسية. وثانيا، من خلال تأسيس الحق في المشاركة في السياسة والحكومة.

تؤكد الديمقراطية الليبرالية التزامها بالاعتراف المتساوي، لأن هذا يضمن "لكل إنسان حق التمتع على الأقل بنصيب في دور السيد".[٥٩] وبناء على ذلك، يمكن

لليبرالي أن يطرح الحجة القائلة بأن الديمقراطية الليبرالية هي نهاية التاريخ، لأنها تسعى إلى الاعتراف بكل فرد على قدم المساواة، وأنها تلبي الرغبة في الايثوسيميا، عن طريق بناء إجراءات لمنع خضوع شخص أو مجموعة من الناس لشخص آخر أو مجموعة من الناس.

لاشك أن الماركسية ما بعد الحداثية، ما بعد الماركسية الجديدة لدريدا و كيلنر و موف أكثر راديكالية من العناصر الماركسية وشبح ماركس الذي تسلل لتفكير فوكوياما. ومع ذلك، الماركسية ما بعد الحداثية، ما بعد الماركسية الجديدة، مثل ماركسية فوكوياما، تقوم على الرغبة في الديمقراطية والحرية وتعارض النظام الشيوعي. فقد اعجب كيلنر وموف بالنضال الاشتراكي ضد التبعية وعدم المساواة ، لكنهما لم يدافعا عن الاشتراكية القائمة حول كيان عالمي متجانس مثل البروليتاريا . وهما يؤكدان أن الطموح لتجسيد مصالح العمال يفشل في صياغة أساس واسع للديمقراطية، وبالتالي تحتاج الاشتراكية للهروب من الجيتو الطبقي الذي وجدت نفسها فيه، وأن تتبني مشروع ديمقراطي يركز على مصالح متنوعة للجماعات، وليس فقط مصالح الطبقة العاملة[٦٠]و. يحاول كيلنر أيضا صياغة ماركسية ديمقراطية جديدة ، ويؤكد أن هذا من شأنه أن يكون أكثر وفاء لماركس من الشيوعية . ويؤكد أن نظرية ماركس ديمقراطية حقا، وأن " الماركسيين الكلاسيكيين أدركوا الحاجة إلى ديمقراطية حقيقية واشتراكية حقيقية".[٦١]. يقول كيلنر إن ماركس أرعبته استخدامات أفكاره ونظرياته في الاتحاد السوفيتي ، لأنه ـ على عكس لينين وآخرين ـ كان ملتزما بالديمقراطية الشعبية، ولم يدافع عن تركيز السلطة في حزب.[٦٢]

إن الماركسية ما بعد الحداثية، ما بعد الماركسية الجديدة هي ديمقراطية وليبرالية، لأنها ، كما يقول كيلنر ، تسعي إلى " التحرر والتطوير الشامل للفرد".[٦٣] وهذه الماركسية لاتزال تقدم تحليلا نقديا للمعاصرة، لأنها تسعى إلى تخفيف التبعية، وتؤكد أننا يجب أن نتأكد من أن الفرد لم يصبح محاصرا في نظام من

السياده والعبودية. يدعي كيلنر أن "الرؤية الماركسية الجديدة للديمقراطية والاشتراكية ... هي أفضل من النسخة الليبرالية... لأن لها رؤية أكثر شمولا للديمقراطية تتضمن جميع نواحي الحياة الاجتماعية[٦٤]. ' ومع ذلك ، هذه الماركسية الجديدة ورغبتها في إبقاء ماركس على قيد الحياة لا تعني بالضرورة أننا يجب أن نقوم بثورة لتأكيد أن الماركسية هي شبح يطارد التاريخ، بل إنها تشير إلى أننا لا يمكننا أن ندرك المعاصرة دون تحليل نقدي لماركس، لا نستطيع العيش في الحاضر دون وعي لمتى تعرض عدم المساواة والتبعية فرص الفرد للتطوير الكامل والاعتراف به للخطر. ويحذرنا ماركس أيضا من الظلم الذي يمكن للتبعية أن تسببه للحرية الشخصية. مع ذلك، وهذا ينفي إمكانية تشييد نهاية لأطروحة التاريخ ، هي تعني أن النظام الاجتماعي / السياسي يجب أن يرتكز على شكل من الرؤية الايجاليتريانية التي تضمن أن كل فرد معترف به وذو قيمة بوصفه فردًا ونظيرًا.

هذه رؤية لمجتمع يسعى لحماية الضعفاء من الطغيان ، ولكن ، كما يشير فوكوياما ، كل الديمقراطيات الليبرالية تعترف بالحاجة إلى الرفاه الاجتماعي، وإعادة توزيع من الأغنياء إلى الفقراء.[٦٥] وهكذا، فإن التحرك الماركسي ضد التبعية وعدم المساواة هي شيء موجود باستمرار في المعاصرة؛ لأن الفكر الليبرالي يفترض منطقيا إزالة الحواجز أمام الفرد ، ويسعى للقضاء على التبعية وعدم المساواة، ويعمل من أجل تعزيز ازدهار الفرد.

إن المطاردة هي فكرة تعنى أن شيئا ما في الماركسية يذبل، أن الشيوعية قد ذبلت لأنها ليس لديها ما تقدمه للمعاصرة. لذا ، ما بقي من الرؤية الماركسية هو ما يتوافق مع الديمقراطية الليبرالية وما يهذبها. وبالتالي ، الماركسية الجديدة و شبح ماركس ليسا تحولا عن الديمقراطية الليبرالية ، بل الماركسية الجديدة هي ادعاء أن هناك أفكارًا من أعمال ماركس لاتزال تحتاج إلى أن تدرك.فإذا كان هناك جانب من جوانب الماركسية قد ذبل ، فإن جانبا آخر من الماركسية يجب أن يتحقق و يتحرر.

تنفي المطاردة فكرة أن التاريخ له دورة، وأن نقطة نهايته قد تكون الديمقراطية الليبرالية، وتوضح أن هناك أشباحا تطالب الديمقراطية الليبرالية بإعادة تأويل وصياغة لنفسها بشكل دائم من أجل ضمان ألا يصبح الفرد خاضعا للاستبداد والتبعية؛ ضمان أن يعترف به نظيرًا، يمكنه أن يطور شعورا بالكرامة وتقدير الذات. ولا تعزز المطاردة فكرة أن التاريخ ينتهي في الديمقراطية الليبرالية، لأنها تقدم أطروحات لتطوير الفكر الليبرالي، من خلال إظهار أن المنتقدين للديمقراطية الليبرالية لديهم شيء ما ليقدموه للفكر الديمقراطي الليبرالي ، وأن وفاة نظام اجتماعي / سياسي معين مثل الشيوعية لا يترتب عليه وفاة وانحطاط قيمة المفكر الذي ألهم هذا النظام.

خاتمة

يمكن القول إن الديمقراطية الليبرالية والماركسية صارا ورثة ما أصبح يعرف باسم مشروع التنوير، تلك الحركة الثقافية الغربية التي سعت منذ بداية القرن الثامن عشر إلى وضع العقل في بؤرة الاهتمام البشري من أجل تحسين نوعية الحياة البشرية. وقد انتهي تصور التاريخ بوصفه موقعا للصراع الأيديولوجي بين أنظمة عالمية متنافسة كالديمقراطية الليبرالية والشيوعية، خاصة بعد فشل كل منهما في إثبات قدرته على إنقاذ البشرية من الشرين التوأمين للعوز المادي والاضطهاد الاجتماعي والسياسي، وقد انتهي التصور الخاص للتاريخ، بالتأكيد، مع صعود ما بعد الحداثة التي تميل إلى الشك، أما التاريخ نفسه وإمكانية وجود تصورات أخرى للتاريخ فلا نهاية له. إذ لا يمكننا طرد أشباح التاريخ، لأنها ستستمر في مطاردتنا إلى الأبد.

ويبين شبح ماركس لنا أنه على الرغم من قوة رأس المال، يجب أن ينظر كل فرد إلى الآخر بوصفه قيمة تستحق الاحترام على قدم المساواة . ويقر فوكوياما بأن الديمقراطيات الليبرالية حتى المستقرة لديها مشاكل، ولكن كما يقول هذا ليس نتيجة لعيوب في مبادئها، ولكن نظرا لعدم الالتزام بمبادئها. من ثم فإن الأفكار والمفكرين الذين يطاردوننا لا يهددون بتفكيك مبادئ الديمقراطية الليبرالية، بل، يلقون الضوء على جوانب القصور في تطبيق مبادئ الديمقراطية الليبرالية ويهذبونها. ولذلك، فإن أفكار المطاردة والأشباح تعيننا على إعادة التفكير في نقطة نهاية التاريخ، وتظهر أنه حتى التاريخ الغائي سيحتاج إلى استيعاب أفكار من الماضي.

إن عودة ماركس لا تعني الإطاحة بالديمقراطية الليبرالية. فانهيار الشيوعية حمل معه أبعادا إيجابية للماركسية ، لأنه انطوى على رحيل " النظرية الماركسية المشوهة "، وبالتالي فإن وفاة الشيوعية يسمح بتطوير اشتراكية جديدة يمكن أن

تعزز الحرية والديمقراطية والسعادة البشرية. ولا تهدد هذه الرؤية لمستقبل الماركسية الديمقراطية الليبرالية ، لأن ماركسية القرن الحادي والعشرين يمكن أن تساعد في تعزيز الديمقراطية والحرية والعدالة والمساواة، التي تعكس في الوقت نفسه مباديء الديمقراطية الليبرالية، ومن ثم فإن مهمة اليسار ... لا يمكن أن تكون نبذ الفكر الديمقراطي الليبرالي، ولكن ... تعزيزه وتمديده في اتجاه ديمقراطي.

إن ما فعلناه مع فكر ماركس يمكننا فعله مع أشباح أخرى. إذ يمكننا على سبيل المثال أن نقول إن نيتشه شبح يطاردنا، بمعني أن هناك شيئا ذا قيمة في فكر نيتشه يتعين علينا استيعابه في إطار المعاصرة ، مثل حديثه عن رغبة الإنسان في إثبات تفوقه، مثل لاعب كرة قدم محترف يريد أن يعترف به أكثر موهبة من أحد الهواة، والطالب الذي يريد أن يعترف به أكثر ذكاء من زملاء الدراسة .....الخ ، بل إن شبح نيتشه بمثابة تحذير بأن النظام الاجتماعي السياسي المستقر لابد وأن يوفر ثمة منافذ للميجالوثيميا megalothymia . مع ذلك، فإن هذا لا يعني أن نيتشه يشكل تحديا للمعاصرة ، بل لأن المطاردة تسمح لنا بالقول إن هناك جوانب من رؤية نيتشه قد ذبلت وأن هناك جوانب لم تمت وتنتظر العودة.

الهوامش

[1]) Bernd Magnus and Stephen Cullen berg, Editors,(1994), Introduction to Derrida, Specters", New York and London: Routledge Classics, pp. vii, viii.
[2])Ibid.
[3]) Jacques Derrida, (1988),"Ear of the Other. Otobiography, Transference, Translation", trans. Peggy Kamuf, ed. Christie McDonald, Lincoln, NA and London: University of Nebraska Press, p. 32.
[4]) Jean-Francois Lyotard,(1991), "The Inhuman: Reflections on Time", trans. Geoffrey Bennington and Rachel Bowlby, Oxford: Basil Blackwell, pp. 8-9.
[5]) Michel Foucault, (1970), "The Order of Things: An Archaeology of the Human Sciences", trans. Alan Sheridan-Smith, New York: Random House, p.387.
[6]) Jean-Francois Lyotard, (1984), "The Postmodern Condition: A Report on Knowledge" , trans. Geoffrey Bennington and Brian Massumi, Manchester: Manchester University Press, p. xxiv
7) Stuart Sim, (1999),"Derrida and the End of History", Cambridge; New York: Icon Books; Totem Books, p.16
8) Lyotard, The Postmodern Condition, p. 60.
9) Sim, Derrida and the End of History, p.24
[10]) Ibid, pp.24-25
[11]) Ibid, p.26
[12]) Ibid.
[13]) Lyotard, "The Inhuman", p. 69.
14) Francis Fukuyama, "The End of History?", The National Interest, 16 (1989), pp. 3-18.
[15]) Daniel Bell,(1962), "The End of Ideology: On the Exhaustion of Political Ideas in the Fifties", New York: Free Press, p. 393.
16) Francis Fukuyama,(1992), The End of History, London: Hamish Hamilton, p. xii.

[17]) Ibid., p. 312.
[18]) Jean-Francois Lyotard,(1993), "Libidinal Economy", trans. Iain Hamilton Grant, London: Athlone Press, p.96.
19) Jacques Derrida, (1994),"Specters of Marx", New York and London: Routledge Classics, p.13.
20) Sim, "Derrida and the End of History", p.49
* عمد جاك دريدا إلى استخدام استراتيجية التفكيك التي لا تعترف بسلطة المعنى والأنا ومركزية الحقيقة في النص، بل بالاختلاف والغيرية وتصدّع المعنى وتعدّديته.
[21]) Fukuyama, The End of History, p. xi.
22) Derrida, Specters of Marx, p.p. 78-9.
23) Ibid., p. 85.
[24]) Ibid.
[25]) Ibid., p. 91.
26) Ibid, p. 48.
27) Ibid , pp.xvi-xx.
[28]) Wendy Brown, (2001),"Politics Out of History",Princeton: Princeton University Press, p. 146.
[29]) Ibid., p.151.
[30]) Derrida, Specters of Marx, p. 10
[31]) Ibid., pp. 1-3.
[32]) Brown, Politics Out of History, p. 146.
[33]) Ibid., p.143.
[34]) Ibid.
35) Sim, Derrida and the End of History, p. 4..
[36])Derrida, Specters of Marx, pp.xvi-xx
37) Ibid., p. 14
[38]) Bernd Magnus and Stephen Cullenberg, 'Editor's Introduction', in Whither Marxism? ?: Global Crises in International Perspective,New York and London: Routledge, 1995, p.ix.
[39]) Derrida, Specters of Marx, 37-39.
[40]) Ibid., p. 62.
[41]) Brown, , Politics Out of History, p. 144.

[42]) Derrida, Specters of Marx, pp. 39-42.
[43]) Ibid., pp. 39-42
44) Sim, Derrida and the End of History, p. 5.
[45]) Jonathan Culler,(1983), "On Deconstruction", London: Routledge and Kegan Paul, p.133
[46]) Jean-Francois Lyotard,(1988),"The Differend", Manchester: Manchester University Press, p. 171.
[47]) Derrida, "Specters of Marx", p. 62.
[48]) Ernesto Laclau and Chantal Mouffe, (2001), "Hegemony and Socialist Strategy: Towards a Radical Democratic Politics ",(second edition), London; New York: Verso, and Douglas Kellner, "The Obsolescence of Marxism?" in Whither Marxism?.
[49]) Kellner, The Obsolescence of Marxism? ,p. 6.
[50]) Ibid
[51]) Ibid., p. 5
[52]) Ibid., p. 5
[53]) Fukuyama, The End of History and The Last Man, pp. 290-291.
[54]) see Francis Fukuyama, "The End of History?"
[55]) Fukuyama, The End of History , pp.181-198.
[56]) Ibid.,p. 200.
[57]) Ibid., p. 203
[58]) Ibid., pp. 203-204
[59]) Ibid., pp. 202-203
[60]) Laclau and Mouffe, , Hegemony and Socialist Strategy, pp. 47-48
[61]) Kellner, The Obsolescence of Marxism?, p. 14
[62]) Ibid., pp. 6-7
[63]) Ibid., p. 22
[64]) Ibid., p. 22
[65]) Fukuyama, The End of History, pp.290-291.

دور الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية

د.محمد كمال احمد*

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية، إلي التعرف علي دور الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية، ومن هنا طرحت الدراسة تساؤلاً يبحث عن إلي أي مدي تلعب الإعلانات التلفزيونية دوراً في نشر الخرافات الطبية. وتندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية معتمدة في منهجيتها لتحليل وتفسير اشكاليتها علي منهج تحليل المضمون لعدد (١٥٠) من الإعلانات التلفزيونية التي تروج للخرافات الطبية عبر عدد من القنوات التلفزيونية بلغ عددها 7 قنوات، ومستعينة باستمارة تحليل المضمون لتحليل مضمون هذه الاعلانات، فضلا عن الاستعانة بمنهج المسح الاجتماعي علي عينة عشوائية قوامها (٩٠) مفردة مقسمة إلي (٥٦ ذكر، ٣٤ أنثي)، ومستعينة بأداة الاستبيان لرصد مدي استجابة المشاهدين لما يقدم عبر هذه الإعلانات من منتجات طبية. وقد توصلت الدراسة إلي تنوع الآليات التي تعتمد عليها الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية، مما أسهم في دعم الخرافة وتقويتها وتثبيتها في ذهن المتلقي. كما توصلت الدراسة إلي اعتماد الإعلانات علي اللغة العامية في نشر الخرافات الطبية، مما ساعد علي جذب انتباه المشاهدين تجاه ما يعرض. كما أكدت الدراسة أن زيادة الجرعة الإعلانية ساهم في تدعيم وتثبيت الرسالة الإعلانية ذات الطابع الخرافي. كما كشفت الدراسة عن تنوع في الخرافات الطبية التي تروج لها الإعلانات ما بين خرافات جنسية، خرافات جمالية، وخرافات تتعلق بالشفاء من الأمراض. كما توصلت الدراسة إلي أن القنوات الخاصة كانت صاحبة اليد العليا في الترويج للخرافات الطبية. كما كشفت الدراسة عن الإقبال المتزايد من قبل الإناث علي المنتجات الخرافية التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية والمتعلقة بالجمال الجسدي. كما كشفت الدراسة عن الإقبال المتزايد من قبل الرجال علي المنتجات الطبية الجنسية. وأخيرا كشفت الدراسة عن حجم الخداع الذي مارسه القائمين علي تلك الإعلانات في تزييف الواقع الصحي، ومحاولة تحقيق نوع من الثراء وكسب المال حتى ولو علي صحة الأفراد.

The Role of television advertising in the dissemination of medical superstitions

Abstract:

The present study aimed to identify the Role of television advertising on the dissemination of medical superstitions. Hence, the study raises the question of the extent to which television advertisements play a role in the dissemination of medical superstitions. This study is part of the descriptive analytical studies, which are supported in its methodology for analyzing and

* مدرس- قسم الاجتماع- كلية الآداب- جامعة الفيوم.

interpreting its problematic on the content analysis methodology of 150 television advertisements promoting medical superstitions through a number of 7 channels, And using using content analysis form to analyze the content of these ads . As well as the use of social survey methodology on a random sample of (90) single, divided into (56 male, 34 female), and using the questionnaire tool to monitor the response of viewers to what is provided through these ads of medical products The study found a variety of mechanisms on which television advertising depends on the dissemination of medical superstitions, which contributed to support the superstitions and strengthen and install in the mind of the recipient. The study also adopted the adoption of advertising on slang in the dissemination of medical, superstitions which helped to attract the attention of viewers to what is presented. The study also confirmed that the increase in ad dose contributed to the consolidation and stabilization of the advertising message of a legendary nature. The study also revealed a diversity of medical superstitions promoted by advertisements between sexual superstitions, aesthetic superstitions, and superstitions related to the healing of diseases. the study found that private channels had the upper hand in promoting medical superstitions. The study also revealed the increasing demand by females for superstitious products, which are presented through television advertisements and related to physical beauty. The study also revealed the increasing demand for sexual medical products by men. Finally, the study revealed the extent of the deception practiced by those responsible for these ads in falsifying health reality, and trying to achieve some kind of wealth and make money even on the health of individuals.

مقدمة الدراسة:

مما لاشك فيه أن التلفزيون علي حد تعبير "بورديو" أصبح فضاء يميز فيه بين فاعلين مهيمنين من قبل منتجي البرامج، علي طبقة أخري بهدف نزع الوعي الإبداعي والنقدي لديهم، ومن ثم تقديم فكرا جاهزا وغذاء ثقافيا سريعا يعرف بالتغذية الثقافية المعدة مسبقاً.[١]

حيث يقوم التلفزيون بالترويج لإعلانات هدفها الأساسي لفت الانتباه إلي ما يعرض والوصول إلي المشاهدين، وخصوصا المشاهدين المنتظرين ولديهم الرغبة في خوض غمار التجربة مع ما يعرض من منتجات.[٢] وخصوصاً وانه في عصر الانهيارات الكبرى وفي ظل آليات الهيمنة العالمية تحولت الثقافة الاستهلاكية احد مجالات تدويل النظام الرأسمالي إلي آلية فاعلة لتشويه البنية التقليدية وتغريب الإنسان وعزله

[١] – بير بورديو، **التلفزيون واليات التلاعب بالعقول**، ترجمة وتقديم: درويش الحلوجي، دار كنعان، دمشق، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤، ص ٦٧.

[2] – Paual, Chambers" **Television Medical Advertising**", Journal Of Proc. Roy. Soc. Med, Vol,62, 1969,P:329.

عن قضاياه وإدخال الضعف لديه والتشكيك في قناعاته بهدف إخضاعه نهائيا للقوي والنخب المسيطرة، بالإضافة إلي إضعاف روح المقاومة لديه.[١]

ووفقا لما سبق يتضح لنا إننا نعيش في مجتمع إعلامي يجب التفاوض فيه علي خطط واستراتيجيات الحياة من خلال كتل محيرة من المصادر المتنافسة والمتناقضة للمعلومات.[٢] وهو ما يوقع الفرد في عالم الخرافة باعتبارها تؤدي وظائف هامة في حياة الفرد من خلال إشباع العديد من الحاجات لديه وإرضاء دوافعه. ويساعد علي ذلك صعوبة التحقق من صحة أو بطلان هذه الخرافة، فضلا عن أن الظروف المقلقة والمضطربة تجعل الإنسان أكثر قبولا للأفكار الغامضة،[٣] فاللاعقلانية التي توفرها الخرافة توفر شعورا بالفهم والسيطرة المزيفة.[٤]

وهو ما يجعل منها عبادة غير عقلانية تعمل علي تبجيل القوي الخيالية مكان العلم، وبالتالي فهي تشكل نمط من أنماط تراجع العلم، باعتبارها تنطوي علي ممارسات ذات قيم مشكوك فيها وتنطوي علي تصنيع أصناف يدعَي إنها تمتلك قوي مذهلة.[٥]

وهو ما ظهر حديثاً في مجال الطب حيث انتشرت الخرافات الطبية مما جعل الكثير من علماء الاجتماع الطبي يتحدثون عن الطبيعة المتغيرة بين المريض ومقدم الخدمة الطبية في أواخر الحداثة، حيث تراجعت السلطة الطبية نتيجة حالة الانتشار الواسع

---

[١]- أحمد مجدي حجازي، **العولمة بين التفكيك وإعادة التركيب:** دراسات في تحديات النظام العالمي الجديد، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ص ٢٦- ٢٧.

[2] - Micheal, Hardey." **Doctor In The House: The Internet As A source Of Lay Health Knowledge and The Challenge To Expertise"**, Sociology Of Health and Illness', Vol,21, No,6,1999,P:831.

[3] - George, W,Kisker. "**The Disorganized Personality**", University Of Cincinnati, Third Edition,1983,P:198.

[4] - David, R, Vinson.**" Superstitions In Medicine: Bad Luck Or Bad Logic?: Annals Of Emergency Medicine",** Madigan Army Medical Center University of Washington Tacoma, WA,Vol,31, Issue,5,1998,P:651.

[5] - Dominin, Umohi ."**Superstition and Syncretism: Set Backs To Authentic Christian Practice in Africa**", International Journal of Humanities and Social Science Invention, Vol,2, Issue,7,2013,P:33.

للمعلومات الطبية التي تقدمها وسائل الأعلام، مما أدي إلي ظهور ما أطلق عليه "جيدنز" **المستهلك الانعكاسي.**[1]

هذا المستهلك الذي يتعرض لكم هائل من المنتجات الطبية التي يجد فيها الطاقة التي تربطه بالحياة، فيقبل عليها دون أي تقييم، وبصرف النظر عن الأضرار المتوقعة عن استخدامها، ويساعده علي ذلك ما تروج له هذه الإعلانات التلفزيونية من حالات يتم شفاءها علي الهواء مباشرة، مما يولد لدي المشاهد القناعة التامة بمصداقية ما يعرض فيقع في فخ الخرافة.

ثانيا:إشكالية الدراسة:

مما سبق يتضح أن إشكالية الدراسة تنطلق من الكشف عن الدور الذي تلعبه الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية، فعلي الرغم مما تقوم به الإعلانات التلفزيونية من إتاحتها لكم كبير من المنتجات الطبية، بالإضافة إلي السرعة الكبيرة التي يتم بها نقل تلك المنتجات، فضلا عن سهولة تداولها بين كافة أفراد المجتمع، إلا إن خطورتها تتمثل في قدرتها علي خلق واقع طبي افتراضي ملئ بكافة أنماط الجاذبية المادية، ونماذج للرفاه والسعادة، مستغلة في ذلك الاحتياجات الطبية المتزايدة من أشخاص لديهم أمل في البقاء علي قيد الحياة، أو راغبين في تحسين حالتهم الصحية، أو راغبين في الوصول إلي درجة معينة من الكمال، وهو ما يعكس حجم الإغراء العاطفي والتحفيز الحسي الذي يمارسه الإعلان علي المشاهد، يصاحبه في نفس الوقت حالة من تراجع للفعل العقلاني لدي المتلقي، الذي يعاني من سيطرة رواسب خرافية لا حدود لها بين مختلف شرائحه الاجتماعية.

[1] - Fils, Henwood, Et al.."**Turned On Or Turned Off?: Accessing health information on the Internet",** Scandinavian Journal of Information Systems, Vol,14,Issue,2,2002,P:P 82-83.

ومن هنا كان يجب علينا البحث عن الآليات الفنية التي تعتمد عليها الإعلانات في نشر تلك الخرافات الطبية، ونوعية القضايا الطبية الملحة التي يستغلها القائمين علي تلك الإعلانات في نشر الخرافات الطبية، فضلا عن تحديد هوية القنوات المروجة لتلك الخرافات، وأخيرا مدي استجابة الأفراد لما يقدم عبر هذه الإعلانات.

وانطلاقا من القضايا المثارة بإشكالية الدراسة نستعرض بالتحليل والتأصيل النظري" للمفاهيم" الأداة التحليلية لمتغيرات دراستنا الحالية.

ثالثا: **مفاهيم الدراسة**:

○ **مفهوم الإعلان**

– "هو أداة رئيسية في عملية التسويق للمنتجات والخدمات والأفكار وله هدفان رئيسان هما: الأعلام والإقناع".[١]

– "هو مظهر من مظاهر الاتصال غير الشخصي لتقديم الأفكار والسلع والخدمات من خلال وسائل الإعلام المختلفة".[٢]

○ **مفهوم التلفزيون**

– لغويا كلمة التلفزيون تعريف لكلمة Television والتي تتكون في اللغة الانجليزية من مقطعين هما:Tele-Vision ، وكلمة Tele هي يونانية الأصل وتعني بعيد، أما Vision فهي لاتينية الأصل وتعني مشاهدة وبإضافة الاثنين معا يصبح تعريف التلفزيون هو "مشاهدة البعيد".٣

---

[1] – Kaptan,S,S. "**Advertising: New Concepts**,", New Delhi, Sarup and Sons,2002, P:2.

[2] - Kotler, Philip. Keller, Kevin. "**Marketing Management**", New Jersey, Person Prentice- Hall,2009,P:536.

[٣]– جمال محمد عبد الحي، **مدخل تاريخي لنشأة وتطور التلفاز**، مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الثالث، العدد السابع، ٢٠١٢، ص ٢.

– كما يعرف بأنه "وسيلة نقل الصوت والصورة في وقت واحد بطريقة الدفع الكهربائي، وهي أهم الوسائل السمعية البصرية للاتصال بالجماهير عن طريق بث برامج معينة".[١]

- **مفهوم الإعلان التلفزيوني**

يعرف الإعلان التلفزيوني بأنه "مجموعة من الوسائل الفنية المتنوعة المستخدمة من خلال الوقت المباع من التلفزيون إلي الجمهور بقصد تعريفه بسلعة أو خدمة أو فكر بالشكل والمضمون الذي يؤثر في معلوماته وميوله وقيمه وسلوكه".[٢]

التعريف الإجرائي:

الإعلان التلفزيوني الذي يقصده الباحث هو عمل فني بتقنيات جذابة يقدم عبر شاشات التلفزيون، من اجل تغيير الثقافة الصحية لدي المشاهد.

- **مفهوم الخرافة**

– "هي معتقدات غير عقلانية أو خاطئة تتصل عادة بالسيطرة علي ما يسمي لدي الفرد بالحظ الجيد أو السيئ".٣

_ "هي فكرة قائمة علي نطاق واسع ولكنها خاطئة".٤

_ "هي غرس مختلف المعتقدات والآراء في كافة أشكال التفكير والتي تستمر في التأثير علي سلوكيات وأفعال الأفراد يصاحبها فقد لأساسيات الحقائق".[٥]

---

[١]– أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الإعلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٤، ص ٦٥.

[٢]– إيناس محمد غزال، **الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل: دراسة سوسيولوجية**، دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ١٣٦.

[3] - Jane, L, Risen. "**Believing What We Do Not Believe: Acquiescence To Superstitions Beliefs and Other Powerful Intuitions**', American Psychological Association Journal, Vol,123,No,1.2016,P:183.

[4]- Julia,Swannell." **The Little Oxford Dictionary Of Current English",**6 Th Ed, Oxford, Oxford University Press,1988,P:562.

[5] - Jannifer, Reiling." **Superstition in Medicine**", American Association, Jama, Vol,295, No,1,2006,P:113.

– "هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تتعارض مع الواقع، أو إنها مجموعة من السلوكيات التي لها معاني مختلفة بالنسبة لمختلف الأفراد والثقافات".[١]

- **مفهوم الخرافة الطبية**

"يقصد بها تفسير ومعالجة المظاهر الطبيعية والمرضية للحياة العضوية وفق تصورات خارقة للطبيعة وبصرف النظر عن طبيعتها الفيزيائية".[٢]

التعريف الإجرائي:

هو الاعتقاد في امتلاك مجموعة من المنتجات الطبية القدرة علي تغيير الحالة البيولوجية الآنية للأفراد، والوصول بها إلي مستوي من الكمال الصحي.

رابعا: الدراسات السابقة:

أن الرجوع إلي الدراسات السابقة يوضح الصعوبات والأخطاء التي مرت بها،لكي يتجنبها الباحث،حيث يؤكد إيلسون " Olson" أهمية تعرف الباحث علي البحوث السابقة لدراسته، ويرى أنها حجر الأساس الذي ترتكز عليه أية دراسة في بداية الأمر، كما أنها أساس التحليل الذي تنتهي إليه الدراسة. فالباحث عندما يضع تصوراً لحدود البحث فإن هذا التصور لا ينبع من فراغ، بل لابد من الرجوع للدراسات السابقة التي تناولت الموضوع بشكل مباشر أو غير مباشر؛ وذلك لأن مراجعة التراث يلقي المزيد من الضوء علي الأفكار الهامة والآراء التي كتبت عن الموضوع المراد دراسته وبحثه.كما أنها تعطي صورة واضحة لهذه الآراء المتباينة، وتوضح النتائج التي توصل إليها الآخرون.[٣] وهو الأمر الذي دفع الباحث إلي عرض التراث البحثي لدور الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية.

---

[1] - Silbel, Akova." **The Relationship Between Superstitions, Metaphors and Advertising**", Journal Of Academic Marketing Mysticism,Vol,3,No,9,2011,P:138.

[2] - Hugo, Magnus." **Superstition in Medicine**", Translation By: Julius,L. Salinger, Punk., Wagnalls Company, New York and London,1908,P:4.

[3] - Black, J.Champion,D.**;" Methods and Issues in Social Research'**, John Wiley and Sons, New York,Inc,1976,P.107.

أولا: الدراسات العربية:

الدراسة الأولي: الإعلانات الدوائية التي تستهدف المستهلك مباشرة في الأردن من منظور جندري.٢٠١٦.[١]

هدفت الدراسة إلي التعرف علي مدي انتشار الإعلانات الدوائية الموجهة مباشرة للمستهلك في الأردن، والفروق اللاحقة وفقا للنوع والجنس فيما يتعلق بهذه الإعلانات. وقد أجريت الدراسة علي عينتين هما: المرضي(المستهلكين للدواء) من مراجعي مستشفي الجامعة الأردنية، والعينة الاخري من الأطباء العاملون في المستشفي ذاته(الذين يصفون الدواء). وقد وزع استبيان علي المرضي الذكور والإناث بإجمالي (٥٥٠) فرد، وبناء علي نتائج هذا الاستبيان، تم تصميم استبيان أخر للأطباء من الذكور والإناث وعددهم(٢٠٠) فرد، وقد بلغت نسبة الاستجابة ٩٣% من المرضي، ٧٢% من الأطباء. وتوصلت الدراسة إلي أن أكثر من عشر مجموعات من الأدوية التي يتعرض لها المستهلك الأردني مباشرة اشتملت علي أدوية لا تصرف إلا بوصفة طبية، كما أكدت الدراسة علي اتفاق ما يقرب من ٤٥% من العينتين علي أن هذه الإعلانات تستهدف النساء أكثر من الرجال، وأخيرا لم تكشف الدراسة عن أي فروق ذات دلالة إحصائية لنوع الجنس في التوجهات نحو الإعلانات الدوائية الموجهة للمستهلك والوسائل الإعلانية المستعملة.

الدراسة الثانية: " إدراك الجمهور المصري لمخاطر إعلانات المنتجات الدوائية". ٢٠٠٨.[٢]

---

[١]- هديل عاشور، إبراهيم العبادي، **الإعلانات الدوائية التي تستهدف المستهلك مباشرة في الأردن من منظور جندري**، المجلة الصحية لشرق المتوسط، المجلد الثاني والعشرين، العدد السادس، ٢٠١٦، ص ص ٣٨٣- ٣٩٣.

[٢]- نادية عبد النبي القاضي، **إدراك الجمهور المصري لإعلانات المنتجات الدوائية**، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الثاني والثلاثون، ٢٠٠٨، ص ص ٣١٣- ٣٧٦.

استهدفت الدراسة رصد معدل تعرض الجمهور المصري لإعلانات المنتجات الدوائية، ومعرفة تأثير التعرض لها في وسائل الإعلام ، والوقوف على مدى إدراك الأفراد لدرجة الضرر التي يمكن أن تحدثها هذه الإعلانات علي الآخرين، ودراسة العلاقة بين إدراك الجمهور لتأثيرات الشخص الثالث وتأييد فرض الرقابة على إعلانات المنتجات الدوائية. وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين إدراك تأثر الذات بإعلانات المنتجات الدوائية مقارنة بمستوي إدراكهم لتأثيرها على الآخرين، كما أكدت الدراسة أن تأثير الشخص الثالث يزيد كلما زادت المسافة الاجتماعية مع الآخرين ممثلة في الأقارب والأصدقاء والجيران.

ثانيا: الدراسات الأجنبية

الدراسة الأولي:

"Viewer Perception of Messages in The Television Advertisement of Herbal Medicine: A survey of Akosombo Residents".2016.[1]

هدفت الدراسة إلي معرفة وجهات نظر المشاهدين عن الإعلانات التلفزيونية المروجة للطب العشبي، بالإضافة إلي معرفة مدي اعتقادهم في حقيقة ما يقدم من أدوية عشبية عبر شاشات التلفزيون. وتم جمع البيانات باستخدام أداة استبيان علي عينة عشوائية قوامها ٢٠٠ شخص تبلغ أعمارهم ١٨ عاما في مدينة أكوسومبو بدولة غانا. وانقسم الاستبيان إلي جزئين: الأول اختص بالبيانات الديموجرافية لعينة الدراسة، والثاني عرج ليعرض مدي اعتقادهم فيما يعرض عبر التلفزيون من أدوية عشبية. وبعد جمع البيانات تم تحليليها باستخدام برنامج SPSS. وتوصلت الدراسة إلي أن ٥١.٥% وجدوا في هذه الإعلانات الصفة التثقيفية، في حين أن ٣٥.٧% وجدوا أن هذه الإعلانات مبالغ فيها ولا تمت إلي الواقع بأي صلة. كما توصلت

[1] - Patrick, Kwadwo. Boateng Bonna." **Viewer Perception of Messages in The Television Advertisement of Herbal Medicine (A survey of Akosombo Residents",** The University of Ghana, Llgon, in Partial fillment of The Requirements for The Award of Master of Arts Degree in Communication Studies, 2016,P:P 1-81.

الدراسة إلي أن ٨٨% من المشاركين في البحث أكدوا علي ضرورة تنظيم مثل هذه الإعلانات للتقليل من المبالغة والادعاءات الطبية التي تقدمها.

الدراسة الثانية:

"Television as A source of Information on Health and Illness – Review of Benefits and Problems".2015.[١]

هدفت هذه الدراسة إلي تحديد الفوائد والأضرار الناجمة عن استخدام الوسائل السمعية البصرية لنقل المعلومات عن الصحة؛ وتشخيص التهديدات المحتملة عن عرض المعلومات الصحية عبر التلفزيون. ومن اجل تحقيق ذلك تم مراجعة نقدية ل ٤٧ ورقة نشرت في المجلات العلمية البولندية والدولية في السنوات ٢٠١٠-٢٠١٤. تم تصنيفها إلى ٨ أقسام: (١) المعلومات الصحية في المسلسلات ، (٢) الموضوعات الصحية في البرامج الحوارية ،(٣) المعلومات الصحية في البرامج الإخبارية،(٤) موضوعات التغذية في التلفزيون،(٥) أدوية المنشطات. (٦) المعلومات عن الأمراض. (٧) الإعلانات المتعلقة بالصحة العامة؛ (٨) برامج التثقيف الصحي. وتوصلت الدراسة أن التلفزيون مصدر واعد للمعلومات الطبية بشرط توخي الحذر والاعتدال فيما يقدم من معلومات طبية.

الدراسة الثالثة:

"The Effect of Deceptive Advertising on Consumption of the Advertised Good and its Substitutes: The Case of Over-the-Counter Weight Loss Products"2013.[٢]

هدفت هذه الدراسة إلي التعرف علي تأثير التعرض للإعلانات الخادعة علي استخدام المشاهدين لمنتجات إنقاص الوزن. واعتمدت الدراسة علي منهج المسح الاجتماعي لعينة

[1] - Burzyńska J.Et al." **Television as a source of information on health and illness – review of benefits and problems**", International Journal of Health Sciences, Vol,5, Issue,2, 2015,P:P 174- 184.

[2] -John, Cawley. Et al." **The Effect of Deceptive Advertising on Consumption of the Advertised Good and its Substitutes: The Case of Over-the-Counter Weight Loss Products**" IZA DP No. 724, 2013. P:P 1- 48.

طبقية متعددة المراحل بلغ قوامها ٥٩٠٠٠ امرأة و٤٧٠٠٠ رجل خلال الفترة من ٢٠٠١-٢٠٠٧، وتم جمع البيانات من خلال استخدام استبيان تدور أسئلته حول مدي استخدامهم لهذه المنتجات من عدمه. وتوصلت الدراسة إلي أن المشاهدين كانوا أكثر استخداما لتلك المنتجات الخادعة عن إتباع أي نظم غذائية أو رياضية تساعد علي إنقاص الوزن، وهو ما يظهر حجم التأثير الذي مارسته الإعلانات في تغيير نمط حياة الأفراد.

الدراسة الرابعة:

"Investigating The Relationship between Exposure to Television Programs That Depict Paranormal Phenomena and Beliefs in The Paranormal"2001.[1]

هدفت الدراسة إلي اكتشاف العلاقة بين التعرض لوسائل الأعلام والمعتقدات الخاطئة والغير علمية. وتم إجراء الدراسة علي عينة عشوائية قوامها ١٢٠ مفردة(٩٨ ذكر، ١٠٢ أنثي) تم اختيارها من دليل الهاتف، واعتمدت الدراسة في جمع البيانات علي أداة المقابلة، واستغرقت المقابلة مع كل فرد من أفراد العينة مدة زمنية بلغت ١٥ دقيقة، مع التأكد من أن أعمارهم لا تقل عن ١٨ عاما، باعتبار أن هذا هو سن البلوغ والنضج الذي يمكنه من إدراك الفرق بين الحقيقة والخرافة. وتوصلت الدراسة إلي أن تعرض الجمهور لوسائل الإعلام بشكل مكثف يجعل تأثير الرسالة الإعلامية عليهم اكبر، كما أكدت الدراسة علي أن الاعتقاد في الخرافات التي تعرض عبر وسائل الأعلام معتمدة في الأساس علي التجربة الشخصية التي يمر بها الفرد.

الدراسة الخامسة:

"Understanding the Effects of Direct-to-Consumer Prescription Drug Advertising". 2001.[1]

[1] -Glenn,G, Sparks. Will, Miller." **Investigating The Relationship between Exposure to Television Programs That Depict Paranormal Phenomena and Beliefs in The Paranormal ",** Journal of Communication Monographs, Vol,68, No,1, 2001, P:P 98-113.

هدفت الدراسة إلي التعرف علي إلي أي مدي يستخدم الأفراد الأدوية التي يروج لها عبر الإعلانات التلفزيونية. وهل هذه الإعلانات تقدم معلومات تساعد في الشفاء من الأمراض؟، كما هدفت الدراسة إلي إجراء تقييم بين مستخدمي الأدوية التي تذاع عبر الإعلانات التلفزيونية، وبين المشاهدين لها فقط. ولتحقيق هدف الدراسة تم إجراء مسح باستخدام الانترنت علي عينتين:**الأولي:** عينة عشوائية من الأفراد الذين استخدموا بالفعل تلك الأدوية المعلن عنها، **والثانية:** مع عينة من الأفراد المشاهدين للإعلانات فقط دون استخدام، وتم تقسيمهم إلي ثلاث مجموعات عشوائية شاهدت كل منها نوع مختلف من الأدوية. وتوصلت الدراسة إلي أن الأفراد الذين كانوا يعانون من حالة صحية غير جيدة، بالإضافة إلي كبار السن كانوا أكثر الناس استخداما لتلك المنتجات، والتحدث مع طبيبهم الخاص بشأنها.

الدراسات السابقة"رؤية سوسيولوجية"

- طرحت معظم الدراسات السابقة حالة من الانصياع التي انتابت المشاهدين بشكل كبير لما يعرض عبر شاشات التلفزيون من إعلانات تروج لمنتجات طبية خادعة، مرتكزة علي التأثير التراكمي للمادة الإعلانية علي المشاهدين، دون الإشارة للدلالات الاجتماعية التي قد تدفع الأفراد للاقتناع بمثل هذه الخرافات الطبية والتي من أهمها: الحصول علي حظ من الشفاء،أو الحد من تدهور الحالة الصحية الحالية، أو الرغبة في الانتقال إلي حالة بيولوجية أفضل.
- لم تكشف لنا الدراسات السابقة عن البنية الفوقية والتحتية للمشاهدين المستقبلين لهذا الإعلانات، والتي عادة ما يكون لها دور في تحديد مدي استجابة الأفراد للاملاءات التي تفرضها عليهم وسائل الأعلام.

[1] - The Henry J. Kaiser Family Foundation." **Understanding the Effects of Direct-to-Consumer Prescription Drug Advertising**", Menlo Park, California, 2001, P:P 1-12.

- كشفت الدراسات السابقة عن تغيير عميق في منظومة الرعاية الصحية التقليدية القائمة علي العلاقة المباشرة بين الطبيب والمريض، حيث تراجع دور الطبيب في تقديم الاستشارة للمرضي، وأصبحت الإعلانات هي المنصات التي تنطلق منها روشتات العلاج، وهو ما يؤكد حجم التحديات التي تفرضها منظومة العولمة علي مجال الرعاية الصحية.
- أوضحت الدراسات السابقة أن اغلب الفئات التي استهدفتها الإعلانات التلفزيونية المروجة للخرافات الطبية كانت من شريحة الشباب وكبار السن، دون أن تكشف لنا عن أسباب استهداف الإعلانات لهذه الفئات. والتي يمكن تفسيرها في ضوء أن حجم الطلب من النماذج الأصغر سنا عادة ما يكون في تزايد مستمر، كما أنهم لديهم المساحة الزمنية الكافية لمتابعة ما يعرض وبالتالي استخدامه، كما أن فترة الشباب هي فترة إجراء التعديلات علي أنماط الحياة والتوقعات الاجتماعية الجديدة، كما أن الحرية التي يعيشها الشباب في تلك المرحلة مع الاستقلال الاقتصادي والسعي لتحقيق أحلامهم يجعلهم العملاء المحتملين للمعلنين.أما بالنسبة لكبار السن فنجد أن منظورهم نحو الحياة في السنوات الأخيرة قد تغير من الرغبة في العيش لفترة أطول، إلي العيش بشكل داعم أو ما يمكن أن نسميه "**حياة الشيخوخة المثلي**"، وهو ما يدفعهم إلي استثمار المنتجات التي تروج لها الإعلانات، باعتبارها حلول واعدة ستحافظ لهم علي فرصهم المستقبلية في الحياة.
- حاولت الدراسة الراهنة الجمع بين التحليل الكمي والتحليل الكيفي للظاهرة قيد الدراسة، ولذا اعتمدت الدراسة علي منهج تحليل المضمون في محاولة لإخضاع ما يعرض عبر شاشات التلفزيون للمعالجات الإحصائية، من خلال تقييم ووصف مضمونها الشامل ومعناها الرمزي والتعبير عن ذلك بالأرقام وهو ما لم يتوافر في الدراسات السابقة.

خامسا: **الإطار النظري للدراسة:**

يعتمد تفسيرنا النظري في معرفة الدور الذي تلعبه الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية علي منظور رئيسي يتمثل في **نظرية الغرس الثقافي.**

حيث تعرف عملية الغرس "بأنها العملية التي يتم من خلالها التفاعل مع أشكال ثقافية مختلفة مع تحقيق الهدف التي ترتكز عليه الرسالة الإعلامية".[١] ونظراً لان الرسائل المنتجة تشكل الثقافة، فقد اعتقد جيربنر " **Gerbner**" مؤسس نظرية الغرس الثقافي أن تأثير ذلك يحدث علي المدى الطويل من خلال عملية التعزيز والتغيير.[٢]

ويعد مفهوم الغرس احد أركان مشروع "جيربنر وزملاءه" الذي أطلق عليه "**المؤشرات الثقافية**"، تلك المؤشرات التي تتراوح بين ثلاث مستويات وهي (١) مستوي تحليل المؤسسة القائمة بعملية الغرس. (٢) مستوي تحليل الرسالة الإعلامية.(٣) مستوي تحليل تأثير الرسالة علي الجمهور.[٣]

وتتكون هذه النظرية من عنصرين أساسين هما:

١- محتوي ما يقدم عبر التلفزيون سواء كان حقيقة آم خيال.

٢- أن التعرض المتكرر للصور المشوهة عبر التلفزيون، يؤدي إلي استيعابها من قبل الجمهور دون تقييم.[٤]

فالتعرض المتكرر لما يعرض في التلفزيون يقود المشاهدين إلي غرس ما يعرض من معلومات تلفزيونية بداخلهم ودمجها في تصوراتهم وأحكامهم عن العالم الحقيقي.[١] وهو ما

---

[1] - James, Shanahan. Michael, Morgan." **Television and Its Viewers: Cultivation Theory and Research**", The Press Syndicate Of The University Of Cambridge, 1999,P:17.

[2] - Walim,James,Potter." **Critical Analysis Of Cultivation Theory**", Journal Of Communication, Vol,64,Issue,6,2014,P:P1015-1036.

[3] - Michel, Morgan." **Cultivation Analysis and Media Effects" In The Sage Hand Book Of Media Processes and Effects**", Robin,L,Nabi.Mary, Beth.(Edit), Sage Publication,2009,P:7.

[4] - Shrum,L,J." **A process Model Of Consumer Cultivation: The Role Of Television is A function Of The Type Of Judgment",** Journal Of Communcation,Vol,29, No,20.2004, P:179**.**

يعد نوع من التعلم العشوائي وغير المتعمد وحالة من اللاوعي من قبل المشاهدين.[٢] وخصوصاً المشاهدين الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة، حيث ذهب "جيربنر" إلي كونهم أكثر تأثرا بالطرق التي يتم من خلالها صياغة العالم.[٣] حيث يفسرون ما يعرض عليهم علي انه العالم الحقيقي وليس عالم الأعلام.[٤] فمشاهدتهم للتلفزيون لفترات طويلة تجعلهم يتعرضون لإيديولوجية أكثر مركزية، واتساقاً مع الثقافة العالمية، وخصوصا وان التلفزيون يعمل علي توسيع دائرة المفاهيم والمعتقدات والسلوكيات لدي مستقبلي الرسالة الإعلامية.[٥]

فالتلفزيون إذا كان يبني، ويحفز، ويولد، ويقترح، ويعلم، ويقنع، ويثير، ويعزز[٦]، فانه أيضا يبني شعورا كاذب عن الواقع، وخصوصا فيما يتعلق بقيم الجمال والجسد ونمط الحياة.[٧]

انطلاقا من أن التلفزيون لا يعكس ما يحدث في العالم الخارجي، ولكنه يقدم عالم اصطناعي يركز علي قضايا معينة تعكس أرادة وأراء واهتمامات القائمين عليه.[٨] ويتشكل هذا العالم الاصطناعي من خلال ما يلي:

---

[1] - Reber,Bryan.Yahmim,Change" **Assessing Cultivation Theory and Public Health Model For Crime Reporting**, New Paper Research Journal,Vol,21, 2001,P:P99-112.

[2] Omer,Ozeri**. "Cultivation Theory and Hegemony: A research From Turkey On Cultivation Role Of Television**", The Journal Of Informatol44,Vol,3,2011,P:188.

[3] - Running, Head ."**Cultivation Theory: Growth Or Phenomenon?: Cultivation Theory since its Inception** ", Sharany alakshmi Sudhakar , Word Press, P:4.

[4] - Josefine, Bengtsson." **The Power Of The Ideal Man: Exploring The Effects Of Using Him In Media**", Springer, 2012,P:19.

5- Shinichi,Saito "**Television and The Cultivation Of G ender- Role Attitude In Japan :Dose Television Contribute To The Maintenance Of The Status Quo**? ,Journal Of Communcation,Vol,57,2007,P:521.

[6] - George, Gerbner. Et all**." Living With Television: The Dynamic Of The Cultivation Process", in "Perspective on Media Effects"**,Jennings,Bryant. Dolfzillmann,Hillsdale(Edit), Journal Of Advertisting,Vol,16,Issue,3,1987,P:21.

[7] - Sarah, Tayer." **Instagram: What Makes You Post?**", *Pepperdine Journal* Of Communication Research, Vol,4, Issue,14,2016,P:31.

8- حسن عماد المكاوي، ليلي حسين السيد، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠، ص ١٦٥.

١- أن مؤسسات الاتصال الجماهيري مملوكة لنخب اجتماعية وثقافية واقتصادية ذات أيدلوجية معينة.

٢- الرسائل الإعلامية التي تبث تميل إلي أن تتفق مع احتياجات الناس ورغباتهم.

٣- أن الجمهور عادة ما يشاركون في عملية اجتماعية يستمعون فيها إلي الرسائل ويستخدمونها.

٤- أن الجمهور عادة ما ينسجم ويتكيف مع ما يبث ويجعله جزء من ثقافته.[١]

وهو ما يجعل خطر التلفزيون ليس في قدرته علي تشكيل وجهة نظر معينة حول قضية ما، ولكن في قدرته علي تشكيل منظومة من القيم الأخلاقية والمعتقدات العامة للناس حول البيئة المحيطة بهم.[٢]

ويرجع ذلك كونه يتميز بالاتي:

أ- أن التلفزيون يخترق حياة الناس بلا إذن. ب- يمكن الوصول والتعامل معه دون أي مهارات مسبقة. ج- انه متماسك بالنسبة للرسائل التي يعرضها علي المجتمع.[٣]

وتتمثل العلاقة بين التلفزيون وعملية الغرس الثقافي في الأتي:

١- التلفزيون وسيلة مميزة عن وسائل الأعلام الاخري، نظرا لما يتمتع به من قوة جذب كبيرة تجعله بيئة خصبة للتعلم.

٢- رسائل التلفزيون تشكل نظام متجانس مع التيار السائد في ثقافتنا.

٣- مضمون الرسائل التلفزيونية يقدم مفاتيح الغرس الثقافي.

---

[1] - James, Shanahan. Michael, Morgan." **Television and Its Viewers: Cultivation Theory and Research**", OpCit,P:P15-18.

[2] - Eman, Mosharafa." **All You Need To Know About The Cultivation Theory",** Global Journal Of Human Social Science: Arts and Humanities-Psychology,Vol,15,Issue.8,2015,P:23.

[3] - Katherine, Miller." **Communication Theories: Perspectives Processes and Contexts**", USA: McGraw- Hill INC,2002,P:270.

٤- تحليل الغرس يركز علي إسهام التلفزيون في صياغة أفكار الجمهور.

٥- تزيد المستحدثات التكنولوجية من وصول الرسائل إلي الجمهور.[١]

وفي نهاية عرضنا عن نظرية الغرس الثقافي يمكن الإشارة إلي **أهم القضايا النظرية التي ترتكز عليها هذه النظرية وهي:**

١- تدرس نظرية الغرس الثقافي تأثيرات التلفزيون علي المدى الطويل، حيث توصل الباحثون إلي أن تأثيراته تراكمية وان مشاهدته المستمرة يمكن أن تغرس إطارا فكريا لدي المشاهدين يستخدمونه في تفسير الحقائق والأحداث اليومية.

٢- تتعدي نظرية الغرس الثقافي المستوي الفردي للتأثير لتشمل ما تقوم به من تشكيل نظام ثقافي متكامل.

٣- تشكل المضامين التي يقدمها التلفزيون وجهة نظر تختلف عن الخبرة الشخصية.

٤- تعاملت نظرية الغرس مع مصطلح الغرس بدلا من التأثير مما يؤكد أن هذه العملية ليست أحادية الجانب ولكنها عملية تتداخل فيها عوامل عدة منها: الفرد- الرسالة- الواقع الاجتماعي نفسه.

٥- أكدت نظرية الغرس أن مصطلح الغرس ينتج عن المشاهدة العفوية غير الانتقائية.[٢]

الإطار المنهجي للدراسة:

[١]- ميرفت الطرابيشي، عبد العزيز السيد، **نظريات الاتصال**، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ص ٢٨٢-٢٨٥.

[٢]- أماني السيد فهمي، **الاتجاهات الحديثة لنظرية التأثير في الراديو والتلفزيون**، المجلة العلمية لبحوث الإعلام، العدد السادس، ١٩٩٩، ص ص ٢٢٨-٢٣٠.

الهدف الرئيسي: التعرف علي دور الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية. وينقسم إلي مجموعة من الأهداف الفرعية:

١- التعرف علي الآليات الفنية التي يلجأ إليها القائمين علي الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية (من حيث الشكل والمضمون).

٢- التعرف علي نوعية المنتجات الطبية الخرافية التي تقدم عبر هذه الإعلانات، والفئة المستهدفة منها.

٣- التعرف علي هوية القنوات التلفزيونية التي تبث الإعلانات المروجة لهذه الخرافات الطبية.

٤- التعرف علي مدي استجابة المشاهدين لما يقدم عبر هذه الإعلانات من منتجات طبية خرافية.

وسعت الدراسة لتحقيق أهدافها من خلال حزمة من التساؤلات، التي تضمنت مجموعة من القضايا المطروحة في الإطار النظري، وتداولت مناقشتها تأصيلا نظريا سواء من خلال الدراسات السابقة أو المفاهيم والاقتراب النظري للدراسة. وقد حددت الدراسة تساؤلا رئيسيا يتبعه مجموعة من التساؤلات الفرعية.

التساؤل الرئيسي: ما هو دور الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية؟ ويتفرع من هذا التساؤل عدد من التساؤلات الفرعية:

١- ما هي الآليات الفنية التي يلجأ إليها القائمين علي تلك الإعلانات في نشر الخرافات الطبية من حيث الشكل والمضمون ؟ ويتفرع منه عدد من التساؤلات الفرعية منها:

ا- ما هي سمات المادة الإعلانية الناشرة للخرافة الطبية؟

ب- ما هي لغة الإعلان الناشر للخرافة الطبية؟

ج- ما هي العلاقة الارتباطية بين مدة التعرض للإعلان ونشر الخرافة الطبية؟

د- إلي أي مدي تعتمد الإعلانات التلفزيونية علي الرمز في الترويج للخرافة الطبية؟

هـ- ما هي نوعية الشخصيات الظاهرة في الإعلان، وأهم سماتها، ودور هذه السمات في الترويج للخرافات الطبية؟

٢- ما هي نوعية المنتجات الطبية الخرافية التي تقدم عبر هذه الإعلانات، وما هي الفئة المستهدفة منها؟

٣- ما هي هوية القنوات التلفزيونية التي تبث الإعلانات المروجة للخرافات الطبية؟

٤- ما مدي استجابة المشاهدين لما يقدم من منتجات طبية خرافية عبر الإعلانات التلفزيونية؟ ويتفرع منه عدد من التساؤلات الفرعية منها:

أ- إلي أي مدي تلعب حاجة الأفراد للتمتع بحالة من الكمال الجسدي دوراً في استخدام تلك المنتجات الطبية الخرافية التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية؟

ب- إلي أي مدي تلعب حاجة الأفراد للتمتع بحياة صحية أفضل دوراً في استخدام تلك المنتجات الطبية الخرافية التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية؟

ج- إلي أي مدي تلعب حاجة الأفراد للتمتع بحالة جنسية مثالية دوراً في استخدام تلك المنتجات الطبية الخرافية التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية؟

الإجراءات المنهجية للدراسة:

اعتمد الباحث في تحليل وتفسير إشكالية الدراسة الراهنة علي عدة خطوات لمحاولة تحقيق أهداف دراسته. **أولا** استخدم الباحث منهج تحليل المضمون لعدد من الإعلانات التلفزيونية الناشرة للخرافات الطبية بلغ قوامها(١٥٠) إعلان تبث عبر عدد من القنوات بلغ عددها (٧) قنوات تلفزيونية هي (قناة أفراح، قناة توك توك، قناة سينما علي بابا، قناة سينما تيوب، قناة جي دراما، قناة شعبيات، قناة تتح).

واتبع الباحث الخطوات التالية في تحليل مضمون هذه الإعلانات:

أولا: اختيار مادة التحليل: واشتمل علي تحليل محتوي الإعلانات التلفزيونية التي تروج للخرافات الطبية عبر ٧ قنوات تلفزيونية بإجمالي ١٥٠ إعلان تلفزيوني.

ثانيا: عينة مادة التحليل: واشتملت علي المساحة الزمنية الذي يستغرقه كل إعلان من هذه الإعلانات التي تروج للخرافات الطبية، فضلاً عن معدل تكرارها يوميا، واللغة المستخدمة في الترويج لمثل تلك الخرافات.

ثالثا: وحدات تحليل المضمون وتشمل:

١- وحدة الكلمة: حيث تم تحليل مجموعة الرموز التي تعتمد عليها تلك الإعلانات في الترويج للمنتجات ذات الطبيعة الطبية الخرافية.

٢- وحدة المضمون: حيث تم تحليل الأفكار التي اعتمدت عليها الإعلانات في الترويج للمنتجات ذات الطبيعة الطبية الخرافية، من حيث هل هي أفكار عاطفية تخاطب قضايا ملحة لدي المشاهدين (مثل قضايا الأمومة، الأبوة، الصحة، الجمال) أم إنها أفكار تخويفية تعتمد في الترويج للمنتج علي عنصري الندرة والمحدودية، آم إنها أفكار عقلية تطرح منظومة متكاملة من الفرص التي يجب اغتنامها للتمتع بحياة أفضل من خلال استخدام المنتج المعلن عنه.

رابعا:فئات تحليل المضمون:

وهنا حاول الباحث أن يجيب عن سؤال **ماذا قيل داخل الإعلان؟** وفقا للعناصر التالية:

أ- فئة اتجاه الإعلان : وحاول الباحث من خلالها تحديد اتجاه الإعلان التلفزيوني المروج للمنتجات الطبية الخرافية، من حيث هل يساعد علي الكف عن سلوكيات معينة، آم يحرض علي سلوك ما، آم يساعد علي تثبيت وتعزيز نمط محدد من السلوكيات.

ب- فئة الفاعل في الإعلان: حيث رصد الباحث ملامح الشخصيات الظاهرة في الإعلان، من حيث السن والجنس والمهنة وبعض الخصائص الاخري، مثل توافر الصحة والجمال في شخصية المعلن.

ج- فئة موضوع الإعلان: حيث رصد الباحث ما يقدم من منتجات تروج للخرافات الطبية مثل الأدوية- الأجهزة الطبية- المستحضرات- الأعشاب.

د- فئة المكان: حاول الباحث التعرف علي مصدر بث الإعلان وهل هي قنوات تلفزيونية حكومية آم خاصة آم الاثنين معا.

هـ- فئة القيم التي يبثها الإعلان: وهل هي قيم جمالية- جنسية- صحية.

و- فئة سمات المادة: من حيث مدي اعتماد تلك الإعلانات علي الحوار، أو الصور المتحركة، أو فيلم توضيحي لسمات وفاعلية المنتج، فضلا مدي اعتماد تلك الإعلانات علي الموسيقي كأداة جذب للجمهور.

ز- فئة المخاطبين: من حيث الجمهور الذي يستهدفه الإعلان التلفزيوني المروج للخرافات الطبية من حيث كونهم أطفال- شباب- كبار السن- المتزوجين.

بالإضافة إلي منهج تحليل المضمون، **اعتمد الباحث ثانياً علي منهج المسح الاجتماعي** علي عينة قوامها (٩٠) مفردة مقسمة إلي (٥٦ ذكر، ٣٤ أنثي) تم اختيارهم بطريقة عشوائية من اجل التعرف علي تأثير ما يقدم عبر تلك الإعلانات علي نشر الخرافات الطبية. والذي تطلب إجرائه مجموعة من المعالجات الإحصائية التي قدمت تشريحا وتحليلا لبنود الاستمارة المكونة من ١٩ سؤالا (انظر الملحق). تتضمن أبعادها: **المحور الأول:** البيانات الأساسية لأفراد العينة. **المحور الثاني:** أسباب اللجوء لمثل هذا النوع من المنتجات التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية. **المحور الثالث:** أنماط المنتجات الطبية التي يحرص الأفراد علي مشاهدتها، ومن ثم شرائها. **المحور الرابع:** الأثر الطبي لهذه المنتجات الطبية علي الحالة الصحية. وكان لزاما علينا لإتمام هذا الإطار أن نستعين بمقاييس النزعة المركزية، ومقاييس التشتت، مقاييس الدلالة الإحصائية، وقد تناوبت تلك العمليات الإحصائية علي بنود الاستمارة من خلال مفرداتها الإحصائية المتبعة، والمتناولة للوسط الحسابي، والتباين لتحديد العلاقة بين المتغيرات، إلي جانب استخدام مقياس (كا٢) و اختبار(T) للمقارنة بين الذكور/ والإناث.

أداة الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته علي أداتين: **أولا "استمارة تحليل المضمون**" لتحليل مضمون الاعلانات التي تروج للمنتجات الطبية الخرافية والتي تبث علي السبع قنوات محل الدراسة الراهنة.

كما اعتمد الباحث **ثانيا علي "أداة الاستبيان"** لرصد استجابات الأفراد نحو ما يقدم عبر هذه الإعلانات من منتجات طبية خرافية، ومرت الاستمارة في بنائها بمرحلتين تناولت **المرحلة الأولي:**(استمارة كشفية للبيانات الأساسية) تم من خلالها اختيار عينة الدراسة، **واشتملت هذه البيانات علي (الاسم، السن، التعليم، المستوي الاقتصادي، الديانة، محل الإقامة، عدد مرات المشاهدة للإعلانات الطبية، عدد مرات الشراء لتلك المنتجات، مدي الضرر أو النفع الذي عاد علي الأفراد من استخدامهم لهذه المنتجات التي تقدم عبر الإعلانات)**، ومن خلالها تم عمل حصر بالعينة موضع الدراسة واستبعاد الحالات التي لا تنطبق عليها الشروط. فيما اختصت **المرحلة الثانية** بثبات الاستمارة من خلال اختبار قبلي Pretest، تم إجراؤه على نسبة ٥% من حجم عينة الدراسة وتكررت تلك العملية بعد (١٥يوم)، مما أدي إلي إدخال بعض المتغيرات علي الاستمارة، وحذف الآخري منها. وقد قام الباحث باستبعاد استمارات الاختبار من العينة الكلية للدراسة، وبعد أجراء الثبات والتأكد منه تم عرض الاستمارة على بعض من المحكمين، لاستطلاع أرائهم حول المطروح بها من قضايا، وتم موافقتهم عليها.

عينة الدراسة:

واختار الباحث في الدراسة الراهنة عينتين ووضع مجموعة من المعايير الموضوعية الخاصة باختيار كل عينة:

أولا: أسباب تتعلق بعينة الإعلانات:

١- حرص الباحث علي اختيار الإعلانات الطبية ذات المعدل التكراري المرتفع(أي التي تتميز بالكثافة الإعلانية).

٢- حرص الباحث علي اختيار الإعلانات التلفزيونية التي تروج لخرافات طبية ذات مضامين مختلفة.

٣- حرص الباحث علي اختيار الإعلانات التي تخاطب شرائح متنوعة من الجمهور.

ثانيا: أسباب تتعلق بالعينة البشرية :

١- حرص الباحث علي أن يكون المبحوثين من الأفراد الذين قاموا بشراء احد المنتجات الطبية التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية.

٢- حرص الباحث علي أن يكون المبحوث من المتابعين بشكل كثيف لما يعرض من منتجات طبية عبر الإعلانات التلفزيونية.

٣- حرص الباحث علي اختيار المبحوثين الذين لديهم الرغبة الجادة والصادقة في المشاركة حتى يدلون بإجابات صادقة وبعيدة عن المغالطة.

٤- حرص الباحث علي ضرورة أن يكون المبحوث قد استخدم المنتج الطبي المعلن عنه، واكتشف الأثر الطبي الناتج عن استخدامه.

خصائص العينة:

١- **خصائص العينة الإعلانية**:

تكونت العينة الإعلانية من عدد من الإعلانات بلغ قوامها ١٥٠ إعلان تم اختيارها بشكل عمدي بناءا علي اختصاصها في نشر الخرافات الطبية، وتنوعت تلك الإعلانات المروجة للخرافات الطبية ما بين **إعلانات اختصت بالجمال** بلغ قوامها(٦٦) مثل (تكبير وتصغير الثدي، علاج تساقط الشعر، تطويل وفرد الشعر، التخسيس، علاج النحافة، نضارة البشرة، منع علامات الشيخوخة، علاج حب الشباب، تفتيح الأماكن الداكنة، علاج الصلع)، **وإعلانات اختصت بالعلاج من الأمراض** بلغ قوامها(٣٢) مثل (علاج خشونة الركبة، علاج الروماتيزم، علاج العمود الفقري،علاج السكر، علاج القولون، علاج الدورة الشهرية، علاج اختلال الهرمونات، علاج تأخر الحمل) **وإعلانات اختصت**

بالشـق الجنسـي بلـغ قوامهـا(٥٢) مثـل(التسـرب الوريـدي، تطويـل وتضـخيم العضـو الذكري، علاج ضعف الانتصاب، علاج سرعة القذف، منتجات الإثارة الجنسية).

٢- **خصائص العينة البشرية**.

تكونت العينة من ٩٠ مفردة(٥٦ ذكر+٣٤ أنثي) تم اختيارهم بطريقة عشوائية. وتم اختيارهم بنسبة بلغت ٦٢% للذكور مقابل ٣٨% للإناث. واختص القطاع الريفي منها بنسبة ٤٣% مقابل ٥٧% للقطاع الحضري. وبلغت نسبة أعمارهم لسن ٢٠-٢٣ سنة (٥.٥%) للذكور مقابل (١.١%) للإناث. وفئة العمر ٢٣-٢٦ سنة (١٣.٣٣%)،(٠%) للذكور والإناث علي التوالي. وفئة العمر ٢٦-٢٩ سنة كانت نسبته(٢٥.٥%)،(٥.٥%) للذكور والإناث علي التوالي. وفئة العمر ٢٩-٣٢ سنة (٢٠%)،(٤.٤٤%) للذكور والإناث علي التوالي. وفئة العمر ٣٢-٣٥ سنة علي (٠%)،(١١.١١%) للذكور والإناث علي التوالي. وفئة العمر ٣٥-٣٨ سنة(٠%)،(٦.٦٦%) للذكور والإناث علي التوالي.

أ- الديانة:

وبلغت نسبة الديانة الإسلامية (٩٣%) من حجم العينة، في مقابل(٧%) للديانة المسيحية. وتشير تلك النسب إلي أن الدين لم يعد يشكل أي عائق في قبول الأفراد لتلك الخرافات الطبية التي تبث عبر شاشات التلفزيون. بل يري الباحث أنهم نظروا إلي ما يقدم علي انه هبه من الله تقدم إليهم، وعليهم استثمارها وهو ما أوقعهم في فخ الخرافة.

ب- مستويات التعليم:

مستويات التعليم لأفراد العينة أوضحت ارتفاع المستوي التعليمي لكل من الذكور والإناث حيث بلغ المستوي التعليمي في المستوي الثانوي نسبة(٢١%)،(٩%) للذكور والإناث علي التوالي، في حين بلغ المستوي الجامعي نسبة (٢٢%)، (٦.٦٦%) للذكور والإناث علي التوالي. وبلغ المستوي التعليمي في مرحلة

الدراسات العليا نسبة (١٣.٣٣%)،(٢٢%) للذكور والإناث علي التوالي. وتكشف تلك النسب عن مدي التناقض بين ارتفاع المستوي التعليمي والوقوع في فخ الخرافة، والذي يري الباحث انه قد يرجع إلي سعي أفراد العينة الحثيث نحو رفع العبء عن الأسرة التي يعيشون في كنفها، أو ورغبتهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم بعيدا عن النموذج الطبي التقليدي الذي يضعه الأطباء.

ج- كثافة المشاهدة وعلاقتها بنسب الشراء:

كشفت نتائج الدراسة عن احتلال متغير مشاهدة الإعلان مرة واحدة نسبة(٧.٧٧%)،(٨.٨٨%) للذكور والإناث علي التوالي. في حين جاء مشاهدة الإعلانات مرتين يومياً نسبة(١٤.٤٤%)،(٠%) للذكور والإناث علي التوالي. في حين جاء مشاهدة الإعلانات ثلاث مرات يوميا نسبة(٢٥.٥%)،(١٢%) للذكور والإناث علي التوالي. ومشاهدة الإعلانات أربع مرات يوميا نسبة(٤.٤٤%)،(١٠%) للذكور والإناث علي التوالي.وأخيرا مشاهدة الإعلانات خمس مرات فأكثر نسبة(١٠%)،(٦.٦٦%) للذكور والإناث علي التوالي.

وتكشف تلك النسب عن حجم الأغراء والتحفيز الذي يمارسه القائمين علي الإعلانات في جذب انتباه الأفراد نحو ما يقدم من منتجات. وهو الأمر الذي تظهر نتائجه بصورة جليه في عدد مرات الشراء حيث بلغت نسبة شراء المنتج مرة واحدة نسبة(٢٥.٥%)،(٢٠%) للذكور والإناث علي التوالي. ثم شراء المنتج مرتين بنسبة (٢٩%)،(٢٤%) للذكور والإناث علي التوالي. ثم شراء المنتج ثلاث مرات بنسبة بلغت (٠%)،(٧.٧٧%) للذكور والإناث علي التوالي.

المجال الجغرافي:

اشتمل المجال الجغرافي لعينة البحث علي مجالين جغرافيين هما: **مجال العينة الإعلانية** حيث تم تطبيق الدراسة علي ٧ قنوات تلفزيونية هي(قناة أفراح، قناة توك توك، قناة سينما علي بابا، قناة سينما تيوب، قناة جي دراما، قناة تتح، قناة شعبيات)، وتم

منها استخراج الإعلانات التلفزيونية ذات الصبغة الطبية الخرافية والمحملة باتجاهات مختلفة ما بين علاجية وجنسية وجمالية.

ومجال العينة البشرية حيث تم إجراء الدراسة في مركز ابشواي باعتباره يمثل القطاع الريفي، ومدينة الفيوم باعتبارها تمثل القطاع الحضري.

المجال الزمني:

استغرقت فترة المتابعة لما يعرض من اعلانات تلفزيونية تروج للخرافات الطبية علي السبع قنوات محل الدراسة فترة زمنية بلغت ثلاثة اشهر بدءا من يناير ٢٠١٧ حتي مارس ٢٠١٧ وبمعدل زمني اربع ساعات من الساعة السادسة حتي الساعة العاشرة مساءا يوميا، وتبع ذلك الدراسة الميدانية لمدة اربع اشهر من ابريل ٢٠١٧ حتي يوليو ٢٠١٧.

نتائج الدراسة:

نستعرض فيما يلي نتائج الدراسة مشتملة علي تحليل مضمون الإعلانات التلفزيونية البالغ عددها(١٥٠) المذاعة عبر ال٧ القنوات التلفزيونية التي تروج للخرافات الطبية، ثم الانتقال لعرض نتائج المسح الاجتماعي علي عينة الدراسة.

المحور الأول: الآليات الفنية التي يلجأ إليها القائمين علي تلك الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية

جدول رقم (١)

يوضح سمات المادة الإعلانية الناشرة للخرافة الطبية

المحور الأول	المؤشرات	عدد الإعلانات								
		أفراح	جي دراما	توك توك	سينما تيوب	سينما علي بابا	تتحح	شعبيات	المجموع	%
١	شخصيات	٣	١	١	٨	١	٢	٤	٢٠	١٣.٣٣

	تتحدث عن المنتج الطبي									%
	فيديو توضيحي للمنتج الطبي	٧	١٣	٩	١٧	٤	٣	١٣	٦٦	%٤٤
	صور متحركة عن المنتج الطبي	١	٥	٣	٧	٢	–	٨	٢٦	١٧.٣٤ %
	حوار بين شخصين عن المنتج الطبي	–		–	١	–	–	–	١	%٠.٦٦
	رسوم توضيحية للمنتج الطبي	٢	٧	٧	١١	١	٢	٧	٣٧	٢٤.٦٧ %
	المجموع	١٣	٢٦	٢٠	٤٤	٨	٧	٣٢	١٥٠	١٠٠

أوضحت مؤشرات جدول رقم (١) اعتماد الإعلانات التلفزيونية علي آلية الفيديو التوضيحي في ترويجها للخرافات الطبية، حيث جاءت هذه الآلية في المرتبة الأولي بنسبة ٤٤%، وفي المرتبة الثانية جاءت تقنية الرسوم التوضيحية بتقنية الصوت والصورة مسجلة نسبة بلغت ٢٤.٦٧%، تبعتها آلية صور متحركة عن المنتج بنسبة بلغت ١٧.٣٤%، ثم متغير شخصيات تتحدث عن المنتج وخصائصه ودوره في الشفاء من الأمراض بنسبة ١٣.٣٣%، وأخيرا في المرتبة الخامسة جاءت تقنية حوار بين شخصين عن هذا المنتج الطبي بنسبة ٠.٦٦%.

وتؤكد النسب السابقة علي تنوع الميكانزمات التي تعتمد عليها الإعلانات في نشر خرافاتها الطبية، ومن هذه الميكانزمات:

١- ميكانيزم Simile: أي المقارنة بين حالتين مختلفتين مثل تقنية "Befor&After"، انطلاقا من أن استخدام هذه الآلية يساعد في نشر الخرافة، حيث يري المستهلك أن النتائج متسقة بشكل كلي مع الواقع وقابلة للتنبؤ.

٢- ميكانيزم Like: أي إبراز الشبيه للجمهور لتحديد موقعه من هذا الشبيه.

٣- ميكانيزم As: أي اعتماد الإعلان علي ألفاظ أو كلمات واضحة في ذاتها مثل استخدام ستجعلك مثل الحصان- الأسد- ملكة جمال.

٤- ميكانيزم Simple: أي استخدام بعض الرموز أو العلامات الإعلانية.

٥- ميكانيزم Data: أي إعطاء بيانات كاملة عن المنتج.

٦- ميكانيزم Personification: أي الاعتماد علي التجسيد في الإعلان باعتباره يعطي المنتجات الثقة.

٧- ميكانيزم Metaphor: بمعني استخدام الاستعارات في الإعلان أي استخدام العبارات مع الأسماء.[١]

ويرجع الاعتماد علي تلك الميكانزمات إلي اقتناع القائمين علي تلك الإعلانات التلفزيونية المروجة للخرافات الطبية، إلي حاجة المشاهدين إلي نوعين مختلفين من الاستدلال حتى تصل لهم الرسالة كاملة، **النوع الأول:** لغوي قائم علي إيضاح هيكل ومواصفات المنتج الإعلاني، أما **النوع الثاني:** فهو استدلال عملي بمعني أن المشاهد يحتاج إلي تجربة حيه عن المنتج علي الهواء، مما يساعد في بث روح الثقة والتفاؤل لدية فيما يعرض.[٢]

---

[1] - Barnalis, Chetia." **Rhetorical Devices in English Advertisement Texts in India: A descriptive Study**', International Journal of Social Science and Humanity, Vol,5,No.11,2015,P:P980-981.

[2] - Nancy, Ikaria**." Mains Discourse of Advertising: Reference of Kiswahili and English Adverts in Kenyan Media**", International Journal of Science and Research,Vol,3.Issue.11,2114,P:1564.

وربما يرجع هذا التنوع انطلاقاً من انه كلما تنوعت الآليات التي تعتمد عليها الإعلانات في الترويج لمنتجاتها، كلما زادت عدد الحواس التي يمكن للمتلقي استخدامها في تلقي الفكرة التي تروج لها الإعلانات، وهو ما يؤدي إلي دعمها وتقويتها وتثبيتها في ذهن المتلقي.[١]

وكأننا أمام نوع من الحوار الغير مباشر بين القائمين علي المنتج أو الرسالة الإعلانية وبين المشاهد، ويتم هذا الحوار وفقا لرؤية كل منهما، فالقائم علي الرسالة الإعلانية يبدأ حواره بالاتي:

١- مرحلة الوصف التفصيلي للمنتج: وهي المرحلة التي تشمل وصف خصائص المنتج وفائدته.

٢- مرحلة الإطار الفني للمنتج: حيث يعتمد الإعلان هنا علي إبراز العلامة التجارية، واستخدام الرسم التوضيحي، فضلا عن التصوير الفوتوغرافي باعتبار أن التمثيل البصري يعطي الفرصة لشرح إمكانيات المنتج ومعناه.

٣- المرحلة الاجتماعية: بمعني إظهار علاقة المنتج بحياة الفرد.

٤- المرحلة القيمية: من خلال إظهار أهمية المنتج في تحسين جودة الحياة، والتخفيف من حدة الألم والتوتر التي يعيشها المشاهد.[٢]

وهو ما يؤكد لنا أن القائم علي الإعلان يبحث عما يثبت لدي الفرد ما يفتقد إليه، ويعرض له طرق لتعزيز نفسه، وعلاقته، وحياته، ويظهر له الحياة المثالية، وهو ما يكشف عن الهدف الرئيس للقائم علي الإعلان وهو تشكيل هوية المشاهد.

تلك الهوية التي يطلق عليها "**بهوية ما بعد الحداثة أو الهوية بالاختيار**"، القائمة علي استحداث معان جديدة بدلا من المعاني التقليدية، مما يسفر عن إيجاد علاقة

---

[١]- هيثم منصور عبد القادر، **لغة الجسد في برامج الرسوم المتحركة: دراسة تحليلية في النسخة العربية من برنامج مغامرات عدنان**، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ٢٠١٣، ص ٢٣.

[2] - Biook,Behna.Jafar,Zamanian "**Gender and The Discourse of Advertising in English and Persian Magazine Advertisements**" ,International Journal of Academic Research in Business and Social Science, Vol4, No.11,2014,P:7.

بين الثقافة التي تبث وتشكيل وجدان المستهلك بما يتوافق مع الملمح الجديد لهذه الهوية.[١]

وإذا كان ما سبق يمثل لغة حوار القائمين علي الإعلانات، فان لغة حوار المتلقي تتم وفقا للخطوات التالية:

١- قراءة الإعلان بصفة عامة(أي تكوين انطباع عام عن المنتج).

٢- معرفة ماذا يهدف إليه الإعلان.

٣- إدراك المعني الثقافي والإيديولوجي للإعلان.[٢]

وكأن المتلقي هنا يقوم بنوع من التكيف مع المنتج، من خلال تغيير منظومة أفكاره ومعتقداته التقليدية.

جدول رقم (٢)

يوضح اللغة التي يقدم بها الإعلان التلفزيوني الناشر للخرافة الطبية

المحور الأول	المؤشرات	عدد الإعلانات								
		أفراح	جي درامـا	توكتوك	سينما تيوب	سينما علي بابا	تتح	شعبيات	المجموع	%
اللغة التي يقدم بها الإعلان	اللغة العربية أو العامية	١٣	٢٤	٢٠	٤٤	٧	٧	٣٢	١٤٧	٩٨ %

[١]- احمد مجدي حجازي، **علم الاجتماع الأسس والقضايا والمشكلات**، القاهرة،١٩٩٩، ص ١٢٦.

[2] - Nagwa,Elgazzar. "**Reading Culture in Arab Television Advertising: A content Analysis of Egyptian Advertising**", Faculty of Mass Communication, MISR International University Cairo-Egypt,2014,P:7.

	اللغة الأجنبية	–	–	–	–	–	–	–	–	–
	الاثنين معا	–	٢	–	–	١	–	–	٣	%٢
	المجموع	١٣	٢٦	٢٠	٧	٨	٤٤	٣٢	١٥٠	١٠٠

وتشير مؤشرات جدول رقم(٢) إلي اعتماد الإعلانات التلفزيونية علي اللغة العربية والعامية في الترويج للخرافات الطبية، حيث جاءت في المرتبة الأولي مسجلة نسبة ٩٨%. يليها اعتماد الإعلانات علي اللغتين العربية والأجنبية معا بنسبة ٢%. وأخيرا اعتمادها علي اللغة الأجنبية فقط في المرتبة الأخيرة بنسبة ٠%.

وربما يرجع اعتماد القائمين علي الإعلانات علي اللغة العربية والعامية، لما لها من دور بارز في جذب انتباه المشاهدين نحو المنتج، لأنه من المعروف انه لكي يصل الإعلان إلي المستهلك، لابد أن يتسم بالوضوح والاكتمال والتنظيم، ويقاس الوضوح من خلال خلو الإعلان من العقبات والعوائق التي تحول دون وصوله للمستهلك، واهم هذه العوائق هي البعد عن المصطلحات الغير معروفة والغير مألوفة.[١]

ويرجع تركيز القائمين علي الإعلانات علي اللغة لما لها من دور في تغيير إرادة الجمهور وأرائه ومواقفه، وهو ما يجعل منها **ذات طابع موجه** وفقا لتعبير "اديموند ليتش".[٢]

هذا الطابع نلاحظه في اعتماد الإعلانات محل الدراسة الناشرة للخرافات الطبية علي ثلاث أنماط من **الخطابات الموجهة** أولها:هي **الخطابات المحفزة:** وفيها يقوم الإعلان بتوجيه النصيحة للجمهور باستخدام هذا النمط من المنتجات، ثانيها: **الخطاب التصويري:** وفيه يلجأ الإعلان إلي إبراز مدي الضرر الذي سيلحق

[1] - Hosney, M, Eldaly**." Towards an Understanding of The Discourse of Advertising: Review of Research with Special Reference to The Egyptian Media**", African Neblo, Issue,3,2011,P:33.

[2] - Diplomova, Prace. Jana, Lapsanska." **Adverting with The Concentration on The Linguistic Means and The Analysis of Advertising Slogans",** Datum obhajoby, Bratislava, 2006, p:26.

بالشخص في حالة التأخر عن استخدام المنتج، مستعيناً بعبارات تضمن التهويل والتخويف، أما ثالثها فهو **الخطاب التدعيمي:** القائم علي إبراز حق الفرد في الحصول علي المنتج للعيش بشكل داعم في المجتمع.

جدول رقم (٣)

يوضح الفاصل الزمني بين الإعلانات الناشرة للخرافات الطبية

المحور الأول	المؤشرات	عدد الإعلانات							
		أفراح	جي درامـا	توك توك	سينما تيوب	سينما علي بابا	تتح	شعبيات	المجموع	%
الفاصل الزمني بين الإعلانات الناشرة للخرافات الطبية	دقيقتين	٨	١٢	٩	٢٣	٣	٢	٢٠	٧٧	٥١.٣٣ %
	ثلاث دقائق	٣	٧	٥	٩	٢	٣	١١	٤٠	٢٦.٦٧ %
	أربع دقائق	١	٢	١	٨	١	–	–	١٣	%٨.٦٧
	خمس دقائق	١	٣	١	٣	٢	٢	١	١٣	%٨.٦٧
	ست دقائق	–	٢	١	–	–	–	–	٣	%٢
	سبع دقائق	–	–	–	–	–	–	–	–	–
	ثماني دقائق	–	–	١	–	–	–	–	١	%٠.٦٦
	تسع دقائق	–	–	١	–	–	–	–	١	%٠.٦٦
	عشر	–	–	١	١	–	–	–	٢	%١.٣٤

	دقائق									
	المجموع	١٣	٢٦	٢٠	٤٤	٨	٧	٣٢	١٥٠	١٠٠

تكشف مؤشرات جدول رقم (٣) عن كثافة إعلانية غير مسبوقة للإعلانات التي تروج للخرافات الطبية، حيث تراوح الفاصل الزمني لتكرار نفس الإعلان مدة دقيقتين محتلاً المرتبة الأولي بنسبة ٥١.٣٣%. في حين جاء الفاصل الزمني لتكرار نفس الإعلان ثلاث دقائق في المرتبة الثانية بنسبة بلغت ٢٦.٦٧%، وجاء الفاصل الزمني لتكرار نفس الإعلان أربع دقائق وخمس دقائق بنسبة ٨.٦٧% لكل منهما. في حين سجلت متغيرات ست دقائق، وسبع دقائق، وثماني دقائق، وتسع دقائق، وعشر دقائق نسبة منخفضة بلغت ٢%، ٠.٦٦%، ٠.٦٦%، ١.٣٤% علي التوالي.

وتكشف تلك النسب عن رغبة القائمين علي الإعلانات الناشرة للخرافات الطبية في زيادة الجرعة الإعلانية عن نفس المنتج لعدة مرات يوميا بفواصل زمنية قصيرة جدا، من اجل تدعيم وتثبيت الرسالة الإعلانية في ذهن المتلقي، مما يدفعهم تدريجيا لقبول المنتج المعلن عنه.

وهم يسعون إلي ذلك انطلاقاً من أن التكرار يتيح الفرصة للمنتج للانتشار السريع، وبالتالي مشاهدته واستخدامه من قبل اكبر قطاع في المجتمع، وهو ما يتفق مع الغرض الأساسي الذي من اجله تم تشييد الإعلانات، فجميع الإعلانات تم تصميمها لتكون ذات طبيعة تطفلية

جدول رقم (٤)

يوضح الرموز التي يستخدمها القائمين علي الإعلانات في نشر الخرافات الطبية

المحور الأول	المؤشرات	عدد الإعلانات								
		أفراح	جي درامـا	توك توك	سينما تيوب	سينما علي بابا	تتح	شعبيات	المجموع	%
الرموز التي يستخدمها القائمين علي الإعلانات في	الموسيقي	١١	١٧	٩	٢٣	٥	٣	١٦	٨٤	%٥٦
	الصور	١	٤	٨	١٢	٢	٤	٩	٤٠	٢٦.٦٧ %
	اللغة	١	٥	٣	٩	١	–	٧	٢٦	١٧.٣٣ %
	المجموع	١٣	٢٦	٢٠	٤٤	٨	٧	٣٢	١٥٠	١٠٠

ويكشف جدول رقم (٤) عن احتلال الموسيقي المرتبة الأولي كأحد الرموز التي اعتمد عليها القائمين علي الإعلانات في الترويج للخرافات الطبية، وجاء ذلك بنسبة ٥٦%، وربما يرجع تركيز القائمين علي الإعلانات علي الموسيقي كأحد الرموز الصوتية، بسبب أن استخدام الموسيقي يساعد علي تأكيد الفعل وإضفاء المزاج النفسي لاستقبال المنتج.[١]

وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه "كلاينز" من أن الموسيقي والانفعال يرتبطان معا بطريقة بيولوجية معينة مبرمجة مسبقا في المخ، بحيث انه بمجرد سماع الموسيقي، فإنها تثير لدي الفرد حالة انفعالية معينة قائمة علي الانصياع لما يقال.[٢]

فالصوت يحتفظ بأهمية كبيرة وفقا "لرولان بارث"، حيث يؤدي وظيفتين هامتين هما:[٣]

[١]– رانيا صادق ممدوح، **الإعلان التلفزيوني: التصميم والإنتاج**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٢، ص ص ٣٠١-٣٠٢.

[٢]– جلين ويسلون، **سيكولوجية فنون الأداء**، ترجمة: شاكر عبد الحميد، المجلة الوطنية للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٥٨، ٢٠٠٠، ص ٢٨٥.

[3] – Roland, Barthes**." Rethorique de Image**", in Communication, Vol,4,1964,P:43.

١- الترسيخ: حيث تقوم بتوجيه المشاهد نحو مدلول معين ونوع من المعني، لا تستطيع الصورة أن تبلغه بمفردها.

٢- وظيفة المناوبة: وتقوم علي إعانة الصورة في إنتاج معني يتكون من مستوي اعلي من مستوي الخطاب.

علي الجانب الأخر كشفت النتائج عن احتلال الصور المرتبة الثانية كأحد الرموز التي اعتمد عليها القائمين علي الإعلانات في الترويج للخرافات الطبية، وجاء ذلك بنسبة ٢٦.٦٧%، ويرجع ذلك انطلاقا من كون الصورة تمثل خطاب متعدد المعاني، حيث تقدم دعما لتجميل ما يعرض، كما إنها تضفي قدرا من المصداقية علي ما يقال، وكأنها تقوم بنوع من المحاكاة للواقع دون حذف، مما يسهل من عملية الإقناع وبالتالي قبول المنتج.[١]

فالمضمون أو المضامين الدلالية للصورة هي نتاج تركيب يجمع بين البعد الايقوني(التمثيل البصري الذي يعتمد علي المحاكاة فينقل المشاهد إلي الصورة المثالية أو المأمولة)، وبين البعد الواقعي(أي الواقع المؤلم الذي يعيش فيه الإنسان) وهنا تبدأ اللحظة الفارقة بين قبول المنتج أو رفضه اعتمادا علي مدي قدرته علي إقناع المشاهد بإمكانية نقل الواقع الايقوني في حياته.

خلاصة الأمر أن الاعتماد علي الرموز من قبل القائمين علي الإعلانات يتفق مع ما ذهب إليه "سكوت" من أن الشعارات أو الرموز تخلق لدي الجمهور دوافع نفسية لإنفاق أموالهم علي ما يروج لهم من منتجات.[٢]

جدول رقم (٥)

يوضح نمط الشخصيات التي تعتمد عليها الإعلانات التلفزيونية في الترويج للخرافات الطبية

---

[١]- إبراهيم محمد سليمان، **مدخل إلي مفهوم سيمائية الصورة**، المجلة الجامعة، العدد السادس عشر، المجلد الثاني، ٢٠١٤، ص ١٦٨.

[2] - Scptt, Walter,D." **The Psychology of Advertising: A simple Exposition of The Principle of Psychology in Their Relation to Successful Advertising**", Boston, Small, Toronto, 1910,P:P 84-85.

المحور الأول	المؤشرات	عدد الإعلانات							
		أفراح	جي دراما	توك توك	سينما تيوب	سينما علي بابا	تتح	شعبيات	المجموع	%
الإعلانات التلفزيونية في الترويج الشخصيات التي تعتمد عليها	شخصيات مشهورة	–	١	–	–	١	–	١	٣	%٢
	شخصيات غير مشهورة	١٢	٢١	١٨	٣٩	٧	٧	٢٨	١٣٢	%٨٨
	الأطباء	١	٤	٢	٥	–	–	٣	١٥	%١٠
	المجموع	١٣	٢٦	٢٠	٤٤	٨	٧	٣٢	١٥٠	١٠٠

جدول رقم (٦)

يوضح سمات الشخصيات التي تعتمد عليها الإعلانات في الترويج للخرافات الطبية

المحور الأول	المؤشرات	عدد الإعلانات							
		أفراح	جي دراما	توك توك	سينما تيوب	سينما علي بابا	تتح	شعبيات	المجموع	%
سمات الشخصيات التي تعتمد عليها الإعلانات التلفزيونية في الترويج	فئة عمرية شابة	٥	٢١	٩	١٣	٢	١	١٧	٦٨	%٤٥.٣٤
	تتمتع بالجمال	–	٣	–	٥	٢	٣	٧	٢٠	%١٣.٣٣
	تتمتع بالنشاط والحيوية	٨	٢	١١	٢٦	٤	٣	٨	٦٢	%٤١.٣٣
	المجموع	١٣	٢٦	٢٠	٤٤	٨	٧	٣٢	١٥٠	١٠٠

كشفت نتائج جدول رقم(٥) عن اعتماد الإعلانات التلفزيونية في الترويج للخرافات الطبية علي الشخصيات العادية أو الغير مشهورة بنسبة بلغت ٨٨% محتلة المرتبة الأولي، في حين جاء اعتماد الإعلانات التلفزيونية علي الأطباء في الترويج

لمنتجاتهم ذات الطبيعة الطبية الخرافية في المرتبة الثانية بنسبة بلغت ١٠%، وجاء الاعتماد علي الشخصيات المشهورة في المرتبة الثالثة والأخيرة بنسبة ٢%. وجاء جدول رقم(٦) ليوضح لنا سمات تلك الشخصيات حيث جاء متغير كون الشخصية التي تعلن عن المنتجات ذات الطبيعة الطبية الخرافية تنتمي إلي الفئة الشابة بنسبة ٤٥.٣٤% في المرتبة الأولي، ثم متغير كونها تتمتع بالنشاط والحيوية في المرتبة الثانية بنسبة ٤١.٣٣%، وأخيرا كونها تتمتع بالجمال في المرتبة الأخيرة بنسبة ١٣.٣٣%.

وبالنظر لتلك النتائج نجد أن اعتماد الإعلانات علي الشخصيات العادية، يساعد علي تحقيق التطابق بين الجمهور المستهدف للإعلان والرسالة الإعلانية، حيث يشعر المعلن إليه بان ما يقدم له عبر الإعلان يتطابق ويتفق مع محيطه الواقعي ومجتمعه، وانه لا يخاطب شريحة اجتماعية بعينها، فيقبل عليها دون تفكير، ويطلق علي هذا التطابق "**محتوي الرؤية**".

ومن هنا يمكن القول بأنه كلما كانت الدرجة أو الطريقة التي يعبر بها الإعلان قريبة من المتلقي، ومألوفة لديه ونابعة من واقعه، كلما زادت فرص تأثره بها.[١]

كما أن اعتماد الإعلانات علي الفئات الشابة في الترويج للمنتج الخرافي، يضمن له الانتشار السريع كونها تخاطب الشريحة الأكبر داخل المجتمع، والشريحة التي لديها الرغبة في خوض غمار التجربة مع كل ما هو جديد، لمجرد انه مختلف، أملاً في الشعور بالنرجسية البيولوجية المفقودة لديهم.

كما أن تمتع تلك الشخصيات المعلنة عن المنتج بالحيوية والنشاط، يعطي أملاً للمشاهد في محاكاة النموذج المعلن عنه، وفي إمكانية علاج الاختلالات البيولوجية التي يعاني منها، ومن ثم الانتقال إلي حالة من التوافق الفيزيقي المرغوب، كما

[١]- مني سعيد الحديدي، سلوى إمام، **الإعلان في التلفزيون المصري**، مركز الجامعة، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٨١.

تعطي رسالة مصداقية وثقة للمتلقي مفادها، أن ما يعرض هو العلاج والتشخيص السليم للمرض، وهو ما يعطي الإعلان صفة الشرعية.

المحور الثاني: نوعية المنتجات الطبية الخرافية التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية

جدول رقم (٧)

يوضح المنتجات الطبية الخرافية ذات الشق الجمالي التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية

المحور الثاني	المؤشرات	الإعلانات					
		سينما تيوب	جي دراما	توك توك	أفراح	المجموع	%
المنتجات الطبية الخرافية ذات الشق الجمالي التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية	منتجات علاج تساقط الشعر	٢	١	١	–	٤	%٦.٠٦
	منتجات تطويل وفرد الشعر	٢	٢	٢	٢	٨	%١٢.١٢
	منتجات تكبير وتصغير الثدي	٤	٣	١	٥	١٣	%١٩.٧٠
	منتجات التخسيس	٢	١	–	٢	٥	%٧.٥٨
	منتجات علاج النحافة	٣	–	١	١	٥	%٧.٥٨
	منتجات نضارة البشرة	١	–	–	–	١	%١.٥١
	منتجات علاج الشيخوخة	١	–	–	١	٢	%٣.٠٣
	منتجات علاج حب الشباب	١	١	–	–	٢	%٣.٠٣
	منتجات علاج الصلع	١	٣	١	–	٥	%٧.٥٨

	منتجات تفتيح الأماكن الداكنة	٩	٦	٤	٢	٢١	%٣١.٨١
	المجموع	٢٦	١٧	١٠	١٣	٦٦	١٠٠

كشفت مؤشرات جدول رقم(٧) عن احتلال منتجات تفتيح الأماكن الداكنة المرتبة الأولي من المنتجات الخرافية التي يتم الترويج لها مسجلة نسبة بلغت ٣١.٨١%، يليها منتجات تكبير وتصغير الثدي بنسبة بلغت ١٩.٧٠%، وجاء في المرتبة الثالثة منتجات تطويل وفرد الشعر بنسبة بلغت ١٢.١٢%، في حين سجلت باقي المنتجات المسئولة عن التخسيس، وعلاج النحافة، وعلاج الصلع، نسب متساوية بلغت ٧.٥٨%، في حين سجلت منتجات علاج تساقط الشعر، وعلاج حب الشباب، وعلاج علامات الشيخوخة، ورطوبة البشرة نسب متقاربة إلي حد كبير بلغت ٦.٠٦%، ٣.٠٣%، ٣.٠٣%، ١.٥١% علي التوالي.

جدول رقم (٨)

يوضح المنتجات الطبية الخرافية ذات الشق العلاجي التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية

المحور الثاني	المؤشرات	الإعلانات				
		سينما تيوب	جي دراما	توك توك	المجموع	%

المنتجات الطبية الخرافية ذات الشق العلاجي التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية	منتجات علاج خشونة الركبة	١	٢	١	٤	%١٢.٥
	منتجات علاج الروماتيزم	–	١	١	٢	%٦.٢٥
	منتجات علاج العمود الفقري	٢	–	١	٣	%٩.٣٧٥
	منتجات علاج الدورة الشهرية	٣	٢	١	٦	%١٨.٧٦
	منتجات علاج القولون	١	١	١	٣	%٩.٣٧٥
	منتجات علاج تأخر الحمل	٣	٢	٣	٨	%٢٥
	منتجات علاج السكر	٢	١	١	٤	%١٢.٥
	منتجات علاج اختلال الهرمونات	١	–	١	٢	%٦.٢٥
	المجموع	١٣	٩	١٠	٣٢	١٠٠

وجاءت نتائج جدول رقم(٨) لتكشف عن احتلال منتجات علاج تأخر الحمل المرتبة الأولي من المنتجات الخرافية التي يتم الترويج لها وجاء ذلك بنسبة ٢٥%، تبعتها منتجات علاج الدورة الشهرية بنسبة (١٨.٧٦%). ثم منتجات علاج السكر، وعلاج خشونة الركبة بنسب متساوية بلغت(١٢.٥%)، ثم منتجات علاج العمود الفقري، ومنتجات علاج القولون بنسب متساوية بلغت(٩.٣٧٥)، وأخيرا منتجات علاج الروماتيزم، واختلال الهرمونات بنسب متساوية بلغت(٦.٢٥%).

علي الجانب الأخر كشفت النتائج عن احتلال منتجات علاج السكر، ومنتجات علاج خشونة الركبة نسب متساوية بلغت (١٢.٥%)، تبعتها منتجات علاج الروماتيزم، ومنتجات علاج اختلال الهرمونات بنسب متساوية بلغت (٦.٢٥%)، كما سجلت منتجات علاج القولون، ومنتجات علاج الآم العمود الفقري نسب متساوية بلغت (٩.٣٧%).

جدول رقم (٩)

يوضح الخرافات الطبية ذات الشق الجنسي التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية

المحور الثاني	المؤشرات	عدد الإعلانات					
		سينما تيوب	تتح	شعبيات	سينما علي بابا	المجموع	%
الخرافات الطبية ذات الشق الجنسي التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية	منتجات علاج التسرب الوريدي	١	١	٨	٢	١٢	%٢٣.٠٧
	منتجات زيادة حجم العضو الذكري	١	–	٤	٢	٧	%١٣.٤٦
	منتجات ضعف الانتصاب	٣	٣	١٢	٣	٢١	%٤٠.٣٩
	منتجات علاج سرعة القذف	–	٢	٥	١	٨	%١٥.٣٩
	منتجات الإثارة الجنسية	–	١	٣	–	٤	%٧.٦٩
	المجموع	٥	٧	٣٢	٨	٥٢	١٠٠

وتكشف نتائج جدول رقم(٩) عن نشر مجموعة من المنتجات الطبية الخرافية المتعلقة بهذا الجانب الجنسي، وهو ما ظهر جليا في احتلال منتجات علاج ضعف الانتصاب المرتبة الأولي بنسبة ٤٠.٣٩%، تليه منتجات علاج التسرب الوريدي في المرتبة الثانية بنسبة ٢٣.٠٧%، تليه منتجات علاج سرعة القذف في المرتبة الثالثة بنسبة ١٥.٣٩% وفي المرتبة الرابعة جاءت منتجات زيادة حجم العضو الذكري

بنسبة ١٣.٤٦%، وأخيرا منتجات الإثارة الجنسية في المرتبة الأخيرة بنسبة ٧.٦٩%.

المحور الثالث: هوية القنوات التلفزيونية التي تبث الإعلانات التي تروج للخرافات الطبية

كشفت نتائج تحليل المضمون عن أن السبع قنوات التي تبث الإعلانات التلفزيونية الناشرة للخرافات الطبية هي قنوات خاصة، وهو ما يكشف عن حجم الدور الذي تلعبه ثقافة الرأسمالية في عملية التغيير والتبديل والإحلال لثقافة الأفراد. فالتلاقح الحضاري الذي ولّده انتقال المعلومة عبر شاشات التلفزيون، قد رسخ قيم وثقافة المصدِّر للمعلومة، وهو ما يترتب عليه جعل المتلقي في حالة من الارتباك غير قادر في إطارها علي تحديد الحقيقي من الخرافي.

وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه عالم الاجتماع " **ميلز**" في تأكيده علي خطورة وسائل الإعلام وكيفية تأثيرها في صياغة، وتشكيل أفكار الأفراد، وتكوين وعيهم، حيث قال " إن جانبا ضئيلا فقط مما نعرفه من حقائق اجتماعية عن العالم قد توصلنا إليه بأنفسنا، والجانب الأكبر عن طريق وسائل الإعلام، والاتصال الجماهيري".[١]

المحور الرابع: مدي استجابة المشاهدين لما يقدم عبر الإعلانات من منتجات طبية خرافية

جدول رقم (١٠)

يوضح دلالة الفروق بين أفراد العينة حول أسباب استخدام تلك المنتجات الطبية الخرافية تبعا للفروق الريفية/ الحضرية، النوعية

الفروق	النوع	كا٢	معامل التوافق	الموطن الأصلي	كا٢	معامل

[1] - Wright,C, Mills." **The Power Elite**", Oxford University: London, 1969,P:311.

المتغيرات / النوع	الذكور		الإناث		القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة	الريف		الحضر		القيمة	الدلالة
	ت	%	ت	%	٤.٩٩٣	٠.١٧٢	٢.٨٣٩	٠.٠٠٦	ت	%	ت	%	٦.٤٦٩	١٦٧.
الرغبة في تجربة المنتج	٥	%٨.٩٢	٠	%٠					٠	%٠	٥	% ٩.٨٠		٠.٧٠٨
محاولة الشفاء من الأمراض	٢٣	%٤١.٠٧	١٧	%٥٠					٢٤	%٦١.٥٤	١٥	%٢٩.٤١		
فشل وصفات الأطباء	٨	%١٤.٢٩	٨	%٢٣.٥٣					١٣	%٣٣.٣٤	٣	%٥.٩٠		
التخفيف من حدة الألم	٢٠	%٣٥.٧٢	٩	%٢٦.٤٧					٢	%٥.١٢	٢٧	%٥٢.٩٤		
المجموع	٥٦	١٠٠	٣٤	١٠٠					٣٩	١٠٠	٥١	١٠٠		

جدول رقم (١١)

يوضح دلالة الفروق بين أفراد العينة حول أسباب الثقة في المنتجات الطبية التي تعرض عبر الإعلانات للفروق الريفية/ الحضرية، النوعية

الفروق / المتغيرات	النوع				كا٢		معامل التوافق		الموطن الأصلي				كا٢		معامل التوافق	
	الذكور		الإناث		القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة	الريف		الحضر		القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة
	ت	%	ت	%	١.٣٠٥	٠.٥٢١	٢.٨٣٩	٠.٠٠٦	ت	%	ت	%	٦.٤٦٩	.١٦٧	٠.٧٠٨	٠.٤٨١
حالات الشفاء المشاهدة	٣٠	٥٣.٥%٨	١٤	٤١.١%٨					١٩	٤٨.٧%٢	٢٤	٤٧.٠%٦				
ظهور الأطباء	٢١	٣٧.٥%	١٦	٤٧.٠%٥					١٣	٣٣.٣%٣	٢٤	٤٧.٠%٦				
كون المنتج غالي الثمن	٥	٨.٩٢%	٤	١١.٧%٧					٧	١٧.٩%٥	٣	٥.٨٨%				
وجود ضمان للمنتج	٠	%٠	٠	٠					٠	%٠	٠	%٠				
المجموع	٥٦	١٠٠	٣٤	١٠٠					٣٩	١٠٠	٥١	١٠٠				

كشفت نتائج الدراسة عن احتلال متغير الشفاء من الأمراض المرتبة الأولي في استخدام المشاهدين للمنتجات الطبية الخرافية التي تروج لها الإعلانات مسجلا نسبة (٤١.٠٧%)، (٥٠%) للذكور والإناث علي التوالي. وجاء متغير التخفيف من حدة الألم في المرتبة الثانية مسجلا نسبة (٣٥.٧٢%)، (٢٦.٤٧%) للذكور والإناث علي التوالي. وأخيرا متغير فشل وصفات الأطباء في المرتبة الثالثة

بنسبة(١٤.٢٩%)،(٢٣.٥٣%) للذكور والإناث علي التوالي. وتكشف تلك النسب عن ارتباط استخدام الأفراد للمنتجات الطبية التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية بحجم الأمل والطموح الذي يسيطر عقولهم ومشاعرهم، رغبة منهم في تجاوز المحنة المرضية، والوصول إلي مرتبة من التوازن البيولوجي. **وجاء جدول رقم(١١)** ليزيد من طموح الأفراد في الشفاء من خلال احتلال متغير عرض لحالات تم شفائها باستخدام المنتج المرتبة الأولي بنسبة (٥٣.٥٨%)،(٤١.١٨%)،(٤٨.٧٢%)،(٤٧.٠٦%) للذكور والإناث / الريف والحضر علي التوالي.

جدول رقم (١٢)

يوضح دلالة الفروق بين أفراد العينة حول نوعية المنتجات الجمالية الخرافية التي يقبلون علي شرائها تبعا للفروق الريفية/ الحضرية، النوعية

الفروق / المتغيرات	النوع				كا٢		معامل التوافق		الموطن الأصلي				كا٢		معامل التوافق	
	الذكور		الإناث						الريف		الحضر					
	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة
منتجات علاج تساقط الشعر	٠	٠%	٧	٤١.١٧%	٢٠.٠٠٠	٠.٠٠١	٢.٥٢٧	٠.٠٢١	٤	٥٧.١٤%	٣	٢٣.٠٧%	٦.٢٣٨	٠.٢٨٤	٣.٠١٨	٠.٠٠٧
منتجات علاج الصلع	٢	٦٦.٦٧%	٠	٠%					٠	٠	٢	١٥.٣٩%				
منتجات تطويل وفرد الشعر	٠	٠%	٣	١٧.٦٥%					٢	٢٨.٥٨%	١	٧.٧٠%				
منتجات تفتيح الأماكن الداكنة	٠	٠%	٤	٢٣.٥٣%					١	١٤.٢٨%	٣	٢٣.٠٧%				
منتجات التخسيس	١	٣٣.٣٣	٠	٠%					٠	٠%	١	٧.٧٠%				
منتجا	٠	٠%	٠	٠%					٠	٠%	٠	٠%				

تعلاج حب الشباب															
منتجات نضارة البشرة	٠	٠%	٠	٠%							٠%	٠	٠%	٠	٠%
منتجات علاج النحافة	٠	٠%	٠	٠%							٠%	٠	٠%	٠	٠%
منتجات تكبير وتصغير الثدي	٠	٠%	٣	١٧.٦٥%							٠%	٣	٠%	٠	٢٣.٠٧%
منتجات علاج التجاعيد	٠	٠%	٠	٠%							٠%	٠	٠%	٠	٠%
المجموع	٣	١٠٠	١٧	١٠٠							٧	١٣	١٠٠		١٠٠

وجاءت نتائج جدول رقم(١٢) متسقة بشكل كبير مع نتائج جدول رقم(٧) من حيث احتلال منتجات علاج تساقط الشعر، وتطويل وفرد الشعر، وتفتيح الأماكن الدكنة، وتكبير وتصغير الثدي اعلي مستوي دلالة معنوية عند نسبة احتمال(٠.٠٠١) علي مستوي الفروق النوعية، حيث سجلت منتجات علاج تساقط الشعر نسبة بلغت (٠%)، (٤١.١٧%) للذكور والإناث علي التوالي، يليها منتجات تفتيح الأماكن الداكنة بنسبة (٠%)، (٢٣.٥٣%) للذكور والإناث علي التوالي، ثم منتجات تطويل وفرد الشعر، ومنتجات وتكبير وتصغير الثدي بنسبة (٠%)،(١٧.٦٥%) للذكور والإناث علي التوالي. ولم تختلف النتائج علي مستوي الريف/ الحضر حيث سجلت استجابات المبحوثين فروق جوهرية ذات دلالة معنوية عند مستوي دلالة (٠.٢٨٤) فيما يتعلق بالمنتجات الجمالية التي يقبلون علي شرائها. حيث سجلت منتجات علاج تساقط الشعر نسبة(٥٧.١٤%)،(٢٣.٠٧%) للريف والحضر علي التوالي، ثم منتجات تفتيح الأماكن الداكنة نسبة (١٤.٢٨%)، (٢٣.٠٧%) للريف

والحضـــر علـــي التـــوالي، ثـــم منتجـــات تطويـــل وفـــرد الشـــعر نسبة(٢٨.٥٨%)،(٧.٧٠%) للريف والحضر علي التوالي.

وتكشف النسب السابقة عن الإقبال المتزايد من قبل الإناث علي المنتجات الخرافية التي تقدم عبر الإعلانات التلفزيونية والمتعلقة بالجمال الجسدي، انطلاقاً من أن الجسد لم يعد رمزا للهوية وحدها، ولكنه أصبح سلعة يمكن تحديثها باستمرار وتعديلها وفقا لرغبات الأفراد، ووفقا للنموذج المثالي أو الخيالي الذي يقدم عبر وسائل الإعلام.[1] فالإعلانات المتكررة عن الجمال والأناقة، يمكن أن يخلق لدي النساء حالة يطلق عليها "**بكراهيـة الجسـد**"، حيث تبدأ النساء في النظر إلي أجسادهم، علي انه عدو يجب السيطرة عليه، وتغييره باستخدام ما تروج له الإعلانات.

وهو الأمر الذي لم يقوض فقط من قيمة الذات للمرأة، ولكنه مارس عليها نوع من الضغوط، لكي تتوافق وتتلاءم مع ممارسات الجمال الخيالية، في محاولة منها لمحاكاة الصورة المثالية للمرأة المقدمة عبر الرسالة الإعلانية، وكأننا أمام أسطورة جديدة ترغب المرأة في الوصول إليها وهي أسطورة "**المرأة السوبر**".

وتسعي المرأة لتحقيق هذه الأسطورة من أجل تحقيق بعض الأهداف الاجتماعية والشخصية، حيث يشعرن بأنهن في ادني شريحة من منظومة الشرائح الجمالية في المجتمع، ويساعد علي انتشار هذه الحالة ما تقوم به أجهزة التلفاز من تعزيز للمعايير المعاصرة عن الجمال، مما يزيد من مخاوف المرأة وعدم رضاءها عن جسدها، مما يدفعها بحالة من اللاوعي إلي استخدام المنتجات التي يتم الترويج

[1] - Gimlin,D,L." **Body: Beauty and Self Image in American Culture**", California, University of California Press,2002,P:78.

لها،[1] من اجل الوصول إلي نمط الجسد الملائم أو ما يعرف بالجسم المثالي "Meso Morophic".[2]

هذا النموذج الذي يدفع الإناث بدون تفكير نحو الاستثمار في كميات كبيرة من الوقت، والطاقة، والحالة العاطفية، لكي يتوافقوا مع المثل العليا للجسد، جنبا إلي جنب مع الهواجس والخوف من الشيخوخة.[3]

ويعكس ما سبق انتقال النساء من مرحلة المراقبة والملاحظة لكل ما يبث عبر الإعلانات التلفزيونية، إلي مرحلة الفعل من خلال البدء في رسم مخططات جسدها، وبما يتوافق مع رغباتها وحاجاته الفعلية.

جدول رقم (١٣)

يوضح دلالة الفروق بين أفراد العينة حول نوعية المنتجات العلاجية الخرافية التي يقبلون علي شرائها تبعا للفروق الريفية/ الحضرية، النوعية.

الفروق / المتغيرات	النوع				كا٢		معامل التوافق		الموطن الأصلي				كا٢		معامل التوافق	
	الذكور		الإناث						الريف		الحضر					
	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة
منتجات علاج السكر	٨	٦١.٥ %٣	٣	١٧.٦ %٥	١٣.١٧٤	٠.٠٢٢	٤.١٦٨	٠.٠٠	٨	٥٣.٣ %٣	٤	٢٦.٦ %٧	١٥.٤٣٠	٠.١١٧	١.٨٨٢	٠.٠٧٠
منتجات علاج القولون	١	٧.٧٠ %	٣	١٧.٦ %٥					١	٦.٦٧ %	٣	%٢٠				
منتجات علاج الروماتيزم	٣	٢٣.٠ %٧	٢	١١.٧ %٦					٢	١٣.٣ %٣	٢	١٣.٣ %٣				
منتجات علاج	٠	%٠	٠	%٠					٠	%٠	٠	%٠				

[1] - Maria,Martinez ,Lirola. Jan, Chovanec." **The Dream of Perfect Body Come True: Multimodality in Cosmetic Surgery Advertising",** Journal of Discourse and Society, Vol,23,No,5,2012,P:490.

[2] - Michelle, Leigh, Grose**." Individual Body Satisfaction and Perception: The Effect of Medias Ideal Body Image on Female College Students",** Baylor University, in Partial Fulfillment of The Requirement for Degree of Master of Arts,2009,P:11.

[3] - Forbes, G, B. Et al." **Sexism Hostility Toward Women and Endorsement of Beauty Ideals and Practices: Are Beauty Ideals Associated with Oppressive Beliefs?"**, Journal of Sex Roles, Vol,56, 2007,P:٢٦٥.

العمود الفقري															
منتجات علاج الإدمان	٠	٠%	٠	٠%		٠	٠%	٠	٠%						
منتجات علاج الهرمونات	٠	٠%	٠	٠%		٠	٠%	٠	٠%						
منتجات علاج تأخر الحمل	٠	٠%	٣	١٧.٦٤%		٣	٢٠%	٠	٠%						
منتجات علاج خشونة الركبة	١	٧.٧٠%	٠	٠%		٠	٠%	١	٦.٦٧%						
منتجات الدورة الشهرية	٠	٠%	٦	٣٥.٣٠%		١	٦.٦٧%	٥	٣٣.٣٣%						
المجموع	١٣	١٠٠	١٧	١٠٠		١٥	١٠٠	١٥	١٠٠						

أوضحت مؤشرات جدول رقم(١٣) تعاظم نسبة أفراد العينة تبعا لفروقها النوعية، الحضرية/ الريفية، لاختيار منتجات علاج اضطرابات الدورة الشهرية، ومنتجات علاج تأخر الحمل، وقد سجلت النسبة علي مستوي الفروق النوعية تقريبا (٠%)، (٣٥.٣٠%)،(٠%)،(١٧.٦٤%) للذكور والإناث علي التوالي، وجاءت الفروق الريفية الحضرية لتسجل (٦.٦٧%)، (٣٣.٣٣%)،(٢٠%)،(٠%) للريف والحضر علي التوالي.

وتكشف النسب السابقة عن أن إقبال النساء علي المنتجات الخرافية المتعلقة بالحمل واضطرابات الدورة الشهرية، ربما يرجع لما يمثله الإنجاب من قضية محورية في حياتها، كما انه عامل من عوامل استقرار الكيان الأسري، وبالتالي فان أي عائق يمنع تحقيق هذا الحلم يجعلها تبحث بشكل حثيث عن أي وسيلة تساعدها في تجاوز هذه المحنة حتى ولو كانت هذه الوسيلة غير علمية.

انطلاقاً من أن تجربة العقم وعدم الإنجاب، غالبا ما تعد تجربة مسجلة بعلامات القلق والخوف والضغوط الاجتماعية والوصمة الاجتماعية، فضلا عن تهديد للهوية الاجتماعية للزوجة ومكانتها.[١]

فالرغبة في إنجاب طفل هو جزء أساسي من مشروع الحياة الزوجية، وينظر إلية باعتباره خطوة ضرورية للوصول إلي مرحلة النضج والحفاظ علي الجنس البشري، بالإضافة إلي الحصول علي الدعم الاجتماعي اللازم من قبل أفراد المجتمع.[٢]

فالزوجة تنظر إلي نفسها باعتبارها كائن كاملا ولها وجودها فقط، عندما تنتقل إلي مرحلة الوالدية، أي إثبات خصوبتها، وبالتالي الشعور بالأمان علي زواجها، فالإنجاب يعكس مدي عمق العلاقة الزوجية، ويجعلها يشعر وكأنها أنجزت ما كان من المفترض أن تفعله أي امرأة راشدة.[٣]

انطلاقا من أن الإنجاب يمثل للزوجة الأداة الرئيسية لتحقيق نرجسيتها، فضلا عن جلب القوة، وتشكيل نوع من السلطة التي تمكنها من التفاوض في وقت الأزمات داخل الأسرة، كما انه يمثل للرجل الآلية لإثبات رجولته.[٤]

علي الجانب الأخر غابت الفروق النوعية، والريفية/ الحضرية بالنسبة لمنتجات علاج السكر، والقولون، والروماتيزم حيث سجلت نسب قريبة إلي حد كبير بلغت (٦١.٥٣%)،

---

[1] - Rowland,R." **A child at Any Price?", An Over View of Issue in The Studies in The New Reproductive Technologies and The Threat to Women**", Women Studies International Fop am, Vol. 8, 1985,p:p 539-546.

[2] - Daniluk, J." **Infertility: Intrapersonal and Interpersonal Impact**", Journal of Fertility and Sterility, Vol,49,Issue,6,1988,P:P 982-990.

[3] - Widge,A." **Socio culture Attitudes Toward Infertility and Assisted Reproduction in India**", in VAYENA, E. et al(editor), " **Current Practices and Controversies in Assisted Reproduction: "Medical, Ethical and Social Aspects of Assisted Reproduction**" WHO Headquarters in Geneva, Switzerland, 2011, p:62.

[4] - Ibid, P: 61.

(١٧.٦٥%)،(٧.٧٠%)،(١٧.٦٤%)،(٥٣.٣٣%)،(٢٦.٦٧%)،(٦.٦٧%)،(٢٠%)،(١٣.٣٣%)،(١٣.٣٣%). وان كان يمكن تفسير إقبال أفراد العينة علي مثل تلك المنتجات الطبية الخرافية لكونها تتعلق بعلاج عدد من الأمراض ذات التأثير المباشر علي كافة أنشطتهم الحياتية.

خلاصة الأمر: نجد انه في ظل هذه الإعلانات التلفزيونية المروجة للخرافات الطبية التي تمثل احد أوجه ثقافة العولمة يتم اقتحام فكر المستقبل ووجدانه لصياغة طموحاته تبعا لأهداف المركز الرأسمالي المعولم(القائمين علي تلك القنوات)، بما يحقق إعاقة الفكر لدي المتلقي، مما يسهم في تغيير المنظومة القيمية لدي الفرد وتشكيل توجهاته نحو مفردات حياته.[1]

جدول رقم (١٤)

يوضح أنواع المنتجات الجنسية الخرافية التي يقبل عليها الأفراد بسبب الإعلانات

المتغيرات	التكرار	النسبة
منتجات تطويل العضو الذكري	١٣	%٣٢.٥
منتجات تأخير القذف	١٢	%٣٠
منتجات علاج ضعف الانتصاب	٨	%٢٠
منتجات تحقيق النشوة	٠	%٠
منتجات علاج التسرب الوريدي	٧	%١٧.٥
منتجات علاج البرود الجنسي	٠	%٠
المجموع	٤٠	١٠٠

جدول رقم (١٥)

[1] - James, Wilson. Stan Leroy, Wilson." **Mass Media and Mass Culture: An Introduction**", Mc Graw- Hill Inc, U.S.A,1998,P:P 270-276.

يوضح أنواع المنتجات الجنسية الخرافية التي يقبل عليها الأفراد بسبب الإعلانات موزعة طبقاً للريف والحضر.

المتغيرات	الريف	النسبة	الحضر	النسبة
منتجات تطويل العضو الذكري	٧	%٤١.١٧	٦	%٢٦.٠٨
منتجات تأخير القذف	٠	%٠	١٢	%٥٢.١٧
منتجات علاج ضعف الانتصاب	٣	%١٧.٦٤	٥	%٢١.٧٣
منتجات تحقيق النشوة	٠	%٠	٠	%٠
منتجات علاج التسرب الوريدي	٧	%٤١.١٧	٠	%٠
منتجات علاج البرود الجنسي	٠	%٠	٠	%٠
المجموع	١٧	١٠٠	٢٣	١٠٠

وكشفت نتائج جدول رقم(١٤) عن اتجاه الذكور نحو استخدام المنتجات الطبية الخرافية ذات الشق الجنسي، وظهر ذلك جلياً في احتلال منتجات تطويل العضو الذكري المرتبة الأولي بنسبة(٣٢.٥%)، بليها منتجات علاج سرعة القذف بنسبة(٣٠%)، وأخيرا منتجات علاج ضعف الانتصاب في المرتبة الثالثة بنسبة(٢٠%). وجاء جدول رقم(١٥) ليكشف لنا عن فروق جوهرية بين الريف والحضر فيما يتعلق بالإقبال علي تلك المنتجات الجنسية حيث سجلت منتجات تطويل العضو الذكري، ومنتجات علاج سرعة القذف، ومنتجات علاج ضعف الانتصاب نسب بلغت(٤١.١٧%)،(٢٦.٠٨%)،(٠%)،(٥٢.١٧%)،(١٧.٦٤%)،(٢١.٧٣%) للريف والحضر علي التوالي. وربما يرجع حجم الإقبال المتزايد من قبل الرجال علي تلك المنتجات الطبية الجنسية نظرا لقيمة الجنس في حياة الرجال، من حيث كونه تعبير عن القوة واثبات للرجولة، ومتنفس عما يعانيه الفرد يوميا من ضغوطات

اجتماعية ونفسية، فضلا عن كونه يمثل شريان الحياة الذي يمكن الزوجين من تعزيز حاجاتهم في الأخذ والعطاء والمودة والمحبة والرعاية والحنان،[1]

كما يمكن تفسير هذا الإقبال من حيث كونه يعكس رغبة الذكور في استكشاف الطرق المؤدية إلي المتعة الجنسية، ورغبته في ممارسة شكل من أشكال الحكم الذاتي للجنس، أو بمعني أخر رغبته في إنتاج ذاته وعالمه الجنسي الخاص،[2]

جدول رقم (١٦)

يوضح دلالة الفروق بين أفراد العينة حول مدي التحسن الطبي جراء استخدام هذه المنتجات تبعا للفروق الريفية/ الحضرية، النوعية

الفروق المتغيرات	النوع				كا٢		معامل التوافق		الموطن الأصلي				كا٢		معامل التوافق	
	الذكور		الإناث						الريف		الحضر					
	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة
	١	١٩.٦%	١	٣٢.٣%	١.٨٥٠	٠.١٧٤	٥.١٤٧	٠.٠٠	٩	٢٣.٠%	١٣	٢٥.٤%	٠.٤٢٩	٠.٨٠٧	٠.١٤٢	٠.٨٨
نعم	١	٨٠.٣%	٢	٦٧.٦%					٣٠	٧٦.٩%	٣٨	٧٤.٥%				
لا	٤		٣													
المجموع	٥	١٠٠	٣	١٠٠					٣٩	١٠٠	٥١	١٠٠				
	٦		٤													

جدول رقم (١٧)

يوضح دلالة الفروق بين أفراد العينة حول حجم الانتكاسة الصحية نتيجة استخدام تلك المنتجات تبعا للفروق الريفية/ الحضرية، النوعية

الفروق المتغيرات	النوع				كا٢		معامل التوافق		الموطن الأصلي				كا٢		معامل التوافق	
	الذكور		الإناث						الريف		الحضر					
	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة	ت	%	ت	%	القيمة	الدلالة	القيمة	الدلالة
تدهور الحالة الصحية	٢٥	٥٥.٥%	٨	٣٤.٧%	٩.٦٧٩	٠.٠٠٨	٣.٨٢٠	٠.٠٠	١٩	٦٣.٣%	١٤	٣٦.٨%	٦.٤٠٥	٠.١٧١	٠.٢٢٣	٠.٨٢٤
توقف	٦	١٣.٣	١	٤٧.٨					٥	١٦.٦	١	٣١.٥				

[1] - Esther,Perel.M.A,Lmft." **Erotic Fantasy Reconsidered: From Tragedy to Triumph**', Spring,Vol,7,2011,P:13.

[2] - Lynee,Jamieson ."**Intimacy Transformed: critical Look At The Pure Revolution**", The Journal Of Sociology,Vol,33,No.3,1999.P:478.

بعض الوظائف الحيوية		٣%	١	٢%						٧%	٢	٨%		
عدم القدرة علي القيام بالأنشطة الحياتية	١٤	٣١.١%	٤	١٧.٣%					٦	٢٠%	١٢	٣١.٥%		
المجموع	٤٥	١٠٠	٢٣	١٠٠					٣٠	١٠٠	٣٨	١٠٠		

وينتقل بنا جدول رقم(١٦) ليكشف عن حجم الانتكاسة الصحية التي أصابت الأفراد نتيجة استخدامهم لهذه المنتجات الطبية التي تروج لها الإعلانات التلفزيونية، حيث أظهرت نتائجه فروق ذات دلالة معنوية عند نسبة احتمال(٠.٠٠٠) للفروق النوعية والتي بلغت نسبتها(٨٠.٣٦%)،(٧٦.٦٥%) للذكور والإناث علي التوالي. وهو ما يكشف عن حجم الخداع الذي مارسه القائمين علي تلك الإعلانات في تزييف الواقع الصحي، ومحاولة تحقيق نوع من الثراء وكسب المال حتى ولو علي صحة الأفراد، وهو ما ظهر بشكل واضح في جدول رقم(١٧) الذي اظهر احتلال متغير تدهور الحالة الصحية المرتبة الأولي في الأثر الطبي لاستخدام تلك المنتجات بنسبة بلغت (٥٥.٥٦%)،(٣٤.٧٨%) للذكور والإناث علي التوالي. ثم جاء متغير عدم القدرة علي القيام ببعض الأنشطة الحياتية في المرتبة الثانية بنسبة بلغت(٣٣.١١%)،(١٧.٣٩%) للذكور والإناث علي التوالي. وأخيرا متغير توقف بعض الوظائف الحيوية بنسبة بلغت(١٣.٣٣%)،(٤٦.٨٢%) للذكور والإناث علي التوالي.

قضايا واستخلاصات عامة

١- الفكر اللاتنموي(الطابع التجاري) للإعلانات التلفزيونية

كشفت نتائج الدراسة عن اتخاذ الإعلانات التلفزيونية منعرج بعيدا جدا عن الفكر التنموي، وذلك نظرا لانتهاج القائمين علي تلك الإعلانات للنظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يسعي للهيمنة الاقتصادية التي ترتكز فلسفتها علي الربح وتراكم الثروة. فالقائمين علي تلك القنوات ليس لديهم مصلحة إنسانية مباشرة، ولكن مصلحتهم نفعية بالأساس، مما يدفعهم إلي تحفيز السلوك الشرائي لدي المشاهد باستخدام كافة القوالب الإعلانية التي تساعد علي جذب انتباه المشاهد لما يعرض، والعمل علي إعادة صياغة الثقافة، وخلق تطلعات ورغبات جديدة لديهم، وكأنهم يقومون بنوع من الضبط الاجتماعي لقيم الجمهور، أو بمعني أخر خلق نوع من الولاء والانتماء بين المشاهد والمنتج، انطلاقا من أن المقاييس التي يعتمد عليها الناس في تقويم المنتج تعتمد بالدرجة الأولي علي الفوائد التي يتوقعون الحصول عليها من استهلاكهم لهذه المنتجات.

وقد يتبادر للذهن إننا هنا أمام علاقة تبادل متكافئة بين القائمين علي الإعلانات وبين المستفيدين منها، ولكنها في الواقع علاقة تبادل غير متكافئة وفقا لتفسير "بيتر بلاو" الذي ركز بشكل كبير علي بعد القوة في التبادل الاجتماعي، حيث أوضح صعوبة تساوي الطرفين في الحصول علي نفس الفائدة أو التكلفة، ولكنه ارجع استمرار العلاقة بينهما إلي وجود عوامل للتجاذب خارجة عن إرادة الطرف الأضعف[1]، ألا وهي الاحتياج والعوز.

٢- الإعلانات التلفزيونية واستلاب الوعي

تمثل قضية "**استلاب الوعي**" تعبيرا عن الايدولوجيا التي يستخدمها النظام الرأسمالي العالمي، لتدعيم أركانه عبر إنتاجه لثقافة تروج لأساليبه من خلال الطرح المرئي،

[1]- محمد علي محمد، **تاريخ الاجتماع: الرواد والاتجاهات المعاصرة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ص ٤٩٩-٥٠٠.

مستخدما فيها تذويب التناقضات، وهي احدي الآليات التي تستخدمها الأنظمة الرأسمالية لخلق وعي زائف.[1]

أو بمعني أخر خلق وعي مصنوع في رؤوس الأفراد، من خلال تغيير الطريقة التي يفكرون بها، ويدركون بها أمور حياتهم، كما إنها ترسم الصورة الذهنية لديهم عن واقع خيالي يتعلق بحياة صحية مثالية، وتجعلهم يرون الرفاه الوهمي ويصدقونه، ويعجزون عن إدراك الشقاء العام، وكأننا أمام منظومة ذو نزعة كلية استبدادية، تبحث عادة عن آليات للهيمنة والسيطرة علي عقول الأفراد، من خلال تفريخ ذاكرة الأفراد من كل العناصر الرافضة لما يتم تشكيله الآن، ومتى تحقق ذلك أصبح ذهن الفرد طيعا وملائما، لتثبيت أي أفكار خيالية أو خادعة، وهو ما تقوم به الإعلانات في ترويجها للخرافات الطبية. حيث تقدم كما كبيرا من المنتجات التي يعتقد الفرد إنها تلبي احتياجاته، في حين إنها "**حاجات زائفة**" من حيث كونها قد تجعله سعيداً للحظة، ولكنها تترك أثارها السلبية عليه علي المدى البعيد.

في كل الأحوال الاستلاب هنا لا يعبر بدرجة كبيرة عن الهيمنة الفكرية للقائمين علي تلك الإعلانات، بقدر ما يعبر عن الموقف أو الاستعداد النفسي والاستجابة الطوعية للمشاهد، الذي عاني لفترات طويلة من الحرمان والضعف والفقر مما جعله فريسة سهلة لما يقدم له.

٣- منتجات طبية خرافية مدعمة عبر الصورة النمطية

كشفت نتائج الدراسة عن اعتماد الإعلانات التلفزيونية في ترويجها للخرافات الطبية علي ما يسمي بالصورة النمطية، من خلال نشر حقائق مبالغ فيها عن الأدوية أو المنتجات الطبية، فضلا عن مخاطبتها للمشاعر الذاتية والاحتياجات البيولوجية للأفراد، حيث تعمل هذه الصورة النمطية علي تغليف الواقع الموضوعي بواقع بديل، من خلال التأكيد علي سمات المنتج وخصائصه الفعالة والمبالغة فيها، وتكرارها،

[1] - أمينة محمد بيومي، **الفضائيات العربية وتهميش الهوية الوطنية: دراسة استطلاعية**،مجلة كلية الآداب، العدد الثاني، المجلد(٦٥)، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٧٠.

وتوضيحها، وترسيخها، كما يقوم القائمين علي القنوات التلفزيونية بالبحث عن أي شواهد، أو أحداث أو ممارسات، مهما كانت نادرة، لتأكيد الصورة النمطية السلبية وترسيخها.[1]

المراجع العربية:

١. إبراهيم محمد سليمان، **مدخل إلي مفهوم سيمائية الصورة**، المجلة الجامعة، العدد السادس عشر، المجلد الثاني، ٢٠١٤.

٢. أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الإعلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٤.

٣. أحمد مجدي حجازي، **العولمة بين التفكيك وإعادة التركيب**: دراسات في تحديات النظام العالمي الجديد، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ٢٠٠٤.

٤. _____، **علم الاجتماع الأسس والقضايا والمشكلات**، القاهرة،١٩٩٩.

٥. أماني السيد فهمي، **الاتجاهات الحديثة لنظرية التأثير في الراديو والتلفزيون**، المجلة العلمية لبحوث الإعلام، العدد السادس،١٩٩٩.

٦. أمينة محمد بيومي، **الفضائيات العربية وتهميش الهوية الوطنية: دراسة استطلاعية**،مجلة كلية الآداب، العدد الثاني، المجلد(٦٥)، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥.

٧. إيناس محمد غزال، **الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل: دراسة سوسيولوجية**، دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠١.

٨. بير بورديو، **التلفزيون واليات التلاعب بالعقول**، ترجمة وتقديم: درويش الحلوجي، دار كنعان، دمشق، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤.

٩. جلين ويسلون، **سيكولوجية فنون الأداء**، ترجمة: شاكر عبد الحميد، المجلة الوطنية للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٥٨، ٢٠٠٠.

[1] – فهد عبد الرحمن الشميمري، **التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الأعلام**، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والتوزيع، السعودية،٢٠١٠، ص ٨٨.

١٠. جمال محمد عبد الحي، **مدخل تاريخي لنشأة وتطور التلفاز**، مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الثالث، العدد السابع، ٢٠١٢.

١١. حسن عماد المكاوي، ليلي حسين السيد، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠.

١٢.رانيا صادق ممدوح، **الإعلان التلفزيوني: التصميم والإنتاج**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٢.

١٣. فهد عبد الرحمن الشميمري، **التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الأعلام**، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والتوزيع، السعودية،٢٠١٠.

١٤. محمد علي محمد، **تاريخ الاجتماع: الرواد والاتجاهات المعاصرة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣.

١٥. مني سعيد الحديدي، سلوى إمام، **الإعلان في التلفزيون المصري**، مركز الجامعة، القاهرة، ١٩٧٦.

١٦. ميرفت الطرابيشي، عبد العزيز السيد، **نظريات الاتصال**، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٧. هيثم منصور عبد القادر، **لغة الجسد في برامج الرسوم المتحركة: دراسة تحليلية في النسخة العربية من برنامج مغامرات عدنان**، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ٢٠١٣.

المراجع الأجنبية:

1. Barnalis, Chetia." **Rhetorical Devices in English Advertisement Texts in India: A descriptive Study'**, International Journal of Social Science and Humanity, Vol,5,No.11,2015.
2. Biook,Behna.Jafar, Zamanian "**Gender and The Discourse of Advertising in English and Persian Magazine Advertisements**" ,International Journal of Academic Research in Business and Social Science, Vol4, No.11,2014.
3. Black, J.Champion,D.;**" Methods and Issues in Social Research'**, John Wiley and Sons, New York,Inc,1976.
4. Daniluk, J." **Infertility: Intrapersonal and Interpersonal Impact**", Journal of Fertility and Sterility, Vol,49,Issue,6,1988.
5. David, R, Vinson.**" Superstitions In Medicine: Bad Luck Or Bad Logic?: Annals Of Emergency Medicine",** Madigan Army Medical Center University of Washington Tacoma, WA,Vol,31, Issue,5,1998.

6. Diplomova, Prace. Jana, Lapsanska." **Adverting with The Concentration on The Linguistic Means and The Analysis of Advertising Slogans",** Datum obhajoby, Bratislava, 2006.
7. Dominin, Umohi ."**Superstition and Syncretism: Set Backs To Authentic Christian Practice in Africa**", International Journal of Humanities and Social Science Invention, Vol,2, Issue,7,2013.
8. Eman, Mosharafa." **All You Need To Know About The Cultivation Theory",** Global Journal Of Human Social Science: Arts and Humanities-Psychology,Vol,15,Issue.8,2015.
9. Esther,Perel.M.A,Lmft." **Erotic Fantasy Reconsidered: From Tragedy to Triumph**', Spring,Vol,7,2011.
10. Fils, Henwood, Et al.."**Turned On Or Turned Off?: Accessing health information on the Internet",** Scandinavian Journal of Information Systems, Vol,14,Issue,2,2002.
11. Forbes, G, B. Et al." **Sexism Hostility Toward Women and Endorsement of Beauty Ideals and Practices: Are Beauty Ideals Associated with Oppressive Beliefs?"**, Journal of Sex Roles, Vol,56, 2007.
12. George, Gerbner. Et all**." Living With Television: The Dynamic Of The Cultivation Process", in "Perspective on Media Effects"**,Jennings,Bryant. Dolfzillmann,Hillsdale(Edit), Journal Of Advertisting,Vol,16,Issue,3,1987.
13. George, W,Kisker. "**The Disorganized Personality**", University Of Cincinnati, Third Edition,1983.
14. Gimlin,D,L." **Body: Beauty and Self Image in American Culture**", California, University of California Press,2002.
15. Hosney, M, Eldaly**." Towards an Understanding of The Discourse of Advertising: Review of Research with Special Reference to The Egyptian Media**", African Neblo, Issue,3,2011.
16. Hugo, Magnus." **Superstition in Medicine**", Translation By: Julius,L. Salinger, Punk., Wagnalls Company, New York and London,1908.
17. James, Shanahan. Michael, Morgan." **Television and Its Viewers: Cultivation Theory and Research**", The Press Syndicate Of The University Of Cambridge, 1999.
18. James, Wilson. Stan Leroy, Wilson." **Mass Media and Mass Culture: An Introduction**", Mc Graw- Hill Inc, U.S.A,1998.
19. Jane, L, Risen. "**Believing What We Do Not Believe: Acquiescence To Superstitions Beliefs and Other Powerful Intuitions'**, American Psychological Association Journal, Vol,123,No,1.2016.
20. Jannifer, Reiling." **Superstition in Medicine**", American Association, Jama, Vol,295, No,1,2006.
21. Josefine, Bengtsson." **The Power Of The Ideal Man: Exploring The Effects Of Using Him In Media**", Springer, 2012.
22. Julia,Swannell." **The Little Oxford Dictionary Of Current English",**,6Th Ed, Oxford, Oxford University Press,1988.
23. Kaptan,S,S. "**Advertising: New Concepts**,", New Delhi, Sarup and Sons,2002.
24. Katherine, Miller." **Communication Theories: Perspectives Processes and Contexts**", USA: McGraw- Hill INC,2002.
25. Kotler, Philip. Keller, Kevin. "**Marketing Management**", New Jersey, Person Prentice- Hall,2009.

26. Lynee,Jamieson ."**Intimacy Transformed: critical Look At The Pure Revolution**", The Journal Of Sociology,Vol,33,No.3,1999.
27. Maria,Martinez ,Lirola. Jan, Chovanec." **The Dream of Perfect Body Come True: Multimodality in Cosmetic Surgery Advertising",** Journal of Discourse and Society, Vol,23,No,5,2012.
28. Michel, Morgan." **Cultivation Analysis and Media Effects" In The Sage Hand Book Of Media Processes and Effects**", Robin,L,Nabi.Mary, Beth.(Edit), Sage Publication,2009.
29. Michelle, Leigh, Grose**." Individual Body Satisfaction and Perception: The Effect of Medias Ideal Body Image on Female College Students",** Baylor University, in Partial Fulfillment of The Requirement for Degree of Master of Arts,2009.
30. Micheal, Hardey." **Doctor In The House: The Internet As A source Of Lay Health Knowledge and The Challenge To Expertise"**, Sociology Of Health and Illness', Vol,21, No,6,1999.
31. Nagwa, Elgazzar. "**Reading Culture in Arab Television Advertising: A content Analysis of Egyptian Advertising**", Faculty of Mass Communication, MISR International University Cairo- Egypt,2014.
32. Nancy, Ikaria**." Mains Discourse of Advertising: Reference of Kiswahili and English Adverts in Kenyan Media**", International Journal of Science and Research,Vol,3.Issue.11,2114.
33. Omer,Ozeri**. "Cultivation Theory and Hegemony: A research From Turkey On Cultivation Role Of Television**", The Journal Of Informatol44,Vol,3,2011.
34. Paual, Chambers" **Television Medical Advertising**", Journal Of Proc. Roy. Soc. Med, Vol,62,1969.
35. Reber,Bryan.Yahmim,Change" **Assessing Cultivation Theory and Public Health Model For Crime Reporting**, New Paper Research Journal,Vol,21, 2001.
36. Roland, Barthes**." Rethorique de Image**", in Communication, Vol,4,1964.
37. Running, Head ."**Cultivation Theory: Growth Or Phenomenon?: C ultivation Theory since its Inception** ", Sharany alakshmi Sudhakar , Word Press.
38. Rowland,R." **A child at Any Price?", An Over View of Issue in The Studies in The New Reproductive Technologies and The Threat to Women**", Women Studies International Fop am, Vol. 8, 1985.
39. Sarah, Tayer." **Instagram: What Makes You Post?**", *Pepperdine Journal* Of Communication Research, Vol,4, Issue,14,2016.
40. Scptt, Walter,D." **The Psychology of Advertising: A simple Exposition of The Principle of Psychology in Their Relation to Successful Advertising**", Boston, Small, Toronto, 1910.
41. Silbel, Akova." **The Relationship Between Superstitions, Metaphors and Advertising**", Journal Of Academic Marketing Mysticism,Vol,3,No,9,2011.
42. Shinichi,Saito "**Television and The Cultivation Of G ender- Role Attitude In Japan :Dose Television Contribute To The Maintenance Of The Status Quo**? ,Journal Of Communcation,Vol,57,2007.
43. Shrum,L,J." **A process Model Of Consumer Cultivation: The Role Of Television is A function Of The Type Of Judgment",** Journal Of Communcation,Vol,29, No,20.2004.

44. Walim,James,Potter." **Critical Analysis Of Cultivation Theory**", Journal Of Communication, Vol,64,Issue,6,2014.
45. Widge,A." **Socio culture Attitudes Toward Infertility and Assisted Reproduction in India**", in VAYENA, E. et al(editor), " **Current Practices and Controversies in Assisted Reproduction: "Medical, Ethical and Social Aspects of Assisted Reproduction**" WHO Headquarters in Geneva, Switzerland, 2011.
46. Wright,C, Mills." **The Power Elite**", Oxford University: London, 1969.

ملحق الدراسة

استمارة استبيان

عن

دور الإعلانات التلفزيونية في نشر الخرافات الطبية

إعداد

د.محمد كمال احمد حسن

بيانات هذه الاستمارة سرية ولن تستخدم إلا في أغراض البحث العلمي

المحور الأول: البيانات الأساسية:

١- الاسم (اختيارى): .....

٢- النوع: ذكر ( ) أنثى ( )

٣- السن: .....

٤- الديانة: **مسلم** ( ) **مسيحي** ( )

٥- المستوي التعليمي: يقرأ ويكتب ( ) ابتدائي ( )

إعدادي ( ) ثانوي ( )

جامعي ( ) دراسات عليا ( )

٦- الحالة المهنية: اعمل ( ) لا اعمل ( )

٧- الموطن الأصلي: ريف ( ) حضر ( )

٨- كم عدد مرات شرائك لهذه المنتجات الطبية المقدمة من خلال هذه الإعلانات:

أ- مرة واحدة ( ) ب- مرتين ( )

ج- ثلاث مرات ( ) د- أربع مرات ( )

هـ- خمس مرات فأكثر( )

٩- كم مرة تشاهد هذه الإعلانات الطبية في اليوم

أ- مرة واحدة ( ) ب- مرتين ( )

ج- ثلاث مرات ( ) د- أربع مرات ( )

هـ- خمس مرات فأكثر( )

المحور الثاني: أسباب استخدام هذا النوع من المنتجات:

١٠- لماذا تستخدم هذا النوع من المنتجات؟

١- الرغبة في تجربة المنتج ( ) ٢- محاولة للشفاء من مرضي ( )

٣- فشل أدوية الأطباء ( ) ٤- التخفيف من حدة الألم ( )

٥ - أخري تذكر ( )

١١- ما هو أكثر شيء قدم في الإعلان جعلك تعتقد في مصداقيته؟

١- حالات الشفاء التي تقدم في الإعلان ( ) ٢- الأطباء التي تعلن عن المنتج ( )

٣- كون المنتج غالي الثمن ( ) ٤- وجود ضمان للمنتج ( )

٥- أخري تذكر ( )

المحور الثالث: أنماط المنتجات الطبية المستخدمة:

١٢- ما هي أكثر المنتجات الطبية التي قمت بشرائها تأثرا بما قدم عبر الإعلانات التلفزيونية؟

١- المنتجات الجنسية ( ) في حالة اختيار(١) يتم الانتقال إلي السؤال رقم (١٣). ٢- منتجات الجمال والأناقة ( ) في حالة اختيار(٢) يتم الانتقال إلي السؤال رقم (١٤)

٣- منتجات العلاج من الأمراض ( ) في حالة اختيار (٣) يتم الانتقال إلي السؤال رقم(١٥).

٤- أخري تذكر ( )

١٣- ما هي أهم هذه المنتجات الجنسية؟

١- منتجات تطويل العضو الذكري ( ) **٢**- منتجات تأخير القذف ( )

٣- منتجات علاج الانتصاب ( ) ٤- منتجات زيادة النشوة الجنسية ( )

٥- منتجات علاج التسرب الوريدي ( ) ٦- منتجات علاج البرود الجنسي ( )

٧- أخري تذكر ( )

١٤- ما هي أهم منتجات الجمال التي قمت بشرائها؟

١- منتجات علاج تساقط الشعر ( ) ٢- منتجات علاج الصلع ( )

٣- منتجات تطويل وفرد الشعر ( ) ٤- منتجات تفتيح الأماكن الداكنة ( )

٥- منتجات التخسيس ( ) ٦- منتجات علاج حب الشباب ( )

٧- منتجات نضارة البشرة ( ) ٨- منتجات علاج النحافة ( )

٩- منتجات تكبير وتصغير الثدي ( ) ١٠- منتجات علاج التجاعيد ( )

١١- أخري تذكر ( )

١٥ - ما هي أهم منتجات العلاج من الأمراض التي قمت بشرائها؟

١- منتجات علاج السكر ( ) ٢- منتجات علاج القولون ( )

٣- منتجات علاج الروماتيزم ( ) ٤- منتجات علاج العمود الفقري ( )

٥- منتجات علاج الإدمان ( ) ٦- منتجات علاج الهرمونات ( )

٧- منتجات علاج تأخر الحمل ( ) ٨- منتجات علاج خشونة الركبة ( )

٩- منتجات علاج الدورة الشهرية ( ) ١٠- أخري تذكر ( )

<u>المحور الرابع: الأثر الطبي الناتج عن استخدام تلك المنتجات:</u>

١٦- هل شعرت بتحسن بعد استخدامك المنتج؟

١- نعم ( ) في حالة اختيار (١) يتم الانتقال إلي السؤال (١٦)

٢- لا ( ) في حالة اختيار (٢) يتم الانتقال إلي السؤال (١٧)

١٧- ما هي أهم مظاهر هذا التحسن؟

١- تخفيف حدة الألم ( ) ٢- تم الشفاء من المرض ( )

٣- الحد من تدهور الحالة ( ) ٤- أخري تذكر ( )

١٨- ما هي أهم مظاهر الانتكاسة؟

١- تدهور الحالة الصحية ( ) ٢- توقف بعض الوظائف الحيوية ( )

٣- عدم القدرة علي القيام بالأنشطة الحياتية ( ) ٤- أخري تذكر ( )

١٩- هل فكرت في تجربة منتج أخر؟

١- نعم ( ) ٢- لا

Lexical Analysis of Obama's and Hillary Clinton's Political Speeches about the Arab Spring

By

Mai Ashraf Hussein Sayed

A researcher, Faculty of Arts, Fayoum University

Abstract

This study aims at highlighting the major role played by lexical analysis in conveying certain ideological messages in the political speeches of Obama and Hillary Clinton about the Arab Spring. The sample consists of five political speeches, three belong to Obama and two belong to Clinton. The speeches were collected from the period (February-November, 2011). Relying on Van Dijk's socio-cognitive approach which gives particular significance to lexical analysis, the study is to look into the use of metaphor and metonymy in the selected speeches. The findings of this study revealed that both Obama and Hillary Clinton have used the two selected linguistic devices in order to achieve their ideological goals and convince the listeners of their thoughts. The most important ideas which they try to stress, through the use of these devices, are that America is the hero who has made a great effort and has cooperated with other partners to secure the Arab citizens from the atrocities of their leaders and that the Arab leaders are dictators. Also, they want to confirm that America is the leader and hence all the Arab countries should follow it.

الخلاصة

تهدف هذه الدراسة إلي إظهار الدور البليغ الذي يلعبه تحليل المفردات في توصيل رسائل أيدلوجية معينة في خطابات أوباما وهيلاري كلينتون السياسية عن الربيع العربي. حيث تتكون العينة من خمسة خطابات سياسية، ثلاثة ألقاها أوباما، واثنتين ألقتهما كلينتون. وقد جمعت هذه الخطابات في الفترة من فبراير ٢٠١١ الي نوفمبر٢٠١١، وبالاعتماد علي المذهب الاجتماعي المعرفي لفان دايك الذي

يهتم اهتماما كبيرا بتحليل المفردات تفحص هذه الدراسة استخدام الاستعارة والكناية في الخطابات المحددة . وقد كشفت نتائج هذه الدراسة أن كل من أوباما وكلينتون استخدما هاتين الوسيلتين اللغويتين كي يحققا أهدافهما الأيدولوجية و يقنعا المستمعين بأفكارهما. وتتمثل أهم الأفكار التي يريدان التاكيد عليها من خلال استخدام هاتين الوسيلتينأن أمريكا هي البطلة التي بذلت مجهودا فائقا وتعاونت مع شركاء آخرين لكي تنقذ المواطنين العرب من بشاعات قادتهم،وأن القادة العرب ديكتاتوريون. ويريدان أيضا أن يؤكدا أن أمريكا هي البلد القائدة لذا يجب علي كل البلاد العربية أن تتبعها.

Introduction

This paper starts by theoretically introducing lexical analysis; its definition, its importance, and the names of some rhetorical devices which this analysis can be applied through. Then, it highlights the two devices that have been chosen for the analysis. Each device is accompanied by a theoretical overview which presents the definition, the significance, and general examples. This overview is followed by some examples from Obama and Hillary Clinton's political speeches. After the examples, there is a quantitative account of the purposes of the selected rhetorical devices. Finally, there is a conclusion of the two linguistic devices chosen for the analysis.

Lexical analysis can be defined, according to Patrick Hanks (2013), as a wide examination of word use and meaning in a text. Hanks (2013) argues that words have "meaning potentials" (p.73), and "these potentials are activated when the words are used" (p.73). He adds that the meaning of a word is determined by its context. As for the importance of lexical analysis, Hanks (2013) suggests that lexical analysis helps people "better understand how words go together in collocational constructions to make meanings" (p.7). Thus, lexical analysis plays a central role in distinguishing one text from the other one. In addition, according

to Sayed (2009), what makes the study of lexical items quiet essential is the fact that it is through words that a speaker is able to convey his own messages which are the aim of a given discourse. Thus, the researcher found it essential to handle this linguistic phenomenon.

There are some figures of speech which are most relevant to the lexical analysis of a text. These figures are metaphor, simile, hyperbole, irony and metonymy (Hanks, 2013).Metaphor and metonymy have been chosen for the analysis.

Metaphor: A Theoretical Overview

Metaphor can be defined as figure of speech which involves making an implicit comparison between two unrelated things but they share some common characteristics (Ferraro& Briody, 2017). Developing a comparison in a metaphor does not include using 'like' or 'as' (Corbett, 2013). For example, 'Ahmed is a lion'. The word 'lion' which is applied to an animal is here attributed to a person. What is meant here is that the characteristics of the lion which include strength, bravery and control are attributed to Ahmed. George Lakoff and Mark Johnson (1980) define metaphor in a simpler way and point out that "the essence of metaphor is understanding and experiencing one kind of thing in terms of another." (p.5). Thompson (2004) gives a clear example of metaphor in which the words 'crippled' and 'burden' are used metaphorically: "The north is crippled with the burden of the industrial revolution to an extent that the south hardly begins to understand." (p.220). The literal meaning of the word 'crippled' is 'disabled' like, for example, ' a crippled child' whereas 'burden' literally means 'something heavy'. Therefore, the interpretation of the sentence above into a metaphorical language might be: " The north is in a difficult situation because of the effects of the

industrial revolution." (p. 221). Consequently, metaphor involves two meanings: literal and figurative. The literal meaning is imperfect, but the figurative one creates a beautiful image and provides us with the intended meaning and the effect which the speaker desires. Livingstone and Harrison (1981) see that metaphors "serve the dual purpose of remedying some temporary imperfection of literal language and providing imaginative and entertaining verbal puzzles" (p.95)

Lesz (2011) views that metaphor is inevitable when we speak about our emotions, experiences, and beliefs. Moreover, Lakoff& Johnson (1980) assert that metaphor pervades everyday language. This means that it is present in most texts like newspapers, conversations and political speeches. They contend that:

> Metaphor is pervasive in everyday life, not just in language but in thought and action … Our concepts structure what we perceive, how we get around in the world, and how we relate to other people (p.3).

Using metaphor in political speeches is of a great importance for the political speaker. Charteris-Black (2004) argues that “metaphors are chosen by speakers to achieve particular communication goals within particular contexts rather than being predetermined by bodily experience” (p.247). In other words, political speakers use metaphor in political speeches to legitimate their policies and agendas in front of their listeners. In his works written in 1991 and 2003, Lakoff wants to stress the idea that political figures use metaphors to justify what they say in order to win the public consensus. This idea accounts for the use of metaphor in Obama's and Clinton's speeches where they try to justify their policies in front of the Arab citizens in order to influence the citizens' opinions and thoughts.

Lakoff (1991) states some metaphor systems which are used to understand international politics. The first system is called 'The State-as-Person System' in which a state is conceptualized as a human being "engaging in social relations within a world community ... It lives in a neighborhood, and has neighbors, friends and enemies … Well-being is wealth … Strength for a state is military strength" (p.3).This system was introduced by Lakoff during the first Gulf war to analyze the role of metaphor in political discourse. He indicates that the idea of personifying the State-as-Person has the advantage of linking the ordinary citizen's well-being and economic state with those of the State. This connection makes the citizen need to strengthen his ties with the State in order to preserve his needs.

It is worthy of note that the researcher started with this system and found that it was able to convey all the important messages in the speeches of Obama and Clinton, so there is no need to study other systems of metaphor.

Examples of the Use of The State-as-Person System of Metaphor from Obama's Political Speeches:

Obama makes use of the State-as-Person system in order to personify America to stir the emotions of his listeners. To reassure the listeners that America respects the Tunisian citizens and supports the transition to democracy in Tunisia, the President personifies America in his remarks on the Middle East and North Africa on 19th May, 2011:

> We have the chance to show that America values the dignity of the street vendor in Tunisia more than the raw power of the dictator. There must be no doubt that the United States of America welcomes change

> that advances self-determination and opportunity (the second speech of Obama, para.20).

In the above quotation, Obama represents America as a person who has the ability to value the dignity of the people and who welcomes change in Tunisia. This personification conveys the intended message of this quotation which is praising America's democratic regime. Personifying America in this way has a profound psychological effect on the Tunisian listeners as they find themselves love America, appreciate it and accept whatever it does. In addition, the Tunisian people feel that they have supporters represented in America and that America encourages the Tunisian revolution. That metaphor also means that American people have sympathy for Tunisian people as if they are one entity.

In the same speech, he personifies America as a person who is interested in solving the Arab world's problems represented in stopping terrorism and securing the Arab citizens from violence to show America's leading role. This metaphor aims at showing the key role of America:

> For decades, the United States has pursued a set of core interests in the region: countering terrorism… and safe-guarding the security of the region… We will continue to do these things, with the firm belief that America’s interests are not hostile to people’s hopes; they’re essential to them (the second speech of Obama, para.16).

In addition, the President makes use of metaphor, in the same speech, by depicting America as a person who respects the rights of the Arab citizens in order to praise America's democratic regime. This is the main aim of this quotationand it also shows

America's preference for getting rights and its respect to people who seek to get their rights in a peaceful way:

> Let me be clear, America respects the right of all peaceful and law-abiding voices to be heard, even if we disagree with them (the second speech of Obama, para.40).

Obama again confirms America's support for democracy in the Arab countries in the same speech by personifying America as a person who supports democracy and wants to achieve it in the Arab region so as to show America's central role. This is the purpose of this quotation and it shows indirectly to what extent America is a democratic country:

> America’s support for democracy will therefore be based on ensuring financial stability, promoting reform, and integrating competitive markets with each other and the global economy. And we’re going to start with Tunisia and Egypt (the second speech of Obama, para.47).

In addition, he stresses the idea of supporting nations that seek democracy by using the same metaphor in the same speech to assert America's fundamental role:

> Moreover, the United States will continue to support those nations that transition to democracy — with greater trade and investment — so that freedom is followed by opportunity (the third speech of Obama, para.28).

Another example out of the various examples of metaphor in which Obama personifies The United States of America is in his address to the United Nations General Assembly on 21st September, 2011. In the next quotation, the President embodies America as a person who is pleased with the freedom of Libya from the tyranny

of Gaddafi. Thus, America is reopening its embassy in Tripoli. This metaphor illustrates that America supports political relationships between itself and Libya. The main purpose of this metaphor is to show America's significant role:

> From Tripoli to Misurata to Benghazi — today, Libya is free. Yesterday, the leaders of a new Libya took their rightful place beside us, and this week, the United States is reopening our embassy in Tripoli (the third speech of Obama, para.19).

Moreover, in the subsequent quotation, the President depicts The United States of America as a person who has the ability to impose sanctions on Syria's leaders and has some allies to cooperate with in the hard effort. In addition, it supports the Syrian people. Personifying America in this way has a deep psychological effect on the Syrian people as they find themselves trust America and its effort to rescue them from Bashar Al-Asad. This quotation aims at encouraging people to continue the revolution in addition to showing America's role. The message here is that America does its best for the sake of Syria and that it has the ability as well as the authority to impose sanctions on Syria's leaders. Therefore, America has a unique ability and it is the leader of all countries. Furthermore, the United Nations Security Council is personified as a person who can sanction the Syrian regime and support the Syrian people:

> Already, the United States has imposed strong sanctions on Syria’s leaders. We supported a transfer of power that is responsive to the Syrian people. And many of our allies have joined in this effort. But for the sake of Syria — and the peace and security of the world — we must speak with one voice. There’s no excuse for inaction. Now is the time for the United

> Nations Security Council to sanction the Syrian regime, and to stand with the Syrian people (the third speech of Obama, para.24).

Also, Obama asserts the idea that America has some allies and partners to cooperate with in his speech about Libya on 28th March, 2011. This metaphor shows that America has strong relationships with the other countries and it plays an essentialrole:

In this effort, the United States has not acted alone. Instead, we have been joined by a strong and growing coalition. This includes our closest allies - nations like the United Kingdom, France, Canada, Denmark, Norway, Italy, Spain, Greece, and Turkey - all of whom have fought by our side for decades (the first speech of Obama, para.14).

In the same speech, the President shows America's social relationships in addition to its role:

To summarize, then: in just one month, the United States has worked with our international partners to mobilize a broad coalition, secure an international mandate to protect civilians, stop an advancing army, prevent a massacre, and establish a No Fly Zone with our allies and partners (the first speech of Obama, para.15).

In the subsequent quotation, Obama uses the system of the State-as-Person to personify America to stir the emotions of his listeners. The main purpose of this quotation is to encourage people to work or to continue the revolutions in addition to showing America's positive role:

> Throughout the region, we will have to respond to the calls for change. In Yemen, men, women and children gather by the thousands in towns and city squares every day with the hope that their determination and spilled blood will prevail over a

> corrupt system. America supports those aspirations. We must work with Yemen’s neighbors and our partners around the world to seek a path that allows for a peaceful transition of power from President Saleh, and a movement to free and fair elections as soon as possible (the third speech of Obama, para.25).

In the above quotation, Obama reassures the listeners that America will respond to the call of the Arab citizens for defending them and protecting them from violence and cruelty of their leaders. This shows that America is a democratic country which supports the weak citizens and it is against unjust leaders. In addition, Obama confirms America's support to the Yemen people's aspirations by personifying America as a person who has partners to work with for achieving the Yemen people's dreams represented in getting rid of corruption, President Saleh, and a movement to free and fair elections.

Furthermore, Obama, in the subsequent quotation, embodies America as a person who has friends among whom is Bahrain. He describes America as a devoted friend who helps her friends in their difficult situations and behaves for the sake of those friends. This personification has a deep effect on Bahrainis as it persuades them that America stands with them in their revolution. This metaphor also illustrates the idea that America seeks peace, not war, and likes making friendships. The main purpose of this quotation is to show America's strong relationships in addition to its role:

> America is a close friend of Bahrain, and we will continue to call on the government and the main opposition bloc — the Wifaq — to pursue a meaningful dialogue that brings peaceful change that

> is responsive to the people (the third speech of Obama, para.26).

The President again depicts the United States of America as a friend to nations who seek freedom in his speech about Libya on 28 March, 2011. The following metaphor also shows that America allows its citizens to have freedom. The main purpose of this quotation is to praise America's democratic regime:

> Because wherever people long to be free, they will find a friend in the United States. Ultimately, it is that faith - those ideals - that are the true measure of American leadership (the first speech of Obama, para.41).

In addition, he represents America as a leader who has responsibility towards nations that suffer from the atrocities of their leaders. This metaphor shows that America is the leader and the Arab countries are the ones that follow her. It also shows America's crucial role:

> To brush aside America's responsibility as a leader and - more profoundly - our responsibilities to our fellow human beings under such circumstances would have been a betrayal of who we are (the first speech of Obama, para.25).

Examples of the Use of The State-as-Person System of Metaphor from Clinton's Political Speeches:

It is notable that Hillary Clinton goes on the same line taken by Obama where she tries to make use of the system of the State-as-Person. Shepersonifies America by attributing such human description like having friends and partners, having interests, helping the others and so on. Therefore, in her *Keynote Address at the National Democratic Institute's 2011 Democracy Awards Dinner* on 7th November, 2011, she

embodies America as a person who helps the Syrian people to get their rights. The main purpose of this quotation is to praise the American citizens represented in the ambassador in order to show how far they suffered for the sake of the Syrian people:

When our Ambassador to Syria was mobbed, assaulted, and threatened, just for meeting with peaceful protestors, he put his personal safety on the line to let the Syrian people know that America stands with them (the second speech of Clinton, para.6).

Also, in the following quotation, she describes America as a person that people call for help to solve their problems and a person who has a role to play. Personifying America in this way means that it is a wise and trusted country to the extent that it has the ability to solve people's problems. This personification also means that America is an indispensable country in the days of the Arab revolutions as it is the one that can help the Arab citizens solve their problems. The main purpose of this quotation is to praise America:

I've heard people asking America to solve all their problems and others wondering whether we have any role to play at all (the second speech of Clinton, para.7).

Furthermore, in the subsequent quotation, the Secretary of State personifies America so as to stir the emotions of the listeners and show America's leading role:

Now, America did push for reform, but often not hard enough or publicly enough. And today, we recognize that the real choice is between reform and unrest (the second speech of Clinton, para.12).

In the above quotation, Clinton represents America as a person who works for and supports reform in the Arab countries and

hence refuses instability. Thus, America is the country of reform and it seeks reform by action not just saying.

Moreover, in the next quotation, she describes America as a person who has complex interests and has a friend. This metaphor shows America's friendly relationships in addition to its role:

As a country with many complex interests, we'll always have to walk and chew gum at the same time. That is our challenge in a country like Bahrain, which has been America's close friend and partner for decades (the second speech of Clinton, para.21).

Furthermore, using the adjective 'complex' as well as the phrase ' walk and chew gum' in the above quotation, means that America has a great task to do. Furthermore, by using metaphor to personify America as a person who has a friend, Clinton repeats Obama's metaphor which is mentioned before.

Also, she confirms the idea that America has partners whomit motivates to achieve reform in the Arab region. Furthermore, the Secretary of State indicates that the past leaders were better than the present ones and hence she dispraises indirectly the present leaders of the Arab countries. This metaphor aims at encouraging partners to reform in addition to showing America's role:

Fundamentally, there is a right side of history. And we want to be on it. And—without exception—we want our partners in the region to reform so that they are on it as well (the second speech of Clinton, para.23).

Moreover, she uses the same metaphor that was used by Obama in which she personifies America as a person who respects the rights of the others and prefers democracy as well

as freedom, so it works for achieving them. In addition, she indicates the idea that America likes good and hates evil. This personification makes the Tunisian listeners respect America.Thus, metaphor is employed by politicians to achieve their ideological goals. This quotation shows America's friendly relationships with Tunisia in addition to America's vital role:

In Tunisia, an Islamist party has just won a plurality of the votes in an open, competitive election. Its leaders have promised to embrace freedom of religion and full rights for women. To write a constitution and govern, they will have to persuade secular parties to work with them.
And as they do, America will work with them, too, because we share the desire to see a Tunisian democracy emerge that delivers for its citizens and because America respects the right of the Tunisian people to choose their own leaders (the second speech of Clinton, para.28).

In addition, Clinton uses metaphor, in her remarks about *Internet Rights and Wrongs: Choices & Challenges in a Networked World* on 15th February, 2011, to personify America as a person who motivates other nations to exercise the freedom of connecting. Personifying America in this way aims at representing America in a favorable picture as it is the country which supports freedom and wants other nations to enjoy it. Moreover, she confirms the idea that America keeps up with modern technology represented in the internet and calls for using it throughout the Arab region. The main purpose of this quotation is to show America's role:

Together, the freedoms of expression, assembly, and association online comprise what I've called the freedom to connect. The United States supports this freedom for people

everywhere, and we have called on other nations to do the same (the first speech of Clinton, para.13).

Moreover, in the same speech, she uses metaphor to personify America as a brave, strong person who has the ability to deter criminals and terrorists online. This personification also represents America in a remarkable picture and illustrates that it refuses terrorism and it plays a major role to stop it online. Consequently, the purpose of this quotation is to show America's key role:

The United States is aggressively tracking and deterring criminals and terrorists online (the first speech of Clinton, para.21).

To stress the positive image of America, Clinton embodies it as a person who helps other nations to apply laws in order to be stable so as to show America's leadingrole. By using this metaphor, the secretary of State confirms Obama's idea that America is superior to the Arab countries and the whole world and it does them a favor:

The United States Government invests in helping other nations build their own law enforcement capacity (the first speech of Clinton, para.21).

She also adds that America intends to get rid of all criminal activities online and offline and it respects laws and values. The main purpose of this quotation is to show America's role:

The United States is determined to stop terrorism and criminal activity online and offline, and in both spheres we are committed to pursuing these goals in accordance with our laws and values (the first speech of Clinton, para.22).

A Quantitative Account of the purposes of using metaphor in the selected speeches

Table 1

The purposes of using metaphor	Obama's Speeches		Clinton's Speeches	
	Frequency	**Percentage**	**Frequency**	**Percentage**
1-showing America's vital role	5	38.4	5	50
2-showing America's strong relationships in addition to its role	3	23.1	2	20
3-encouraging peopletocontinue the revolutions and emphasizing America's role	2	15.4	1	10
4-praising America's democratic regime or the American citizens	3	23.1	2	20

From table 1, it is obvious that the total number of the examples of metaphor taken from Obama's speeches are thirteen, five out of them are used to show America's important role and three examples are used to show America's good relationships in addition to its role while two examples are used to encourage people to continue the revolutions. Finally, only three examples are used to praise America's democratic regime.

On the other hand, the total number of examples of metaphor taken from Clinton's speeches are ten, five out of them are used to show America's vital role while two examples are used to show America's social relationships in addition to its role, one example is used to encourage people to continue the revolutions, but two examples are used to praise America or the American citizens.

Thus, it can be concluded that both Obama and Clinton used metaphor for the purpose of showing America's key role for the sake of the Arab citizens during the days of the Arab Spring more than the other purposes. The purpose of showing

America's crucial role had the first rank with38.4% and 50% while the purposes of showing America's good relations in addition to its role and praising America's democratic regime had the second rank with 23.1% and 20%. The purpose of encouraging people to work had the third rank with 15.4% and 10%.

To conclude, both Obama and Clinton want to confirm that America is the leader of the Arab countries and the whole world. It is the one who has the authority to impose sanctions and the one who can help the other countries. Moreover, it is a strong country which did the Arab countries a favor during the revolutions. Also, it is a democratic country and it has strong relationships with the other countries, so it is a good example which should be followed.

2- Metonymy: A Theoretical Overview

Metonymy can be defined, according to Hanks (2013), as "a figure of speech in which, instead of using a word, a speaker uses a word that denotes something associated with the thing meant" (p.226). It is obvious from this definition that the basic concepts of metonymy are 'substitution' and 'association'. For Gunter Radden& Klaus-Uwe Panther (1999), metonymy includes "the substitution of the name of one thing for that of another thing" (p.17). In other words, we use metonymy when an idea or a concept is replaced by a single word or feature that is connected to it. Lakoff& Johnson (1980) see that metonymy, like metaphor, is an important part of our everyday life as it is present in our thoughts and actions. They give an example of metonymy which is "She's just a pretty face" (p.18). In this

sentence, we drive the basic information about a girl or a woman from her face. According to Panther& Radden (1999), this sentence is "assumed to mean 'she is just a pretty woman', but this sentence does not mean that she is pretty 'all over'. It suggests that, most importantly, she has a pretty face" (p. 18). They argue that "metonymy does not simply substitute one entity for another entity, but interrelates them to form a new meaning" (p.19).

Actually, in our culture, we get the basic information about what the person is like when we look at his/her face. Lakoff& Johnson(1980) stress this point and suggest that when we look at a person's picture, the most important part in the picture is the person's face. This is because through the face we can see what he looks like. However, when we see the picture of the body without the face, this sounds strange. Thus, metonymy is an essential way of thinking about people.

As for the importance of metonymy in political discourse, Van Dijk (1997) contends that metonymy and metaphor are used in political language in order to "follow the overall goals of positive self-presentation and negative other-presentation' (p.36). This strategy is based on the idea that our people and actions are described in positive associations whereas our political opponents are described in negative ones. The example which Van Dijk gives concerning this strategy is the characterization of our soldiers or politicians as good animals such as lions or tigers while representing the others as dirty animals like rats or dogs.

It is worthy of note that the metonymic strategy which the researcher has used is what Panther& Radden (1999) called

"salient characteristic for person" (P. 215). The idea of this strategy is that we refer to the person by mentioning some of his qualities to draw the audience attention to them. This strategy is suitable in this study as Obama and Clinton refer to the Arab leaders through some noun phrases that refer to their characteristics.

Examples of the Use of Metonymy from Obama's Political Speeches

Obamamakes use of the rhetorical strategy of metonymy to present other people in a negative image. He tries to blacken the Arab leaders and their regime by attributing an ugly picture to them. He uses the linguistic device of metonymy, in his remarks to the United Nations General Assembly on 21st September, 2011, to reinforce the picture of the Arab leaders as 'dictators' who used violence against their people and suppressed their people' hopes. He describes the leaders of the Arab countries and their regime by using the words 'corruption', 'tyranny', dictators', and 'dictatorship' to reveal their atrocities. These words served as metonymies for the bad rule of the Arab leaders and to what extent the Arab citizens suffered from injustice and violence of their leaders. They also refer to Obama's refusal of the Arab leaders' atrocities. The main purpose of the subsequent quotation is to blacken the Arab leaders' reputation and expose their drawbacks:

The humiliating grip of corruption and tyranny is being pried open. Dictators are on notice. Technology is putting power into the hands of the people. The youth are delivering a powerful rebuke to dictatorship, and rejecting the lie that

some races, some peoples, some religions, some ethnicities do not desire democracy (the third speech of Obama, para.21).

Obama also refers to the president of Tunisia in the same speech by using the phrase ' the rule of an iron fist' to refer to injustice and suppression. Also, this quotation aims at showing America's sympathy with the Arab citizens:

One year ago, the hopes of the people of Tunisia were suppressed. But they chose the dignity of peaceful protest over the rule of an iron fist (the third speech of Obama, para. 16).

In the same speech, he makes use of the metonymies 'dictator' and 'tyranny' instead of the President's name to refer to the President of Libya as well as its dictatorship. So, the main purpose of this quotation is to blacken the Arab leaders' reputation and reveal their inhumanity:

One year ago, the people of Libya were ruled by the world’s longest-serving dictator (the third speech of Obama, para.18).

Obama praises the Libyan people's determination to fulfill their revolution and get rid of their presidentin the same speech:

In the months that followed, the will of the coalition proved unbreakable, and the will of the Libyan people could not be denied. Forty-two years of tyranny was ended in six months (the third speech of Obama, para.19).

He makes use of metonymy to attribute such inhuman description like 'The humiliating grip of corruption and tyranny/ dictators/ dictatorship/ the rule of an iron fist/ the world’s longest-serving dictator/Forty-two years of tyranny' to the Arab leaders.

Furthermore, in his speech about Libya on 28th March, 2011, the President refers to Moammar Gaddafi by using the noun 'dictator'. However, the main purpose of this quotation is to show America's essential role and its effective turn:

Because while our military mission is narrowly focused on saving lives, we continue to pursue the broader goal of a Libya that belongs not to a dictator, but to its people (the first speech of Obama, para.21).

Also, in the same speech about Libya, Obama mentions one Libyan's reference to Gaddafi by using the metonymy 'nightmare'. It is a metonymy for social, economic and political injustice and suppression. Therefore, the main purpose of this quotation is to blacken the Libyan President's reputation and reveal his brutality:

As one Libyan said, "For the first time we finally have hope that our nightmare of 40 years will soon be over." (the first speech of Obama, para.6)

Moreover, in his remarks on the Middle East and North Africa on 19th May, 2011, Obama makes use of the metonymy 'dictator' to refer to the President of Tunisia. The main purpose of this quotation is to praise the Arab citizens' determination:

Hundreds of protesters took to the streets, then thousands. And in the face of batons and sometimes bullets, they refused to go home –- day after day, week after week -- until a dictator of more than two decades finally left power (the second speech of Obama, para.8).

Again, he refers to the Tunisian president in the next quotation. However,its main purpose is to show America's central role:

We have the chance to show that America values the dignity of the street vendor in Tunisia more than the raw power of the dictator (the second speech of Obama, para.20).

In the same speech, he uses the noun 'tyranny' to refer to the Arab leaders as well as their atrocities and hence blacken their reputation and expose their atrocities:

It's the same kind of humiliation that takes place every day in many parts of the world -– the relentless tyranny of governments that deny their citizens dignity (the second speech of Obama, para.7).

Furthermore, the president in the same speech makes use of metonymy to refer to the Arab leaders and their brutality. Also, he wants to show America's feeling sympathy for the Arab citizens:

Across the region, those rights that we take for granted are being claimed with joy by those who are prying loose the grip of an iron fist (the second speech of Obama, para.67).

Examples of the Use of Metonymy from Clinton's Political Speeches

Clinton utilizes the same device of metonymy that is employed by Obama in order to blacken the Arab leaders and their regime by attributing an inhuman description to them. Therefore, in her*Keynote Address at the National Democratic Institute's 2011 Democracy Awards Dinner* on 7th November, she reinforces the picture of the Arab Presidents as 'dictators' and 'autocrats' who oblige their citizens to accept their rule. Thus, this quotation aims at exposing the Arab leaders' atrocities:

We begin by rejecting the false choice between progress and stability. For years, dictators told their people they had to accept the autocrats they knew to avoid the extremists they feared (the second speech of Clinton, para.12).

In addition, in the following quotation, she refers to the Arab citizens by the phrase ' the demand for change' and also to the Arab leaders by the phrase ' the refusal to change'. She wants to assert the idea that the reason for the revolutions in the region is the Arab leaders themselves and their cruel regime and also that the Arab citizens just demand their rights. Using the noun phrase 'the demand' is a metonymy for the legitimacy of the Arab revolutions as the Arab citizens just demand their legitimate rights. However, using the noun 'the refusal' is a metonymy for the Arab leaders' stubbornness. So, this quotation aims at defending the Arab citizens:

The truth is that the greatest single source of instability in today's Middle East is not the demand for change. It is the refusal to change (the second speech of Clinton, para.14).

In the same speech, she shows America's sympathy with the Arab citizens:

Free, fair, and meaningful elections are essential—but they are not enough if they bring new autocrats to power or disenfranchise minorities (the second speech of Clinton, para. 18).

In the above quotation, Clinton refers to the Arab leaders by the noun 'autocrats', but she refers to the Arab citizens by using the noun phrase ' disenfranchise minorities'. Using these metonymies summarizes the conditions in the Arab world, that is, the Arab leaders are unjust and tyrant, but the citizens of the Arab countries are helpless in front of the tyranny of their leaders.

Again, she refers to the Arab leaders and their crackdown by using the noun 'autocrats'. Using this noun summarizes all the Arab Presidents' atrocities. In addition, using that noun is a metonymy for injustice and Clinton's hate of the Arab leaders' regime. Therefore, this quotation aims at exposing the Arab leaders' inhumanity:

But in part, the pushback comes from autocrats around the world wondering if the next Tahrir Square will be their capital square, and some are cracking down when they should be opening up (the second speech of Clinton, para.35).

She also blackens the Arab leaders' reputation in the next quotation:

When autocrats tell us the transition to democracy will take time, we answer, “Well, then let’s get started.” (the second speech of Clinton, para. 39).

Furthermore, the Secretary of States refers to the Arab revolutions by using the noun 'journey'. He also personifies America as a person who helps make these revolutions successful ones to show America's vital role and stress the idea that thanks to America, theses revolutions succeeded. Using the metonymy 'journey' indicates that the revolutions took much time and they inevitably were full of a lot of hardships and suffering:

And on this journey that they have begun, the United States will be their partner. And of the many tools at our disposal – the National Endowment and NDI and all of the family of organizations that were created three decades ago to help people make this journey successfully – will be right there (the second speech of Clinton, para.48).

Also, in her remarks about *Internet Rights and Wrongs: Choices & Challenges in a Networked World*on 15th February, 2011, Clinton refers to the Arab leaders by using the noun 'dictator' in order to blacken their reputation':

We believe that governments who have erected barriers to internet freedom… will eventually find themselves boxed in. They will face a dictator's dilemma and will have to choose between letting the walls fall or paying the price to keep them standing (the first speech of Clinton, para.46).

A Quantitative Account of the purposes of using metonymy in the selected speeches

Table 2

The purposes of using metonymy	Obama's Speeches		Clinton's Speeches	
	Frequency	**Percentage**	**Frequency**	**Percentage**
1-blacken the Arab leadersand expose their atrocities	4	40	4	57.1
2-show America's sympathy with the Arab citizens	2	20	1	14.3
3- defend the Arab citizens or praise their determination	2	20	1	14.3
4-show America's crucial role	2	20	1	14.3

From table 2, it is notable that the total number of the examples of metonymy taken from Obama's speeches are ten, four out of them are used to blackenthe Arab leaders and expose their atrocities while two of them are used to show America's sympathy with the Arab citizens. Two examples are used to defend the Arab countries and two examples are used to show America's significant role.

On the other hand, the total number of metonymies taken from Clinton’s speeches are seven, four out of them are used to blackenthe Arab leaders as well as exposing their atrocities while one example is used to show America's sympathy with the Arab citizens, one example is used to defend the Arab countries and also one example is used to show America's central role.

Therefore, it can be concluded that both Obama and Clinton used metonymy for the purpose of blackening the Arab leaders and exposing their atrocitiesmore than the other purposes. That purpose had the first rank with40% and 57.1% while all the other purposes had the second rank with 20% and 14.3%.

To sum up, both Obama and Clinton want to stress the idea that American leaders are always strong, brave and able to achieve democracy in their country and so there are not any revolutions in America. On the other hand, the Arab leaders are weak and dictators. So, they have failed to achieve freedom as well as democracy in their countries. Consequently, there were revolutions against their regime. In addition, they indicate that they share the sorrow of the Arab citizens in their difficult situation and they are against the Arab leaders' injustice and suppression.

Conclusion

After analyzing the use of metaphor and metonymy in the political speeches of Obama and Clinton, it can be concluded that both of them have used the two linguistic devices for achieving almost the same goals. For instance, there are two purposes which have been repeated in the selected devices. The first one is showing America's key role.

The second one is praising the Arab citizens' determination or courage so as to encourage them to continue their revolutions. However, there are two purposes which have been mentioned in just metaphor. They are showing America's strong relationships with the other countries and praising America's democratic regime. Also, there are two purposes that have been mentioned in just metonymy. They are blackening the Arab leaders' reputation as well as exposing their atrocities and showing America's sympathy with the Arab citizens.

To conclude, both Obama and Clinton used the two rhetorical devices in order to confirm some ideas. First, America put a great deal of effort and has cooperated with some allies and partners to defend the Arab people and secure them from the tyranny of their leaders. Second, America is a devoted country which feels pity for the Arab citizens and supports them in their difficult situation. Third, America is a democratic country which calls for peace and freedom. Fourth, the Arab leaders are unjust. Therefore, using the rhetorical devices of metaphor and metonymy were essential.

References

Charteris-Black, J. (2004).*Corpus approaches to critical metaphor analysis* .Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Clinton, H.R. (2011, February, 16th). *Internet Rights and Wrongs: Choices& Challengesin a Networked World*. Attached as the first speech of Clinton. Retrieved from https ://www .indexoncensorship .org/2011/02/internet-rights-and-wrongs-choices-challenges-in-a-networked-world/

---------- (2011, November 9th). *Keynote Address at the National Democratic Institute's 2011 Democracy Awards Dinner* . Attached as the second speech of Clinton. Retrieved fromhttp :// www .scoop . co.nz / stories / WO1111 /S00205 / keynote –address –at –the –national –democratic -institute.htm

Corbett, P. (2001). *How to Teach Fiction Writing at Key Stage 2*. Britain: David Fulton.

Ferraro, G.P.,& Briody, E.K. (2016). *The cultural dimension of Global Business* (8thed.). New York: Routledge.

Hanks, P. (2013). *Lexical analysis: Norms and exploitations*. Cambridge Mass: The MIT Press.

Lakoff, G. (1991*).* Metaphor and War: The Metaphor System Used to Justify War in the Gulf. In*: Viet Nam Generation Journal& Newsletter*, 3(3).

---------- (2003). *Metaphor and war, again*. Retrieved Febuary 20, 2008 from http://www.alternet.org/story/15414.

---------- & Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By. Chicago: The University of Chicago Press.

Lesz, B. (2011). *To Shape the World for the Better:An Analysis of Metaphors in the Speeches of Barack Obama* (Master's thesis, Tromso University). Retrievedfromhttps://munin.uit.no/bitstream/handle/10037/3540/thesis.pdf?sequence=1

Livingstone, D. N. & Harrison, R.T. (1981). Meaning through Metaphor: analogy as Epistemology. *Annals of the Association of American Geographers*, 71(1), 95-107.

Obama, B.H. (2011, March 28th). *Remarks by the President in Address to the Nation on Libya.* Attached as the first speech of Obama. Retrieved from https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2011/03/28/remarks-president-address-nation-libya

---------- (2011, May 19th). *Remarks by the President on the Middle East and North Africa.* Attached as the second speech of Obama. Retrieved fromhttps://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2011/05/19/remarks –president-middle-east-and-north-africa

---------- (2011, September, 21st). *Remarks by the President in Address to the United Nations General Assembly*. Attached as the third speech of Obama. Retrieved fromhttps://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2011/09/21/remarks-president-obama-address-united-nations-general-assembly

Panther, K.U. & Radden, G. (1999). *Metonymy in language and thought*. Amsterdam: John Benjamins.

Sayed,Y. H. (2009). *George W. Bush Versus Saddam Hussein: A Critical Discourse Analysis* (UnPublished Master's thesis). Ain Shams University, Cairo.

Thompson, G. (2004). *Introducing Functional Grammar*. London: Oxford University Press.

Van Dijk, T. A. (1997). What is Political Discourse Analysis?In J. Blommaert& C. Bulcean (Eds.), *Political Linguistics* (pp. 11-52).Amsterdam: John Benjamins.